تاريخ أوروبا

من النهضة حتى الحرب الباردة

تأليف

دكتور
شوقى عطاالله الجمل
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بجامعة القاهرة

دكتور
عبدالله عبدالرازق ابراهيم
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بجامعة القاهرة

٢٠٠٠

الناشر
المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات
٥ش مصطفى طموم ـ المنيل ـ القاهرة

الناشر
المكتب المصري لتوزيع المطبوعات
٥ ش مصطفى طموم ـ المنيل ـ القاهرة
تليفاكس : ٣٦٥٥٤٨٧

تاريخ أوروبا

من النهضة حتى الحرب الباردة

دكتور
شوقى عطاالله الجمل
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بجامعة القاهرة

دكتور
عبدالله عبدالرازق ابراهيم
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بجامعة القاهرة

رقم الإيداع ١٥٠٨/ ٢٠٠٠

الترقيم الدولى I.S.B.N - 977-5841-42-9

مقدمـــة

ليس من السـهل عليناتحديد تاريخ معين لبداية العصور الحديثة فى أوروبا أى لانتـقـال أوروبا من العـصـور الوسطى إلى العـصـور الحديثـة ويختلف المؤرخون والباحثون اختلافاً بيناً فى ذلك.

فـقـد درج بعض المؤرخين على اعـتـبـار القـرن الخـامس الميـلادى ـ وهوالقرن الذى سقطت فيه الإمبراطورية الرومانية إثر غارات البرابرة بعد أن ظلت مسيطرة على العالم قرابة أربعة قرون ـ بداية للعصور الوسطى.

بينما يعتبرون القرن الخامس عشر مطلعاً للعصور الحديثة.

والحقيقة أن العصـور الحديثة بمميزاتها عملية تمت بطريقة تدريجية ـ بحيث يصعب تعيين تاريخ محدد لنهاية العصور الوسطى فى أوروبا وبداية العصور الحديثة بها.

ولذلك يُشبـه كثيـرون العملية بالتطور الذى يطرأ على الإنسـان فى انتقاله من مرحلة فى حياته إلى مرحلة أخرى.

والبعض يذهب إلى أن عملية التطور هذه استغرقت حوالى ستة قرون مابين القرنين العاشر والخامس عشر الميلاديين ـ وأن هذه العملية تمخضت عن معالم معينة ميزت التاريخ الأوروبى فى هذه الحقبة ـ وقد شمل هذا التطور التكوين السياسى الأوروبى، والمجتمع الأوروبى كله، بما فيه العلاقات بين افراده، ونشاط هؤلاء فى مختلف المجالات، كما شمل النواحى الفكرية وغيرها ـ وقد أطلق على هذا التغيير الشامل «النهضة الأوروبية» أى البعث أو الولادة الجديدة.

ويستحق هذا التغيير الذى طرأ على المجتمع الأوروبى ومظاهره وقفة ودراسة مستفيضة.. لما تبعه من تطورات فى القارة الأوروبية وغيرها من القارات التى امتد إليها نشاط الأوروبيين نتيجة لهذا التغيير أو التطور فى

القارة الأوروبية الذى خرج بالقارة من العصور الوسطى ونقلها إلى ما أطلقنا عليه ـ كما قلنا ـ عصر النهضة.

ولكن دراسة النهضة الأوروبية دراسة مستفيضة يستلزم وقتاً طويلاً وقد ينتهى الأمر بنا إذا سلكنا هذا السبيل ـ إلى أن نستنفذ كل الوقت وكل الجهد دون أن نتطرق إلى غير ذلك من الموضوعات الهامة المتعلقة بتاريخ أوروبا الحديث ـ وهو أمر لايمكن قبوله ـ لذلك سنشير بسرعة إلى ما يتعلق بهذا التغيير الذى طرأ على أوروبا فنقلها من عصر إلى عصر على أمل أن يفتح ذلك الطريق أمام من يرغب فى دراسة أوسع وأعمق.

وكان من معالم التاريخ الأوروبى الحديث ظهور الحركة القومية التى ترتب عليها وحدات أوربية متميزة الوحدة الإيطالية، والاتحاد الألمانى مثلان لهذه الحركة القومية.

وقد شهدت أوروبا فى تاريخها الحديث والمعاصر حربين عالميين الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية وترتب عليها تغيير كبير فى خريطة القارة الأوروبية بالإضافة إلى الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للحربين.

وفى المجال الإقتصادى شهدت أوروبا طفرة كبيرة نتيجة للتقدم العلمى وما ترتب عليه من نجاح فى الوصول لأنواع جديدة من البذور ومقاومة الآفات الزراعية، وتقدم فى وسائل الرى.

وفى هذا الكتاب محاولة لرصد أهم المعالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى طرأت على أوروبا فى تاريخها الحديث والمعاصر.

وقد أشرنا إلى بعض المراجع ليستفيد بها من يريد المزيد من الدراسة لأحد المضوعات المعروضة.

المؤلفان

الجزء الأول

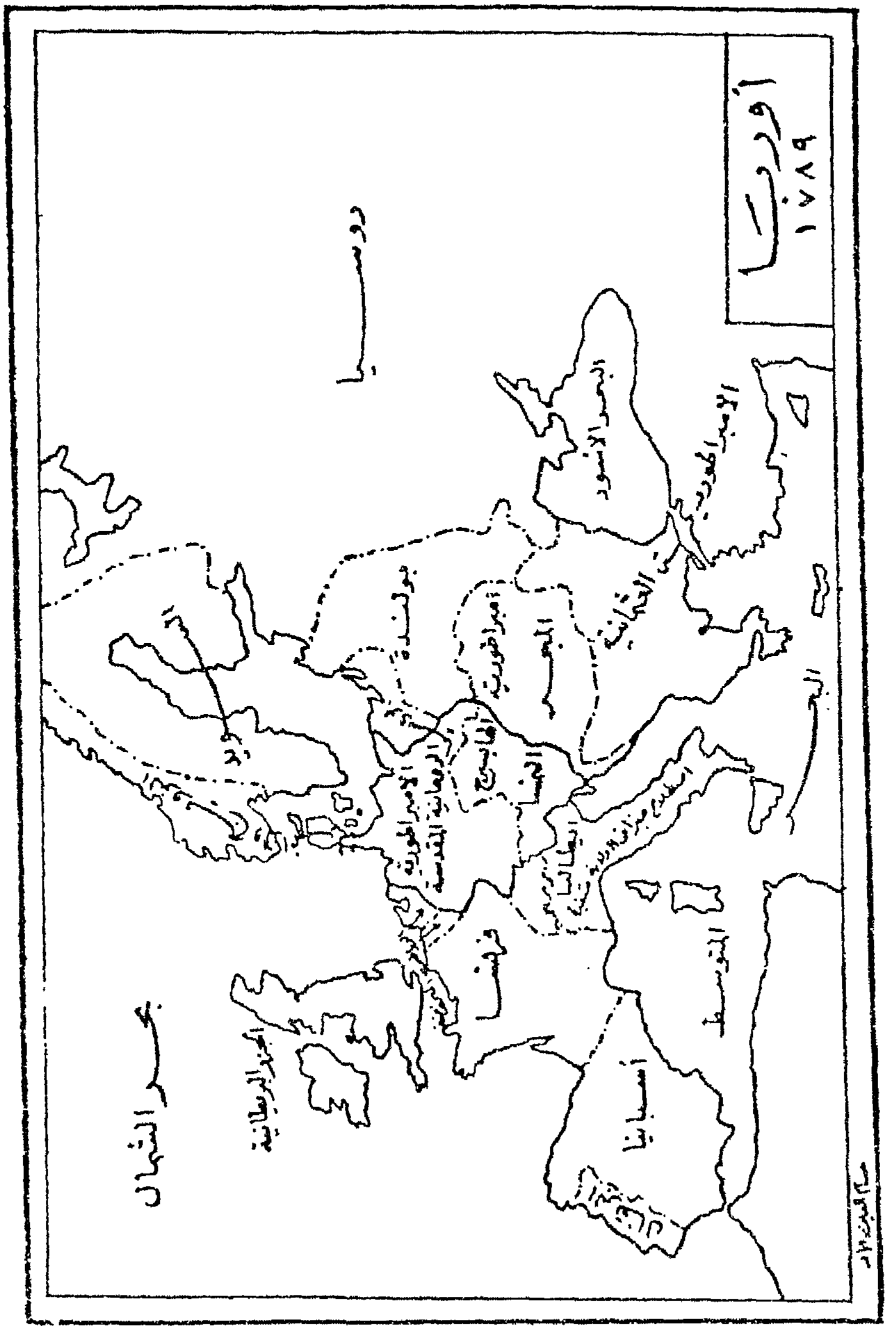
أوروبا في القرن الخامس عشر
والسادس عشر والسابع عشر

المحتويات:

أولاً: النهضة الأوروبية

ثانياً: حركة الإصلاح الدينى والحروب الدينية فى أوروبا.

ثالثاً: الثورة الدستورية فى إنجلترا فى القرن السابع عشر.


أوروبا
١٧٨٩
روسيا
بولندة
البحر الأسود
فرنسا
أسبانيا
بحر الشمال
الجزر البريطانية
المتوسط
الإمبراطورية الرومانية المقدسة

شكل رقم (١)

أولاً: النهضة الأوروبية

١ ـ دور الحضارة الإسلامية فى قيام النهضة الأوروبية:

فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا تتخبط فى ظلمات العصور الوسطى منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية فى أواخر القرن الخامس الميلادى ـ فى ذلك الوقت الذى ساد فيه الإنحطاط العلمى، ولم يبق أثر للحضارة والعلم فى أوروبا إلا بصيص خافت فى المدارس التى لم تكن تهدف إلا لتخريج رجال الدين، بينما حرم الجرمان ـ الذين أقاموا ممالك فى غربا أوروبا ـ التعليم أمام على اعتبار أنه يقتل شخصية الطفل ـ وقالوا إن الطفل الذى يتعلم الجلوس أمام المدرس ويخشى العصا لايصلح للحرب والقتال ـ فى هذا الوقت كان المسلمون فى أوج مجدهم الحضارى، وكانت الحضارة الإسلامية تمثل قمة ما وصلت إليه الحضارات العربية والفارسية والهندية والإغريقية، فالعرب لم يغلقوا على أنفسهم أبواب المعرفة بل أخذوا من كل هذه الحضارات ومزجوها.

ولسنا بحاجة لأن نستطرد فى شرح التعريب والترجمة والتأليف التى إزدهرت فى العصر العباسى وغيره من عصور الدولة الإسلامية.

ومنذ أواخر القرن الخامس عشر أخذت الحضارة الإسلامية تزحف إلى أوروبا، وكانت هناك ثلاث طرق رئيسية عبرت عن طريقها الحضارة الإسلامية إلى أوروبا هى:

(١) صقلية.

(٢) شبه جزيرة ايبريا (الأندلس).

(٣) بلاد الشرق الأدنى.

فمن جهة **صقلية**: بحكم موقعها فى البحر المتوسط وصلاتها بالعالم

العربى وامتداد النفوذ العربى السياسى والحضارى إليها - كانت بمثابة المعبر فى الطريق بين البلاد العربية وأوروبا.

وفيما يتعلق بالأندلس: فإن العرب حكموا هذه البلاد فترة طويلة وتطورت على أيديهم الزراعة والصناعة والإدارة، وترك العرب طابعهم الحضارى فى أسبانيا فى فنون الفلاحة وأصحاب المهن وفى الأدوات التى يصنعون بها هذه الفنون. ولم يقتصر الأمر على الأندلسين بل كان يؤم أسبانيا مسيحيون من مختلف البلاد الأوروبية ليدرسوا مع الأسبان على يد أساتذة معلمين، وعرف العرب الكثير من تراث الإغريق القدماء لأول مرة عن طريق الترجمات التى وُجدت فى أسبانيا.

وكانت مدينة (طليطله) التى استردها الأسبان فى عام ١٠٥٨ أول وأعظم مركز لنقل الثقافة من المسلمين إلى المسيحين فى الغرب.

أما عن بلاد الشرق الأدنى: واحتكاكها بأوروبا خاصة أثناء الحروب الصليبية فأثرها واضح فى نقل حضارة هذه البلاد إلى أوروبا.

وأدى هذا الإحتكاك الحضارى إلى أن استيقظ الأوروبيون من سباتهم وتفتحت عيونهم على الحضارة العربية العملاقة وبدأت فى أوروبا نهضة يطلق علهيا البعض تعبير (النهضة الوسيطة).

ولم تبدأ النهضة الأوروبية فى كل أوروبا فى وقت واحد: لكن بدايتها كانت فى جنوب القارة. وفى شبه جزيرة إيطاليا بالذات، وكان هذه البداية بمثابة الإعداد للإنقلاب الذى عم أوروبا فيما بعد.

٢ - الأسباب التى جعلت هذه النهضة تبدأ فى شبه جزيرة إيطاليا قبل غيرها من الأقطار الأوروبية:

(١) موقعها الجغرافى:

فشبه جزيرة إيطاليا لها موقع ممتاز فى وسط البحر، ذلك البحر

الذى قامت على ضفافه أقدم الحضارات وأعرقها، وكات المدن الإيطالية بفضل هذا الموقع حلقة إتصال بين أوروبا وبين الحوض الشرقى للبحر المتوسط، هذا بالإضافة إلى إنها كانت طول العصور الوسطى مركزاً للنشاط الإقتصادى، وحلقة من أهم حلقات الإتصال التجارى بين الشرق وأوروبا.

(٢) الرخاء الاقتصادى:

فدور المدن الإيطالية فى التجارة بين الشرق وأوروبا معروف، وقد أثرت هذه المدن من التجارة، والرخاء الاقتصادى مرتبط عادة بالنهضة ويفتح لها الطريق.

(٣) ماضى الإيطاليين وتاريخهم الحضارى السابق:

فإيطاليا مهد الحضارة الرومانية، وما تزخر به روما وغيرها من المدن الإيطالية يذكرنا بهذا التراث القديم، مما يحفز الهمم لإستعادة هذا المجد التالد - ونذكر فى هذا المجال أثر الفنون الرومانية القديمة من نحت وتصوير ونقش وعمارةفى قيام الحضارة الحديثة.

(٤) تمتع إيطاليا بالسلام:

فقد تمتعت شبه الجزيرة الإيطالية بالسلم أحقاباً طويلة، والنهضات العلمية تزهو عادة متى توفر لها السلام والهدوء والرخاء.

(٥) قيام دويلات سياسية متنافسة فى إيطاليا:

فقد اشتد التنافس على تشجيع العلوم والآداب والفنون بين الأسر الحاكمة فى إيطاليا، ويذكر فى هذا المجال جهود أسرة مديتشى فى فلورنسا التى أنشأت أكاديمية علمية مشهورة.

(٦) مقر الزعامة الدينية فى أوروبا:

أضفى وجود البابوية فى روما على إيطاليا مركزاً ممتازاً فصارت قبلة العالم المسيحى، رغم إنغماس كثرين من رجال الدين فى الملذات ـ فقد أنفق كثير من البابوات الكثير من الأموال التى تدفقت على الكنيسة فى النهوض بالعلم وإنشاء المكتبات فكانت مكتبة الفاتيكان من أشهر المكتبات التى غصت بالكتب العلمية.

(٧) طبيعة الشعب الإيطالى نفسه:

لقد اشتهر الإيطاليون بميلهم للفنون وحبهم للموسيقى والرقص والأغانى والتصوير والنحت والعمارة والشعر والأدب عامة، فحين وجدت هذه الطاقات الجو المناسب ظهرت هذه المواهب، وهكذا ساعدت هذه الظروف على أن يبرز معالم النهضة فى شبه جزيرة إيطاليا قبل غيرها من الدول الأوروبية.

النهضة خارج إيطاليا

نهل عدد من طلاب العلم من مناهل العلم فى إيطاليا وتشربوا روح الحضارة فيها، فلما انتقلوا إلى بلادهم كانوا الشعلة التى أوقدت نار الثورة على القديم.

نذكر من هؤلاء ارازمس (Erasmes) وهو هولندى المولد (١٤٦٧ ـ ١٥٣٦) ولد فى مدنية روتردام لكنه أقام فترة فى فرنسا وانجلترا وألمانيا ووضع عدة مؤلفات باللاتينية ـ وقد تأثر بالدراسات القديمة اليونانية واللاتينية التى احتضنتها إيطاليا، لكنه اختلف عن كثيرين من الإيطاليين فى أنه كان مسيحياً يرى أن المجتمع الأوروبى لا يصلح إلا بالعودة إلى المسيحية الأولى ببساطتها وتعاليمها، وكان يرى أن ما أصاب بالمجتمع

الأوروبى من إنهيار يرجع إلى ما أصاب الكنيسة ورجال الدين من تدهور، وكان يرى فى التعليم أشرف مهنة - واستخدم موهبته فى السخرية من انحرافات رجال الدين، وسار فترة مع (لوثر) لكنهما اختلفا وافترقا لأن لوثر خرج على روما وسيطرتها، أما ارازمس فكان يؤمن بإمكان إصلاح الكنيسة الكاثوليكية من الداخل - فهويمثل المصلح المسيحى الهادىء.

وسنشير لغيره من رواد حركة النهضة والإصلاح فى أوروبا فيما بعد.

مظاهر النهضة فى البلاد الأوروبية غير إيطاليا:

اتخذت النهضة مظاهر مختلفة فى البلاد الأوروبية الأخرى غير إيطاليا:

ففى ألمانيا: كان الطابع الأساسى للنهضة - الدعوة للإصلاح الدينى، وقد تمت النهضة فى ألمانيا دينية فلسفية، وبعدت كل البعد عن تقديس الجمال وعن محاكاة ماكان سائداً فى المجتمع الافريقى والرومانى من فن ومن طرق معيشية.

وفى فرنسا: يُلاحظ تلاقى بين النهضة فى إيطاليا والنهضة فى فرنسا وكانت النهضة فى فرنسا نهضة علمية بتشجيع ملوك فرنسا أنفسهم وأدى تشجيعهم للعلوم إلى أن وفد على فرنسا عدد من العلماء الإيطاليين.

ومن أشهر ملوك فرنسا الدين اشتهروا بتشجيعهم للعلم والعلماء الملك فرنسوا الأول (١٤٩٤ - ١٥٤٠) الذى أنشأ كلية فرنسا (College France) وتعتبر إلى اليوم من مفاخر فرنساوقد أطلق عليه أب الآداب.

لكن النهضة في فرنسا تختلف عنها فى إيطاليا فى أن الإيطاليين

كان انتاجهم الأدبى الفنى تقليداً للمخلفات القديمة الإغريقية والرومانية لكن الفرنسيين مزجوا بين القديم والحديث.

وفى إنجلترا: تأخرت النهضة بعض الشىء لإنشغال انجلترا فى حروبها ضد فرنسا ـ لكن ظهرت جماعة نهلت من مناهل العلم فى إيطاليا ثم رجعت إلى انجلترا وعمدت إلى نشر أرائها فى جامعة اكسفورد فأطلق عليهم اسم (مصلحو أكسفورد).

وبرزت جامعة كمبردج أيضاً ومن الذدين ساهموا بنصيب فى الجامعتين ارازمس الذى أشرنا إليه من قبل، وتوماس مور وسنتحدث عنه فيما بعد، وبلغت النهضة فى انجلترا ذروتها فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، ولعل مؤلفات شكسبير خير دليل على ذلك.

وفى أسبانيا: كان لمااشتهر به ملوكها من التعصب والإسراف فى تأييد المذهب الكاثوليكى أثره فى موقفهم موقفاً عدائياً صارماً من الدراسات الإنسانية.

❊ ❊ ❊

سمات عصر النهضة فى أوروبا

أولاً: الحركة الفكرية

١ ـ الدراسات الإنسانية:

تُعتبر الحركة الفكرية من أهم مميزات عصر النهضة، فقد فرضت الكنيسة فى العصور الوسطى حجراً على الفكر وقيداً على كل مايتصل بالإنتاج الفكرى من إبتكار أو محاولات الخروج عن المألوف.

وقد بدأت الحركة الفكرية هادئة تمثلت فيما أطلق عليها (الدراسات الإنسانية) أو الحركة الإنسانية، ويُقصد بهادراسة التراث الإنسانى (الأوروبى) القديم أى الدراسات الإغريقية واللاتينية.

ولم يبدأ الاهتمام بالدراسات الإنسانية فى الجامعات، فقد وجهت الجامعات جهودها واهتمامها إلى دراسة العلوم العلمية كالطب مثلاً وظلت فترة طويل تنظر إلى الدراسات الإنسانية نظرة عدم تقدير.

ولكن قامت منافسة بين المدن الإيطالية بالذات بهدف دراسة المخطوطات الإغريقية والمخطوطات القديمة، ونادى البعض بأن الفرد لايمكن أن يتبوأ مكانة رفيعة فى المجتمع مالم يكن على حظ وفير فى هذه الدراسات، وكانت الكنائس والأديرة تزخر بعدد كبير من المخطوطات وكانت القسطنطينية بالذات ـ عاصمة الدولة البيزنطية قبل سقوطها فى يد الأتراك العثمانيين ـ مركزاً لهذه التجارة فى المخطوطات الإغريقية.

وجذبت شبه جزيرة إيطاليا عدداً كبيراً من العلماء البيزنطيين الذين هاجروا إليها فى مطلع القرن الخامس عشر حيث وجدوا من حكامها رعاية مادية وأدبية، وقام عدد من الدارسين الإيطاليين بزيارة القسطنطينية للتخصص فى دراسة اللغة الإغريقية على يد كبار أساتذتها إذ كانت

العاصمة البيزنطية معقل الدراسات الإغريقية وآدابها خاصة فى الفترة بين عام ١٤٠٠ وسقوط القسطنطينية فى يد الأتراك العثمانين سنة ١٤٥٣.

وجاء سقوط القسطنطينية فى عام ١٤٥٣ بمثابة دافع جديد دفع عدداً آخراً من العلماء البيزنطيين إلى الهجرة إلى إيطاليا.

وفى نفس الوقت كانت حركة إحياء الدراسات اللاتينية تسير هى الأخرى قدماً نحو الإزدهار، وكان الإيطاليون ينظرون إلى اللغة اللاتينية على أنها لغة الحضارة الرومانية، ولما كانوا يعتبرون أنفسهم حفدة الرومان وورثة حضارتهم فقد دفعهم ذلك للإقبال على الدراسات اللاتينية.

ومن أهم الذين برزوا فى هذا الميدان بترارك (Petrarque) (١٣٠٤ ـ ١٣٧٤):

انصرف إلى دراسة اللغة اللاتينية حتى سيطر عليها سيطرة تامة، وأجاد الكتابة بهاعلى الإسلوب اللاتينى القديم، وشغف بها لدرجة إحتقاره للغة الإيطالية الحديثة حتى أنه نعى على (دانتى) شاعر إيطاليا استخدامه اللغة الإيطالية.

وكان بترارك اللاتينية لغة الآداب الرفيعة، ويقيس ثقافة الفرد بمدى إلمامه بهذه اللغة، وبفضل تمكن بترارك من من هذه اللغة استطا ع أن يتذوق الإتجاهات الإنسانية التى حظيت بها كتابات الرومان وتوفر على جمع المخطوطات اللاتينية ونشرها.

وقد تمثلت كتابات بترارك بظاهرتين هما:

أ ـ روح التحرر فى التفكير والتعبير: فقد عبر عن عاطفة الحب التى كانت تتأجج فى قلبه نحو معشوقته (لورا) وشرح إحساسه إزاءها فى صراحة لم تكن مألوفة فى العصور الوسطى، كما تغنى بمحاسنها

فوصف جميع أجزاء جسمها بماتأباه تقاليد العصور الوسطى، وله ملحمة شهيرة بعنوان أفريقيا (Africa) سرد فيها حوادث الحرب التى اندلعت بين روما وقرطاج بشمال أفريقيا.

ب ـ مطالبته بقيام وحدة سياسية تشمل جميع أنحاء شبه جزيرة إيطاليا وهذه إرهاصات لظهور القوميات.

٢ ـ ظهور اللغات الحديثة (اللغات القومية):

كانت اللاتينية هى لغة العلم والكتابة فى العصور الوسطى، وبعد ذلك تضاءل استخدام هذه اللغة بالتدريج حتى أصبحت مقصورة على رجال الكنيسة وبالتدريج عمد بعض الكتاب والأدباء إلى الكتابة بلغة شعوبهم، وعمد بعضهم إلى استخدام بعض كلمات وعبارات جديدة، وبالتدريج أصبحت (اللغات الوليدة) صالحة لتدوين العلوم والآداب بها، بل أصبح الاهتمام بهذه اللغات القومية مظهراً من مظاهر النزعة القومية وعاملاً هاماً يساعد على نشر الأفكار الجديدة التى أصبحت من مميزات عصر النهضة.

ففى إيطاليا كتب دانتى (Dante) شاعر إيطاليا كتابه الخالد الكوميديا الإلهية باللغة الإيطالية.

وكتب مونتانى (Montaigne) وغيره من أدباء وكتاب فرنسا باللغة الفرنسية، وفى انجلترا وضع شوسر قصص كانتربرى بالإنجليزية، وظهر غير هؤلاد فى مختلف البلاد الأوروبية وكتبوا بلغة شعوبهم.

وهكذا بفضل انتشار هذه اللغات ومعرفة الشعوب لها، وتفهمهم لما كُتب بها أصبح فى مقدور عامة الشعب أن يتقبلوا الآراء الجديدة ويشاركوا فيها.

٣ ـ إتساع الطباعة وتطويرها لخدمة العلم والمعرفة:

تُعتبر الطباعة أهم اختراع ظهر فى عصر النهضة بل هى من أعظم الاختراعات التى شهدتها الإنسانية ـ وقد اسهمت فى إثراء الحياة الثقافية على مر العصور والأحقاب.

يرجع الفضل فى التطور الهام الذى طرأ على الطباعة إلى الألمانى جوتنبرج فقد أدخل على الطباعة تحسينات عدة، وأصبحت تستخدم الحروف فى الجمع، وبذا قفزت الطباعة إلى الأمام قفزات واسعة.

وسرعان ما تلقفها الإيطاليون فأدخلوا استخدام الحروف المعدنية، وبعدهم استخدمها الفرنسيون والإنجليز.

ثم جاء اختراع (الورق) واستخدامه فى الطباعة بعد أن كان يستخدم ورق البردى فى العصور القديمة، ورقائق جلود الأغنام فى العصور الوسطى، فقد مكن كشف الورق ـ والنجاح فى صنعه ـ الطباعة من أداء رسالتها على خير وجه.

ويلاحظ أن صاحب المطبعة لم يكن يلم بفن الطباعة فحسب بل جمع بين إلمامه بفن الطباعة وبين العلم الغزير والثقافة الواسعة.

وبفضل المطبعة أصبحت الدراسات الإنسانية وغيرها من العلوم فى متناول الكثيرين، فقد أصبح فى الإمكان طبع الكتب بتكاليف قليلة، وأصبحت المطابع مؤسسات تُلحق بها أقسام للتجليد وأخرى لصناعة الأحبار بالإضافة إلى أقسام المخطوطات التى تقوم بنسخ المخطوطات وإعدادها للطبع.

٤ ـ الاهتمام بعلم التاريخ والآثار:

من الظواهر الثقافية لعصر النهضة أن الدراسات التاريخية بالذات

تقوم على أسس علمية ـ فلم يُصبح علم التاريخ مجرد سرد لما تناوله الناس. لكنه أصبح يقوم على المصادر الأصلية فظهرت المدارس فى النقد التاريخى العام على أسس علمية، وأصبحت الوثيقة التاريخية تمر بمراحل عدة حتى تثبت صحتها من عدمه وحتى يمكن أن تبنى عليها حقائق تاريخية أو أن يشك فى صحتها، وظهرت علوم جديدة متصلة بهذه الوثائق متعلقة بدراسة العصر الذى كتبت فيه هذه الوثيقة، والمواد المستخدمة وأصبحت هذه الدراسات تتسم بطابع حرية الرأى وحرية التعبير وعدم التقيد بالموضوعات الدينية والتحرر من الخرافات والبدع.

كذلك شهد عصر النهضة إهتماماً خاصاً بدراسة الآثار والتنقيب عنها واعتبارها رمزاً لدراسة حضارة وتطور شعب من الشعوب، وكانت الكثير من الاثار قد أهملت وأصابها التلف والضياع ـ فلما جاء عصر النهضة أفاق الناس لقيمتها التاريخية والفنية والحضارية واعتبروها صفحة مجد وفخار فانطلقوا ينقبون عن الآثار فى مختلف الأقطار والأماكن.

٥ ـ الفنون الجميلة:

كانت الفنون مزدهرة فى العصور القديمة لكن فُرضت عليها القيود فى العصور الوسطى مما أدى لإنحطاطها، وكان الفنانون الإيطاليون أصحاب الفضل فى إبتكار الفن الحديث.

فبعد أن كانت الفنون تتجه لخدمة الكنيسة والأغراض الدينية فحسب وتتقيد بقيود شديدة ـ تحرر الفنان الإيطالى فقد نمت فى الفنون روح متحررة مشغوفة بالمظاهر الطبيعية وجمال الوجه البشرى وسائر أجزاء جسم الإنسان.

ومن أهم الفنون التى برزت فى عهد النهضة:

أ ـ **فن الرسم والتصوير**: فقد تميز كثيرون من الفنانين بنزعة التحرر فأخرجوا صوراً تنبض بالحياة وأبرزوا جمال الوجه البشرى وسائر أعضاء الجسم واستخلصوا الأصباغ الزيتية.

وممن برز فى هذا الفن روفائيل Rophael (١٤٨٣ ـ ١٥٣٠)، وتمثلت عبقريته فى صورته عن أسرة المسيح ﷺ، والعشاء الربانى، ثم ليونارد دافنشى L. Devinche (١٤٥٢ ـ ١٥١٩) وقد برع فى الموسيقى والهندسة ومن أشهر صوره صورة الجوكندا (La Jocanda) وهى لسيدة إيطالية من نابلى تُدعى مونالويزا تزوجت فى السادس عشر من عمرها عن كره منها أحد الضباط يدعى (Jocande) يكبرها فى العمر بعشرين عاماً ـ وقد استطاع الفنان أن يرسم لها صورة ناطقة بدت فيها السيدة الفاتنة تمثل الجمال الوديع واختار لجلوسها فى الصورة مكاناً موحشاً جلست فيه وحدها على الصخور التى تشقها مياة غزيزة تنساب إلى عالم المجهول فكانت الصورة فى تكوينها وتركيبها وجمالها معبرة عن مأساتها.

ثم ميشيل أنج (M. Ange) (١٤٧٥ ـ ١٥٦٤) وكان أيضاً متعدد الثقافة، والبعض يعتبر روفائيل، وليونارد دافنشى، وانج ثالوث الفن.

ب ـ **فى النحت**: لم يتقيد فنانو عصر النهضة بقيود العصور الوسطى فأبرزوا مفاتن جسم الإنسان بدون التقيد بالقيود التى كانت مفروضة فى العصور الوسطى.

جـ ـ **فن العمارة**: برزت فلورنسا فى فن العمارة، ثم البندقية، وروما.

٦ ـ العلوم الحديثة والمنهج العلمى فى البحث:

يعتبر التقدم العلمى من أبرز مظاهر النهضة الحديثة، وقد أتاح لهذا التقدم المنهج الذى أصبح سائداً فى البحث العلمى، وهو ما يطلق عليه (المنهج العلمى فى البحث).

ويقوم هذا المنهج على أن الدراسة العلمية لابد أن تمر فى مراحل:

١ ـ فرض الفروض.

٢ ـ إجراء التجارب لإستبعاد مايثبت خطأه.

٣ ـ محاولة تطبيق النتائج الإيجابية على الحالات المختلفة.

٤ ـ مايثبت صحته منها يُصبح أساساً للنظريات العلمية.

والنظرية العلمية تُصبح صحيحة طالما لم يثبت عكسها ـ لكنها على كل حال قابلة للتعديل حسب ما يثبت التطبيق من صحتها أو عدمه.

وقد تبنى علماء العرب فى العصور الوسطى هذا المنهج السليم فى البحث، وأدى هذا إلى نهضة حقيقية إنتهت بهم إلى الوصول لأسس الكثير من العلوم كعلم الجبر والفلك، واختراعات الآلات الدقيقة وقد درسوا الضوء، والطب، والكيمياء.

ويمثل (الحسن بن الهيثم) الذى ظهر فى النصف الثانى من القرن العاشر (٩٦٥ ـ ١٠٩٣) بالبصرة ـ ونظرياته فى الضوء هذا النجاح الذى أحرزه العرب فى هذا الميدان.

وحين بدأت النهضة الأوروبية، وترجمت كثير من كتب العرب ـ أخذت الجامعات الأوروبية بالمنهج العلمى التجريبى، ولعل الفضل فى تبنى هذا المنهج ونشره يرجع إلى (السير فرنسيس بيكون) الذى ظهر فى انجلترا فى القرن السادس عشر، وألف كتابه الشهير (الإدارة الجديدة) الذى شرح فيه الطريقة الجديدة للدراسة والتفكير، وهى الطريقة المبنية على المشاهدة وجمع البيانات وتبويبها وترتيبها وعمل التجارب، ودراسة نتائجها بغية الوصول إلى الحقائق على أساس المنهج العلمى أو التجريبى

وأدى شيوع هذه الطريقة إلى سهولة تناول العلماء الكثير من أسرار الطبيعة بالبحث والدراسة، فتوصلوا إلى حل الكثير منها، فأدى ذلك إلى تغيير واضح وتقدم فى مختلف العلوم.

وقد كانت المعامل والجامعات هى أماكن البحث والتجريب وأصبحت المصانع تتلقف النظريات العلمية المتعلقة بالصناعات وتضعها فى حيز التطبيق واتبعت انجلترا بالذات هذا الأسلوب، وكانت الجامعات الإنجليزية ومعاملها هى المنبع الأصلى للتجارب العلمية، بينما فى ألمانيا كانت المعامل ملحقة بالمصانع أو بالأحرى كانت المصانع ذاتها هى ميدان التجريب.

وشمل التطور العلمى والفكرى مختلف النواحى فى المجتمعات الأوروبية وأصبحت العشوائية أمراً غير مرغوب فيها، وشجع التقدم الذى أحرزه الإنسان على المزيد من التقدم.

وأدى التقدم فى المواصلات ، وفى وسائل الإتصال إلى تبادل المعرفة وانتشارها.

وما نراه اليوم فى مجال غزو الفضاء، ومحاولات التغلب على الأمراض واكتشاف طرق التطعيم المختلفة والوصول إلى الفيروسات التى تسبب الأمراض وتغيير أجهزة الإنسان التالفة ـ ما هو إلا نتيجة لما حققه العلم من تطور وتقدم فى عصر النهضة. وكان اكتشاف الكهرباء من أهم الأحداث التى تميز بها العصر الحديث خاصة بعد أن استخدمها الإنسان كمصدر للقوة المحركة وأحدث هذا إنقلاباً فى وسائل المواصلات المختلفة من بريد أو إذاعة أوالرادار، وأخضعت العلوم الأخرى كعلم النفس للطريقة العلمية مما يسر على العلماء دراسة الكثير من الظواهر النفسية.

٧ ـ الكشوف الجغرافية:

كانت حركة الكشوف الجغرافية نتيجة من نتائج النهضة الأوروبية

والتقدم العلمى، وتتضح أهمية الكشوف إذا أدركنا كيف كانت المعلومات الجغرافية لدى الأوروبيين ضئيلة وخاطئة، فقد كان الأوروبيون يستمدون معلوماتهم عن المناطق الداخلية والبعيدة فى آسياوأفريقيا مما كان يردده التجار الإيطاليون المترددون على موانىء مصر والشام.

هذا بالإضافة إلى المعارف التى كانت تتصل بالملاحة فى المحيط الأطلسى الجنوبى، وبالإضافة إلى الأفكار الخاطئة المتعلقة بشكل الأرض.

وقد ساعدت على نجاح حركة الكشوف عدة عوامل:

أ - **عوامل اقتصادية**: فقد كانت السلع الشرقية كالتوابل، والعطور، والعقاقير الهندية والأقمشة الحريرية والبن والسجاجيد وغيرها - تجد رواجاً فى أوروبا وكانت السلطات الحاكمة فى مصر والشام تفرض على هذه السلع الشرقية رسوماً فادحة كما حققت البندقية أرباحاً خيالية من نقل هذه التجارة للشواطىء الأوروبية.

ولذا كانت الرغبة فى التخلص من الرسوم الجمركية الفادحة دافعاً للكشوف الجغرافية.

ب - **عوامل دينية**: الرغبة فى تحويل السكان فى البلاد التى تكتشف إلى المسيحية وأدت حركة التبشير إلى كشف الكثير من المناطق غير المعروفة.

جـ - **عوامل استراتيجية وأخرى سياسية**: تتعلق بأهمية الموقع وما يمكن أن يؤديه للدولة المستعمرة من خدمات فى المجال الحربى أو كطريق للمواصلات.

وقد أسفرت الكشوف الجغرافية عن نتائج هامة:

(١) انتقل مركز التجارة من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسى ودبت الحياة فى موانى البرتغال وأسبانيا وأوروبا الغربية.

(٢) تدفق منتجات الشرق على أوروبا.

(٣) تقدم صناعى ضخم للاستحواذ على المواد الخام المتوفرة فى البلاد المكتشفة حديثاً، وتوفر الأسواق فيها لتصريف فائض الأنتاج الصناعى.

(٤) هجرة آلاف الأفراد من أوروبا للمناطق المكتشفة فظهرت المستعمرات السكنية.

(٥) ظهور مبادىء سياسية جديدة كسيطرةالرجل الأبيض والتفرقة العنصرية.

(٦) تقدم الملاحة البحرية.

(٧) انقلاب جذرى فى علم الجغرافيا بإتساع معلوماتنا عن شكل الأرض.

(٨) إتساع العلوم المحيطية.

(٩) تداول النقود نتيجة لتوفر الذهب والفضة.

(١٠) انتشار التبشير.

(١١) معرفة محاصيل جديدة فى أوروبا (البطاطس - الكاكاو - التبغ - الكينا - الذرة .. الخ).

(١٢) الاستعمار الحديث: فقد ترتب على كشف مناطق جديدة فى الأمريكتين وأفريقيا، اندفاع الأوروبيين للاستعمار حتى خُيل للبعض أن الاستعمار ظاهرة جديدة.

ويمكن القول أن الكشوف الجغرافية هى الوجه المضىء للنهضة الأوروبية بينما الاستعمار هو الوجه القبيح لهذه النهضة.

ثانياً: التغيرات الإجتماعية

أحدثت النهضة تغيرات عميقة فى المجتمع الأوروبى ـ فقد أكدت الحرية الفردية وقدستها، لكن الأمر تطور من تقييد كامل للحرية إلى النقيض، وأدى هذا إلى أن شهدت المجتمعات الأوروبية ـ والمجتمع الإيطالى بوجه خاص تدهوراً فى القيم الأخلاقية ـ حرية لا تعرف حدود واستهانة بالأداب وخروجاً على التقاليد والأخلاق.

وتمثلت مظاهر هذا الإنحلال الخلقى فى الأغانى العاطفية المبتذلة وفى انتشار الصور والقصص التى تتنافى مع الأخلاق.

وكان ضعف الوازع الدينى بسبب ما وصل إليه رجال الدين من تدهور وما وجه لهم وللكنيسة من إتهامات بالإضافة إلى ارتفاع رأس المال والثراء الذى صاحب الثور الاقتصادية، كل هذا كان فى مقدمة العوامل التى أدت إلى انتشار الفساد وتدهور المعايير الأخلاقية وإنحلال المجتمع.

وقد عبّر (مارتن لوثر) عما أصاب المجتمع الإيطالى بالذات بقوله: «إن كل من يذهب إلى روما يشعر بأن عقيدته ألدينية تترنح تحت الضربات التى تصيبه من جراء ما يرى هناك».

وقد برز دور النساء فى المجتمعات الأوروبية وسما مركز المرأة إلى درجة لم تبلغها من قبل وتعدد نشاطها فاشتغلت بدراسة الفلسفة والدراسات القديمة والموسقى، والرقص، والغناء إلى جانب العناية بالأزياء وإقامة الحفلات الصاخبة.

وأصبح من سمات المجتمع تقديس الجمال والتمتع بملذات الحياة.

وكما يقول إدث سيكسل (Edith Sichel):

«لقد أحدثت النهضة عصراً جديداً للمرأة فقد هيأت لها مجالات

جديدة وأهمية جديدة ـ إذ أن تهافت النهضة على الجمال والتطورات الإجتماعية السريعة والنشاطات العاطفية وغيرها ـ كان هذاكله ملائماً لقدرات المرأة فأثرت المرأة فى الحياة بقدر ما أثر التصوير والنحت والشعر والفكر، لأن المرأة هى موضوع هذه المجالات الفنية والأدبية.. وانطلقت المرأة ترقص وتغنى بل وتقود الجنود، وتقرأ لشيشرون ولفلاسفة اليونان وتؤسس عائلات كبيرة وتكتب الرسائل والأبحاث وتصمم الأزياء وتحكم المقاطعات.. لقد كانت المرأة ذات كفاية عالية ففتح عصر النهضة لها باب التقدم فى تلك المجالات. لكن دون تعمق».

هذا ويعتبر الكثيرون من أهم مظاهر النهضة ونتائجها السلوك الفردى المتحرر، لكن كما ذكرنا إن المبالغة فى السلوك الفردى أوجدت حالة من الفوضى والإنهيار الاجتماعى والأخلاقى هى نتيجة المبالغة فى التحلل من قيود العصور الوسطى وأغلالها فاستهان الناس بالأداب العامة وخرجوا على التقاليد والأخلاق.

وتختلف مظاهر الإنحلال الأخلاقى فبالإضافة إلى الأغانى العاطفية المبتذلة تتمثل فى اتجاه بعض الأوروبيين إلى عدم التقيد بالروابط الزوجية. وأدى إنتشار الرخاء المادى والثراء إلى حياة البذخ والترف والإنغماس فى الملذات.

وأدى انتشار الملاهى وانهيار المبادىء الأخلاقية إلى اهتزاز الكثير من المثل الدينية، حريات أكثر من المعقول بلا حدود، ظهور النساء فى المجتمع وفى كل أوجه النشاط، دعوة سافرة للتمتع بملذات الحياة.

على إنه وسط هذا الجو كان لابد من أن ترتفع أصوات القلة التى كانت لا تزال تتمسك بأهداب الفضيلة أو تسعى للإصلاح وقد أسهم فى هذا السبيل بعض رجال الأدب الذين اشتغلوا بالسياسة من أمثال دانتى وبترارك ـ وعلى العموم كان هناك اتجاهان للإصلاح.

الأول: يرمى إلى إصلاح المجتمع على أساس التمسك بتعاليم الدين ومثل هذا الإتجاه الراهب جيروم سافونا رولا (Savona rola) (١٤٥٢ ـ ١٤٩٨).

الثانى: يرى إصلاح المجتمع دون التمسك بالاعتبارات الدينية وغيرها ويمثل هذا الاتجاه نيكولا ميكافيلى (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧).

وسنؤجل الحديث عن هذا الأخير لحين التطرق للنظريات السياسية فى المجتمع الأوروبى لأن دعوته كانت سياسية إجتماعية.

حركة سافونا رولا:

ولد سافونا رولا فى مدنية فرارا (Ferara) الإيطالية وكان أبوه ميشيل سافونا رولا طبيباً عكف من صغره على الصلاة وقراءة الإنجيل والتحق بجامعة فرارا فى سن الثانية عشر، لكن سوء صحته لم يمكنه من الاستمرار فى دراسته الجامعية، لكه قرأ كثيراً عن فلاسفة اليونان. وقد أثارته الحفلات الصاخبة التى كان يُقيمها أمراء إيطاليا حتى تلك التى كانوا يقيمونها عتد استقبالهم للبابا، وذكر إنه أشبه بحفلات استقبال قائد رومانى أكثرمنها بما يليق باستقبال رجل دين.

وقد هرب إلى أحد الأديرة كى يتفرغ للعبادة وكتب لوالده يبرر مسكله هذا ويشير إلى الدوافع التى حملته على ترك العلمانية والانخراط فى سلك الرهبنة.

وفى عام ١٤٨١ أرسل للوعظ فى فلورنسا فحمل بعنف على انغماس الناس فى حياة الترف والمجون ودعاهم لإعلان الندم وهاجم حاكم فلورنسا (لورنزو العظيم) وحمله تبعة المساوىء المنتشرة فى مدينته.

ولم يلبث أن هاجم رجال الكنيسة وعلى رأسهم البابا (أسكندر السادس) نفسه الذى عُرف عنه الجشع فى جمع المال وأتهم برشوة أعضاء المجمع المقدس ليحصل على منصب البابوية، والذى لم يتورع عن بيع وظائف الكنيسة والإنغماس فى ملذات الحياة وإرتكاب أعمال الغدر ولإغتيال بالسم ـ واتهمه سافونا رولا بالإنصراف عن واجبه الأول كرئيس أعلى للكنيسة وزج بنفسه فى غمار الحياة السياسية وصولاً إلى الحكم والمال.

وقد لاحظ بعض المؤرخين أن لهجة سافونا فى مهاجمته لحاكم فلورنسا وللبابا تحوى بعض المبالغة إلا أن إتهامه كان حقيقياً فى أساسه.

وكانت دعوة سافونا رولا فى المبدأ سلميه فقد دعا إلى الرجوع إلى تعاليم المسيحية الحقة ونادي بالتمسك بالفضيلة كسبيل لإنقاذ البلاد من الإنهيار الخلقى الذى أصاب المجتمع الإيطالى وقرر أن الأستخفاف بالدين هو السبب فى الكوارث التى نزلت بالبلاد وجعلتها طعمة لجيوش فرنسا التى إجتاحتها وخربت مبانى فلورنسا ومدنها بينما الأتراك العثمانيون يُهددون بالزحف من جهة الشرق.

واستخدم سافونا رولا سلاح الوعظ والإرشاد والكتابة والتأليف وكان خطيباً بليغاً جذب بعظاته العديدين ـ لكنه حين وجد أن النُصح والإرشاد لايُجدى لجأ إلى طريق العنف وجمع بعض الشباب حوله يبث فيهم دعوته وكون منهم فرقاً عسكرية دينية عهد إليها بمراقبة الأداب فى شوارع فلورنسا ومحاصرة أماكن الفساد واللهو ومنع الناس من التردد عليها، وكان يجمع فى الميادين العامة فى فلورنسا الكتب المخالفة للمسيحية ويشعل فيها الحرائق.

وازداد غضب البابا اسكندر السادس على سافونا رولا لإشتداد

هجومه على رجال الدين وحاول بشتى الوسائل إقناعه بتغيير أسلوبه العنيف، وطلب منه الحضور لروما لمناقشته لكنه رفض الدعوة لأنه أدرك أن البابا يريد إغتياله، واستمر سافونا رولا يهاجم البابا ورجال الدين الذين اتهمهم بالسعى وراء الثروة والإبتعاد عن الله والانغماس فى الشهوات، وعرض عليه البابا أن يرقيه إلى رتبة كاردينال على أن يوقف هجومه فلما لم تُجد معه كل هذه الوسائل ـ لجأ البابا إلى إتهامه بالكفر وأصدرفى مايو ١٤٩٧ قرار الحرمان البابوى ضده فلم يلبث أن أعدم حرقاً فى فلورنسا فى مايو ١٤٩٨.

ولاشك فى أن عوامل عدة أدت إلى النهاية التى انتهى إليها سافونا رولا. فقد أدت اتجاهاته إلى تكتل البابوية ورجال المال والأعمال ورجال الحكم فى فلورنسا ضده.

وكان زجه بنفسه فى ميدان السياسة وهو رجل دين لا يستطيع أن يجارى رجال السياسة فى وسائلهم من غدر وخداع ـ من الأسباب القوية التى أدت إلى نهايته المحزنة.

على أن إعدامه بهذه الطريقة ستكون له أثار بعيدة المدى فى إثارة العالم المسيحى ضد الكنيسة ورجالها.

كما أن الحركة الإصلاحية التى قادها سافونا رولا للخروج بالمجتمع الأوروبى مما تردى فيه من التدهور وهذا التطرف من رجال الكنيسة الذى انهى بهم إلى إعدام هذا المصلح مهما وجه إليه من نقد بسبب إتجاهه فى نهاية حياته إلى فرض خططه الإصلاحية بالقوة ـ كان هذا كله مما أشعل نار الثورة الدينية ضد الكنيسة وضد ما تفرضه من حجر على حرية الفكر العقائدى والدينى فى الوقت الذى أبيحت فيه الكثير من المبادىء المنافية للأخلاق فقام لوثر وأتباعه يحاربون الكثير من الآراء التى اشاعتها

الكنيسة وينادون بأن إختلاف الأراء في المسائل الدينية لايؤدى إلى مساءلة قانونية وبالتالى لا يستوجب إلصاق تهمة الكفر بالإنسان المعارض ولايستوجب عقوبة الحرمان البابوى والإعدام.

الظاهرات الأخرى التى أثرت فى المجتمع الأوروبى الحديث:

طرأت على المجتمع الأوروبى تغيرات جذرية فقد تغيرت الأسس التى كان يقوم عليها مجتمع العصور الوسطى - إذ أن النهضة حطمت الحواجز بين الطبقات وهزت أسس مجتمع ما قبل النهضة.

لقد كانت هناك إمتيازات لطبقات محددة - امتيازات الكنيسة وإمتيازات النبلاء، وامتيازات جمعيات الأقاليم التشريعية وامتيازات الهيئات القضائية وهكذا، وقد لوثت هذه الامتيازات العدالة وألقت بالشطر الأكبر من أعباء الضرائب على أكتاف الفقراء وحرمت أفضل وأذكى الطبقات فى المجتمع - وهى الطبقة الوسطى - من المناصب البارزة فى الجيش والأسطول والكنيسة والقضاء.

وقد غدت الإمتيازات فى المجتمع الأوروبى الجديد بغيضة كريهة لامسوغ لبقائها - فقد نظر المجتمع الجديد مثلاً نظرة عدم إحترام لكبار رجال الدين الذين لم يكونوا يدفعون ضرائب للدولة ولم يكن ير مايبرر هذا التمييز بينهم وبين سائر طبقات المجتمع، وكانت النظرة إليهم لغناهم الطائل وتكالبهم على أمور الدنيا ورذائلها - موضع نقد معاصريهم.

وصار الأشراف الذين إنقطعوا إلى مدى كبير عن الإقامة فى إقطاعاتهم لايؤدون عملاً اجتماعياً، وكانوا يجمعون إيجاراتهم ويجبون مكوسهم الإقطاعية، ويمارسون أصناف السخرة على فلاحيهم لكنهم - إذا كانوا عطلاً من أى عمل - أصبحوا عبئاً ثقيلاً على المجتمع. هذا وإن وجدت بعض الاستثناءات فقد كان هناك من بعض ملاك الأراضى

الأشراف من كان ميالاً إلى الإصلاح والتقدم وكان بعض النبلاء يقيمون فى ضيعاتهم فأبقى هؤلاء إلى حد كبير على حب أتباعهم وولائهم لهم.

وجاءت الأفكار الجديدة فهزت كل هذه الأوضاع القديمة فى المجتمعات الأوروبية وبدت الطبقات الكادحة تشعر بالظلم الواقع عليها وانتهى الأمر بقيام الثورات التى بلغ بعضها حد العنف كالثورة الفرنسية، وبعضها لم يصل إلى هذا الحد فتم التغيير فى المجتمع بطريقة أيسر.

وعلى كل انتهى الأمر بالمجتمعات الأوروبية إلى تغيير شامل ـ تحطمت نتيجته الحواجز الطبقية وظهرت مبادىء إجتماعية جديدة قائمة على المساواة والعدل واحترام العمل اليدوى وتقديره وعلى تمتع جميع أفراد الشعب بنفس الحقوق ونفس الواجبات أمام القضاء وفى مختلف المجالات، وكان للحركات السياسية وللنظم السياسية الجديدة التى ظهرت فى المجتمع الأوروبى أثرها البالغ فى هذه المجتمعات.

ثالثاً: ظهور نظريات سياسية جديدة

كان الأوروبيون فى العصور الوسطى يخضعون لسلطتين ـ سلطة البابا الرئيس الدينى الأعلى، وسلطة الإمبراطور ـ امبراطور الدولة الرومانية المقدسة ـ فلما جاءت النهضة ظهرت نظريات سياسية جديدة لتساير التغيرات التى طرأت على المجتمع الأوروبى كله.

وهذه النظريات كانت كلها تدور حول سلطة الحكومة وواجباتها وموقفها من الشعب ومن القضايا الوطنية، وما يجب أن يتحلى به الحكام من صفات، أى أنها كلها تتعلق بالعلاقة بين الحكام والمحكومين.

عبّر عن هذه النظريات كثيرون من رواد الفكر الأوروبى الحديث نذكر من بينهم ثلاثة:

١ ـ دانتى أليجيرى Dante Alighieri (١٢٦٥ ـ ١٣٢١).

٢ ـ نيقولا ميكافيللى Nicola Mackiaveli (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧).

٣ ـ توماس مور Thomas More (١٤٧٨ ـ ١٥٨٥).

١ ـ دانتى أليجيرى

ولد فى فلورنسا ودرس فى جامعات إيطاليا وفرنسا. وكانت الأوضاع السياسية فى فلورنسا غير مستقرة بسبب الصراع بين أنصار البابا وأنصار الإمبراطور، وزج دانتى بنفسه فى هذا الصراع وانتهى أمره بالنفى خارج فلورنسا واتخذ من النفى فرصة للإطلاع والتأمل، وكان يهيم حباً بفتاة تُدعى بياتريس (Beatrice) لكن لم يلبث أن اختطفها الموت فانصرف للمطالعة والكتابة، ومن أهم مؤلفات الكوميديا الآلهية.

أ ـ الكوميدا الآلهية (Divina Commedia):

تكلم فيها عن زيارة خيالية قام بها للجحيم والجنة حادث فى أثنائها النزلاء من رجال الدين والعلم والسياسة وقابل فى الجنة محبوبته بياتريس (Beatrice). وتنقسم الكوميديا الإليهية إلى ثلاثة أقسام الجحيم، المطهر، الفردوس.

وقد نجح فى تصوير العدالة الإلهية المطلقة التى لاتُفرق بين الأمير الثرى وبين الفقير، والمناصب لم تعصم شاغليها من الحساب الدقيق، فالجحيم كما صوره يزخر بعدد من البابوات ورجال الدين ورجال السياسة.

وقد كتب الكوميديا الآلهية باللغة الإيطالية وبطريقة قصصية خيالية مشوقة فهو يتخيل رحلة قام بها صُحبة الشاعر اللاتينى فرجيليو (Virgilio) زار فيها الجحيم حيث وجد مكتوباً على بابها «الطريق إلى

حيث يُحشر القوم المجرمون، دخل دانتى جهنم فى زورق سار به ورفيقه فى نهر يمتد إلى طبقات جهنم وتحدث عن النزلاء من الرهبان الذين باعوا صكوك الغفران للناس وجعلوا منها تجارة رابحة، رآهم فى صورة مفزعة رؤسهم مغروسة فى الأرض والنار مشتعلة فى أقدامهم، وتحدث عن المنجمين الذين خدعوا الناس بإدعائهم الكشف عن الغيب، والخونة الذين خانوا أوطانهم واللصوص وقطاع الطرق والمرتشين ومرتكبى الخيانة الزوجية ورجال القضاء الذين لم يحكموا بالعدل ورأى بروتس وكاسيس اللذين خانا ولى نعمتهما قيصر، ويهوذا الذى خان المسيح وغير هؤلاء كثيرين، ينال كل منهم عقاباً حسب ما اقترف من ذنوب.

ومن الجحيم انتقل دانتى ومرافقه إلى المطهر فنزلا فى مياه بحر ليتطهرا من أدرانهما وذكر أن المطهر من سبع مناطق تختص كل منها بخطيئة من الخطايا.

ثم عبر دانتى ومرافقه إلى الجنة حيث ظهرت له معشوقته بياتريس وعلى رأسها تاج من أغصان الزيتون وعلى وجهها حجاب أبيض شفاف، وجابت معه أرجاء الجنة حيث وجد أرواح الزهاد والشهداء والملوك العادلين ورجال الكنيسة المتصوفين، ثم رأى فى الفلك الثامن المسيح ﷺ ومن حوله القديسون والأولياء وفى الفلك التاسع تمتع بمشاهدة رب العالمين حيث إنعقد لسانه فعجز عن وصف ما رأى.

قضى دانتى مايقرب من ثمانية عشر عاماً فى وضع الكوميديا الآلهية، وتتجلى فيها صور الصراع بين روح العصور الوسطى المتجمدة وبين روح النهضة المتحررة، فالمؤلف تارة يتمشى مع روح الكنيسة حين يتحرج عن وصف ملامح وأجسام بعض السيدات، وتارة يخرج عن تعاليم الكنيسة حين يضع بعض البابوات ورجال الدين فى جهنم.

ولعل الدافع له لوضع هذا المؤلف هو إنه أراد أن ينتقم من أعدائه العابثين وأن يُعبر عن أرائه المتحررة فى بعض رجال الدين المنحرفين وغيرهم ممن ظلموا الناس، هذا بالإضافة إلى أنه أراد تخليد اسم عشيقته بياتريس وأن يشبع الرغبة الشديدة فى معرفة أسرار الحياة الأخرى.

ب ـ مؤلفاته الأخرى:

وضع دانتى رسالة فى الفلسفة أسماها الملكية (Le Monarchia) أشار فيها إلى أن الحروب هى التى تعوق التقدم الإنسانى ولذا فالسلام العالمى يجب أن يكون هدف رجال السياسة، وذكر أن تطلع رجال الدين إلى الإستئثار بسلطات دنيوية واتجاههم لجمع الثروة هو سبب الشرور والنكبات فى الماضى. ولذا فيجب نشر روح التقشف والقناعة بين رجال الدين.

ونادى فى رسالته هذه إلى قيام الدولة العالمية لتحقيق السلام العالمى والخير للبشر جميعاً، وهذه الدولة العالمية فى نظره على نسق الإمبراطورية الرومانية المقدسة على ألا يستمد الإمبراطور لقبه ونفوذه من البابا وألا يخضع لسطاته.

ولدانتى مؤلفات أخرى تناول فيها موضوعات متعددة فى السياسة والأخلاق كما أن له قصائد شعرية وكُتب أدبية.

٢ ـ نيقولا ميكافيللى

أصاب نيقولا مكيافيللى شهرة واسعة فى عالم الفكر السياسى والاجتماعى الحديث ولاتزال أراؤه ومعاييره السياسية والإجتماعية باقية إلى وقتنا هذا وهى التى يُعبر عنها باسم الميكافيلية.

ولد ميكافيللى فى فلورنسا فى مايو ١٤٦٩ وكان والده من طبقة

النبلاء القديمة ولو أنه لم يتلق تعليماً واسعاً لكنه أظهر ذكاء حاداً، وقد هاله روح المجون التى سادت المجتمع الأوروبى فى عصره مما دعاه فى أول الأمر إلى إتباع المصلح سافونا رولا الذى كان يخطب داعياً الشباب الإيطالى للتمسك بالفضيلة، وقد كتب ميكافيللى يصف شباب عصره بقوله «كانوا أكثر حرية من أجدادهم فى ملبسهم ومعيشتهم ويقضون وقتاً أكثر فى التمتع بملذات الحياة ويبعثرون أوقاتهم وأموالهم فى الفراغ والمغامرة وعلى النساء ولايهتمون سوى بالظهور حسنى الهندام والتحدث بلباقة ويرددون النكتة وينظرون إلى كل من كان فى وسعه إصابة الآخرين بتجريحهم بمهارة على أنه من أكبرهم كلمة».

لكن ميكافيللى لم يلبث أن ابتعد عن سافونا رولا فقد كان ينقصه الإهتمام بالأخلاق كغاية فى ذاتها، كما أنه كان بعيداً عن كل إيمان دينى عميق، والحقيقة إن مأساة سافونا رولا كانت تجربة عملية أمام ميكافيللى أستقى منها الدروس السياسية التى شرحها فى بعض كُتبه وذلك عند دراسته وتحليله للأسباب التى أدت إلى سقوط هذا الراهب الثائر، فقد علل ذلك بأنه راجع لأنه كانت تعوزه القوة التى تعتبر الأداة الفعالة فى عالم السياسة.

تدرج ميكافيللى فى وظائف الحكومة فى فلورنسا وكان فى (مجلس الدولة) والمكون من عشرة أعضاء والذى كان يخطط لسياسة فلورنسا الخارجية، وقد أوفد فى بعثات عديدة للإمارات المختلفة فى إيطاليا وخارجها فاستفاد كثيراً من هذه الجولات التى أوقفته على الكثير من خفايا الدول ولمس عن قرب أخلاق رجال السياسة وأساليبهم، وقد تعرضت فلورنسا فى أيامه لهزات عنيفة أطاحت لفترة (بأسرة ميدتشى) الحاكمة وعادت هذه الأسرة لحكم فلورنسا مرة أخرى واتهم ميكافيللى

بالتآمر ضد هذه الأسرة وسجن، لكن البابا ليو العاشر (Leo) أفرج عنه فاختار حياة العزلة بالريف فى سان كاشيانو (San Casciano) حيث ألف كتابه الشهير «الأمير»، وقد كلفه البابا ليو العاشر ببعض المهام السياسية، وحين سقطت أسرة ميدتشى مرة ثانية فى عام ١٥٢٧ لم يستفد من التغيير السياسى الذى طرأ على الأوضاع فى فلورنسا فقد أعتبر من أنصار أسرة ميدتشى فأسيئت معاملته حتى مات فى ٢٣ يونيو ١٥٢٧.

كتاب الأمير:

كتبه فى عام ١٥١٣ وهو فى عزله فى الريف ـ لكنه لم ينشر إلا بعد وفاة مؤلفه بخمسة أعوام، والكتاب دراسة استفاد فيها من خبرته وتجاربه ومن دراسته وعلمه فى التاريخ القديم بوجه خاص، فقد درس تاريخ إسبرطه، وأثينا وطيبه، والفرس، وامبراطورية اسكندر المقدونى والإمبراطورية الرومانية كما درس آراء الفلاسفة والكتاب وخرج من كل هذا ومن تجاربه ومشاهداته بآراء معينة فى أصول الحكم وفن السياسة وفى العلاقة بين الحاكم والمحكومين وفى الوسائل التى تؤدى إلى تحقيق الأمانى القومية، قدم كل هذه الآراء فى كتابه على أمل أن يستفيد بها الأمير أو الحاكم ليحقق الأهداف المرجوة.

والنصائح والمبادىء التى نادى بها والتى وردت فى فصول كتابه بعضها يساير الكثير من المبادىء الأخلاقية والسياسية التى قد تدين بها بعض المجتمعات الإنسانية وبعضهايتعارض تعارضاً صارخاً مع المبادىء الأخلاقية التى ندين بها اليوم ـ مثلاً من مبادئه:

١ ـ إيمانه بأن السيف أصدق وسيلة فى خلق الدولة القوية، فهو ينادى بقيام وحدة سياسية تجمع شتات الوطن الممزق، لكنه لايهتم إذا تمت الوحدة وتحققت سياسة الدولة عن طريق العنف وشن الحروب أو بالإقناع والمسالمة.

٢ ـ من وجهة نظره لأضير من أن يستخدم الأمير الرجال فى تحقيق المخطط السياسى الذى يهدف إليه ثم ينبذهم إذا تطلبت المصلحة الإستغناء عنهم.

٣ ـ جاءت كتابته تحريضاً سافراً على النكوث بالعهود، وهو مبدأ لاتقره المبادىء الأخلاقية اليوم لكنه يقول «يعرف جميع الناس أن المحافظة على العهد من الأمور الجديرة بالبقاء. لكن مع ذلك فقد أثبتت التجارب فى عصرنا هذا أن الأفراد الذين نهضوا بأعمال عظيمة لم يكترثوا فى قليل أو كثير بالمحافظة على وعودهم وعرفوا كيف يحيرون عقول الناس بالخديعة والمكر والدهاء وأصابوا فى النهاية نجاحاً لم يظفر بمثله الأفراد الذين اتبعوا الشرف والأمانة. عليك أن تفهم أن هناك طريقتين لتحقيق الأهداف الأولى الإلتزام بالقانون والثانية استخدام القوة والطريقة الأولى ألصق بالإنسان أما الطريقة الثانية فهى شريعة الوحوش الضارية لكن ثبت فى معظم الأحوال أن الطريقة الأولى غير كافية وبالتالى غير مجدية ولذلك يجب على الأمير أن يتخذ الطريقة الثانية شريعة ومنهجاً، وعليه أن يتدرب كى يكون وحشاً وأن يكون إنساناً فى نفس الوقت».

ويخلص ميكافيللى من هذا العرض بنصح الأمير بألا يقيم وزناً لعهد قطعه على نفسه أو لوعد التزم به إذا كان الوفاء بالعهد يُعرضه للخطر، ولأن الناس أشرار لايحترمون العهود فالأمير فى حل من أن يتمسك بعهد أو وعد أو يحنث به.

٤ ـ يقرر ميكافيللى مبدأ خطيراً آخراً هو أن الإنسان لايقدم على فعل الخير إلا مكرهاً فلا مناص من استخدام الضغط والعنف بشتى صوره وأنواعه حتى يمكن حجب نزعته الشريرة وحمله على فعل الخير.

٥ - وميكافيللى يعرض نظرية سياسية واجتماعية خطيرة هى أن (الغاية تبرر الوسيلة) وأن السياسة لامكان فيها للأخلاق.

فهو يجيز لمن يريد إنشاء دولة قوية وتدعيمها أن يلجأ إلى الرذيلة والخداع والبطش والقسوة وجميع أنواع الجرائم وهو يطلب من الأمير أن يكون بارعاً فى الكذب والغش ومنافقاً يتظاهر بالتحلى بالصفات الحسنة فى الوقت الذى يظهر فيه على غير ذلك فيقول: «إنه كثيراً مايضير الأمير أن يتحلى بالصفات الحسنة وأن يعمل على هداها فى حين أنه من الخير أن يبدو فقط متحليا بها، إنه لاحرج على الأمير أن يأثم فى حق الدين والفضيلة والإنسانية إذا رأى أن المحافظة على الدولة تتطلب منه إرتكاب مثل هذه الآثام، فمبادىء الدين أو الأخلاق لايجب أن تقف عائقاً فى سبيل المحافظة على كيان الدولة».

وينصح الأمير عندما يقتضى الأمر اتخاذ الإجراءات والتدابير الصارمة أن يتوارى ويعهد بتنفيذها إلى مندوبيه فيتعرضون هم وحدهم لسخط الجماهير بينما يبقى الأمير بمنأى عن هذا السخط، ويذكر أنه يجدر بالأمير أن يرهبه رعاياه ويخشون بأسه وسطوته بدلاً من أن يكون محبوباً لديهم فالبشر بصفة عامة جاحدون للجميل، وبينما يسدى ميكافيللى النصح للأمير بالإلتجاء إلى القسوة أسلوباً فى حكم رعاياه فإنه يفرق بين نوعين من القسوة - قسوة حكيمة وقسوة طائشة.

والقسوة الحكيمة فى رأيه هى التى تتمثل فى الإجراءات العنيفة التى يتخذها الحاكم دفعة واحدة فيقضى على الإضطرابات ويجعل كل من تحدثه نفسه بالفوضى أن يرتدع، أما القسوة الطائشة فهى التى تستخدم بإستمرار دون لزوم وفى هذا يقول: «إن الإساءة يجب أن تتم مرة واحدة فتنسى سريعاً أما النعم المقدمة فيجب أن تمنح بالتدريج فيعظم قدرها فى عين المواطنين فتكون أجمل وقعاً».

٦ ـ ويقول ميكافيللى إن قوة الدولة فى قوة جيشها وللجيش مهمة حماية الأمن الخارجى وتوطيد الأمن الداخلى، وينصح الحاكم بإلتزام القسوة المتناهية مع جنود جيشه لأن ذلك هو أساس الضبط والربط فهو ينادى بمبدأ القوة ولا يحفل بسيطرة حكم القانون، ويرى فى إخفاق سافونا رولا الراهب الثائر دليلاً على سيادة مبدأ القوة.

٧ ـ يشيد ميكافيللى بالنظام الملكى فى فرنسا فى عهده، فبينما البرلمان يُرضى رغبات الشعب ويحد إلى حد ما من سيطرة النبلاء فإن الملوك لم يعرضوا أنفسهم لغضب النبلاء ويطلب ميكافيللى من الأمير أن يُحسن إختيار وزراءه وأن يراقبهم بدقة.

٨ ـ ومع تقديره للدور الهام الذى يلعبه الحظ فى حياة الإنسان فإنه يؤمن بالكفاءة والمثابرة.

ملاحظات على المبادىء التى دعا إليها ميكافيللى:

١ ـ نلاحظ على مبادئه أن فيها إزدواجية وفيها متناقضات، مثلاً نراه يتأرجح بين نظم الحكم المختلفة الجمهورى والملكى، وينصح بالإبتعاد عن النسائيات بينما هو ينغمس فيها ويطلب التمسك بمواقف معينة ثم يعود فيطالب بالتخلى عنها.

وعلى كل هو يحقق ما قاله الفيلسوف الفرنسى باسكال «إن النفس البشرية خُلقت من متناقضات».

٢ ـ خرج عن تقاليد العصور الوسطى فنبذ الناحية الدينية وتجاهل تعليم الأديان السماوية وتغاضى عن المقومات الأساسية للأخلاق العالية وأخضعها كلها للمصلحة السياسية.

٣ ـ طالب بأن يكون الشعب أداة مسخرة فى يد الحاكم وأن تكون مصلحة الحاكم وهى مصلحة الدولة ـ مقدمة عل كل اعتبار آخر فهو ينادى

بالسياسة الملتوية الغادرة إذا كان فى اتباعها المحافظة على كيان الدولة.

٤ - نلاحظ أن معظم الساسة فى عصره مارسوا الإتجاه الواقعى غير الأخلاقى الذى نادى به هو، مارسوه عملياً إلا أنهم لم يسجلوا على أنفسهم هذه الآراء كتابة، أما ميكافيللى فقد كانت له الجرأة على تسجيل واقعية عصره ونزعته فى السياسة والأخلاق.

٥ - أقام ميكافيللى الدولة على أساس السياسة والجيش كله لكنه أغفل ذكر المقومات الأخرى للدولة مثل الدين والثقافة.

هذا وقد انقسم الباحثون تجاه آراء ميكافيللى السياسية والإجتماعية هذه إلى فريقين متباعدين معارضين ومؤيدين.

فالمعارضون يرون أنه أسوأ مثل السياسى الذى يُنادى بمبادىء تنهى عنها الأخلاق وأن الحكام المستبدين اتخذوا آراءه ذرائع للجرائم السياسية الكبرى والإضطهادات الدينية وغيرها.

أما المؤيدون فيرون أن ميكافيللى كان أحد أعلام الفكر الأوروبى الحديث وإنه كان رجلاً وطنياً من الطراز الأول يعمر قلبه بالإيمان وحب الوطن ووحدته وأنه كان فى سلوكه الشخصى ذا خلق قويم، فإذا كان الحكام المستبدون قد اخذوا من كتابته ومبادئه تكأة للمضى فى سياستهم الإستبدادية فليس الذنب ذنب مكيافيللى لأن الإستبداد فى طبيعتهم وهو لا يكتسب من كتبه.

ولقد لقيت آراء ميكيافيللى إستجابة واستحساناً من عدد كبير من ملوك أوروبا فسار (فيردريك الأكبر) ملك بروسيا على نفس النهج السياسى لمكيافيللى. كذلك نابليون بونابرت آمن بسياسته، وقد وجدت نسخة من كتاب الأمير فى مخلفاته عقب معركة واترلو، وكتب موسولينى

سنة ١٩٢٤ يقول: «إننى أقول إن مذهب مكيافيللى تدب فيه الحياة اليوم أكثرمما كانت تدب فيه منذ أربعة قرون من الزمان».

ولقد أصبحت اليوم لفظة المكيافلية Machiavelism فى مجتمعنا مرادفة لمعنى التصرفات التى يشوبها الغدر والدهاء والأنانية وغيرها من الصفات التى نادى بها مكيافيللى.

وغدت كلمة مكيافيللى يوصف بها الشخص الذى يمارس فى حياته أسلوباً يقوم على الغدر والخيانة وما إلى ذلك منعدم الإلتزام بالمبادىء الخلقية ابتغاء الوصول إلى تحقيق أهدافه فى الحياة.

٣ ـ توماس مور

(١٤٧٨ ـ ١٥٣٥)

ولد توماس مور فى لندن فى ٧ فبراير ١٤٧٨ وكان والده جون مور من رجال القضاء واستطاع أن يلحق إبنه لخدمة الكاردينال مورثون رئيس أساقفة كانتربورى، وكان الإلتحاق بمثل هذا العمل يُعتبر فى ذلك الوقت شرفاً عظيماً تسعى إليه العائلات الكبيرة لتربية أولادها.

والتحق مور بعد ذلك بجامعة اكسفورد حيث درس القانون ونبغ فيه وبدأ حياته العلمية سنة ١٥٠٠ محامياً ثم محاضراً فى القانون.

ومرت عليه فترة من حياته اتجه فيها إلى التفكير الدينى، وتعذيب النفس والتقشف بقصد تنقية نفسه حتى أنه كان ينام على سرير خشن من ألواح خشبة فحسب.

ولكن بعد أربع سنوات إنضم لجماعة الإنسانيين (Humanitarians) وأقبل على الحياة الفعلية الهادئة وتأثر بشخصية إيرازمس.

وفى سنة ١٥٠٤ دخل توماس مور مجلس العموم وكان عمره وقتئذ ٢٦ عاماً وكان له فى المجلس موقفاً خاصاً أدى لشهرته وذياع صيته ـ فقد

تقم الملك هرى السابع ملك انجلترا إلى البرلمان طالباً إعطاته منحة مالية كبيرة بلغت ٣٠٠٠٠ جنيه ليزوج ابنته، وكان من حوق الملك الإقطاعية المطالبة فى مثل هذه الظزوف بمثل هذه المنح، ولم يجد أحد من أعضاء المجلس لديه الشجاعة للإعتراض على ضخامة المبلغ إلا مور الذى رفض إقرار المنحة بهذه الضخامة، فقرر المجلس تخفيضها إلى ١٣٠٠٠ جنيه، وقد أسر الملك هرى له هذا الموقف وكان أن صدر الأمر باعتقال والده جون مور وأطلق صراحة بعد دفع غرامة كبيرة، أما توماس نفسه فقد انسحب من الخدمة العامة وانزوى فى عزلة وكان يرتب للهرب من انجلترا لكن مات هنرى السابع فى سنة ١٥٠٩ وخلفه هنرى الثامن فعاد توماس إلى الإشتغال بالمحاماة وكان نجاحه فيها من الأمور التى لفتت أنظار الملك هنرى الثامن ووزيره توماس ولزى (R. Wolsey) فقرباه إلى القصر وأرسل فى بعثات دبلوماسية لبعض البلاد لعقد اتفاقات اقتصادية وسياسية بينها وبين انجلترا، وقد أصبح توماس مور بعد ذلك عضواً فى المجلس المخصوص ومنح فى عام ١٥١٩ لقب (سير) وأصبح فى عام ١٥٢٣ رئيساً لمجلس العموم البريطانى.

ولم تغير هذه المناصب من توماس مور وظل وفياً لمبادئه، وقد أثارت شعبيته رئيس الوزراء فحاول إبعاده والتخلص منه فعينه سفيراً فى أسبانيا ـ لكن توماس مور اعتذر باعتلال صحته، فعينه الملك هنرى الثامن كبيراً لقضاة انجلترا، لكن حدث خلاف عميق بين الملك وبينه لسببين:

١ ـ رفض مور مسايرة الملك فى طلبه حق الطلاق من زوجته كاترين (Catherine) ليتزوج فتاة صغيرة (آن بولين) كان قد هام بها.

٢ ـ عدم مؤازرته لموقف الملك من حركة الإصلاح الدينى بانجلترا وانتهى الأمر بتدبير مكيدة له واتهم بالخيانة وظل مدة أربعة أعوام فى السجن، ثم قُدم للمحاكمة وحُكم عليه بالإعدام ونفذ الحكم فى ٧ يوليو سنة

١٥٣٥، واشتهر مور كمصلح سياسى واجتماعى بسبب كتابه الذى وضعه أثناء إحدى رحلاته وتصور فيه رحلة خيالية ممتعة إلى جزر خيالية تتمثل فيها الحياة الإجتماعية والسياسية المثلى فأعطى له صورة للمجتمع المثالى كما تخيله.

وقد أطلق على كتابه اسم يوتوبيا (Utopia) ومعناه عالم الكمال أو المدينة المثالية.

وقد ظفر الكتاب بشهرة واسعة وتهافتت عليه الجماهير التى كان المؤلف يتمتع بمكانة طيبة بينها لشجاعته ومواقفه فى جانب الحق. وفى المدينة الخالية التى تصورها يتكلم السكان لغة واحدة ويرتدون زياً موحداً عبارة عن حلة لاتعوق حركة الجسم، وأبرز أهمية الإنتاج الزراعى للمجتمع، وإلى جانب الزراعة يتعلم صناعة أخرى عليه أن يتقنها، وساعات العمل فى هذا المجتمع محددة، وهناك قوانين إجتماعية خاصة فى هذه المدينة، وتحدث عن حرية العقيدة وعن الملكية الخاصة وأشار إلى الحروب والسلام فأهل يوتوبيا يمقتون الحرب ويرون أنها نكسة ترتد بالإنسان إلى عصور الهمجية المتوشحة لكنهم مع ذلك يهتمون بتدريب الأجيال الصاعدة تدريباً عسكرياً صارماً كى يكونوا جميعاً مستعدين للدفاع عن بلدهم إذا هاجمهم عدو، وليخفوا لنجدة أصدقائهم إن داهمهم خطر غزو أو ليحرروا شعباً يتطلع إلى الحرية لأن سكان الجزيرة يريدون أن يجعلوا من أنفسهم حماة الحرية والأخاء.

وهم يؤمنون أن هناك وسائل غير الحرب لفض المنازعات منها الذكاء والدهاء والحيلة، واستخدام العقل والفكر عندهم هو الجدير بالإنسان.

أما الحروب وما يتخللها من تقتيل وإراقه لدماء الضحايا هى وسيلة تلجأ إليها الأسود والذئاب والكلاب وكل ذى ظفر وناب.

استهدف مور فى كتابه يوتوبيا عدة أغراض منها:

١ ـ الحملة العنيفة على النظام الرأسمالى الذى كان يسود انجلترا فى وقته وسوء توزيع الثروة والدعوة إلى الإشتراكية وإذابة الفروق بين الطبقات والحد من الملكية الخاصة.

٢ ـ تحديد حد أقصى لدخل الفرد أو للملكية العقارية من أرض وغيرها للتخفيف من وطأة الظلم الإجتماعى.

٣ ـ تنظيم العلاقات الدولية على نحو جديد يُبعد عن الإنسان شبح الحروب كوسيلة لفض المنازعات.

٤ ـ دعا إلى حرية العقيدة والتسامح الدينى والإبتعاد عن الخلافات الدينية المذهبية التى تمزق الأمة الواحدة وتغرقها فى بحر من الدماء، ومبدأ التسامح الدينى الذى نادى به يتعارض تعارضاً كاملاً مع الفكرة السائدة فى عصره فى ضرورة إزالة الأنقسام الدينى للقضاء على المذاهب المعارضة للمذهب الرسمى للدولة، وقد قامت الحروب الدينية من أجل تحقيق هذا المبدأ فى النصف الثانى من القرن السادس عشر، ولذلك كان توماس مور من هذه الناحية سابقاً فكرياً للعصر الذى عاش به.

٥ ـ حمل فى كتابه حملة شعواء على بعض القوانين المعمول بها فى انجلترا فى وقته والتى رأى أنها جائرة.

٦ ـ هاجم فى كتابه المبادىء الإجتماعية التى سادت البلاد الأوروبية عامة وقابلها بالمثل العليا التى هداه تفكيره إليها وجعلها مهيمنة على شئون الناس والحكام فى عالم الكمال الذى وصفه.

❊ ❊ ❊

ثانياً: حركة الإصلاح الدينى

أ ـ والحروب الدينية فى أوروبا

تعتبر الحركة الدينية التى اشتدت جذوتها فى القرن السادس عشر الميلادى من أكبر وأبرز معالم التاريخ ولاتزال نتائجها باقية إلى اليوم تتمثل فى المذاهب الجديدة التى أتت بها حركة الإصلاح الدينى وفى الإنقسام الدينى فى أوروبا بل وفى العالم الذى يدين بالمسيحية، وكما سنرى أن هذه الحركة جرت أوروبا إلى حروب دموية حامية، وكانت هذه الحركة أعنف ضربة تلقتها الكنيسة الكاثولوكية فى القرن السادس عشر، وترتب عليها أن خرج على هذه الكنيسة أكثر من نصف أوروبا الغربية التى كانت تدين لها بالولاء الدينى والتى ظلت أكثرمن ألف عام تحت نفوذ كنيسة روما.

ولعلنا نتساءل عن العوامل التى دفعت إلى هذه الحركة الدينية وانتشارها.

من أهم العوامل:

١ ـ التدهور الذى أصاب البابوية ورجال الدين فى روما:

فقد حدث إنشقاق بين رجال الدين فى روما ترتب عليه أنه وُجد فى بعض الأحيان على رأس العالم المسيحى الغربى ثلاثة بابوات (فى مدينة افينون الفرنسية وروما وبيزا الإيطالية) يتنازعون على زعامة العالم المسيحى ويطعن كل منهم فى صلاحية الآخرين لتولى كرسى البابوية.

وأدى هذا بالطبع إلى أن فقدت البابوية هيبتها، واهتزت مكانتها فى نظر المسيحيين، هذا بالإضافة إلى ما وصل إليه كبار رجال الدين من تكالب على الإثراء والبعد عن التضحية وحياة التقشف فانهمكوا فى الملذات وحياة البزخ والترف بل والمجون والفسق ثم زجوا بأنفسهم فى

غمار الحياة السياسية فشاعت فى المجتمع البابوى فى روما وسائل التآمر والغدر والاغتيال بالسم وإثارة الحروب لتحقيق أغراض دنيوية.

وقد ظهر مصلحون نادوا بأن على الكنيسة ورجال الدين أن يصلحوا أنفسهم، ونذكر على سبيل المثال حنا ويكليف (Jean Wycliff) الإنجليزى (١٣٢٨ ـ ١٣٨٣) الذى درس فى جامعة أكسفورد وشغف بالدراسة الدينية وقام يدعو إلى أن رجال الدين يجب أن ينصرفوا إلى واجبهم الأساسى وهو العمل على إعلاء كلمة الله وأن إتجاههم إلى جمع الثروات الكبيرة إنحراف يؤدى إلى إقفار خزانة الدولة، وهاجم حياة الرهبنة واعتبرها إستكانة لحياة الكسل والهدوء، وإن تدخل رجال الدين فى حياة الناس الخاصة بادعائهم أنهم حلقة الوصل بين الإنسان وخالقه أمر يتنافى مع الدين الصحيح.

كذلك ظهر حنا هس (Jean Huss) التشيكى (١٣٧٠ ـ ١٤١٥) الذى كتب عدة مقالات ندد فيها بالحياة الماجنة الت يعيشها رجال الدين، وهاجم صكوك الغفران وقال إن أوامر البابا إذا تعارضت مع ما جاء فى الكتاب المقدس فليس هناك ما يُلزم باتباعها، وقد أصدر البابا قراراً بحرمان هس، وعقد مجلساً مسكونيا فى مدينة كونستانس (Constance) فى عام ١٤١٤، ودعا هس لحضور جلساته للدفاع عن نفسه لكنه لم يكد يذهب إلى مقر المجلس حتى قُبض عليه وصدر قرار المجمع بإعدامه حرقاً ونُفذ فيه الحكم فى ٦ يوليو ١٤١٥، وكان تنفيذ الحكم بمثابة الشرارة التى أثارت حركة عنيفة ترتب عليها قيام حرب طاحنة بين البوهيميين وقوات البابوية استمرت ١٢ سنة وانتهت بانتصار البوهيمين مما هز مركز البابوية.

٢ ـ انتشار روح النقد والتحرر الفكرى:

تحرر الكتاب والمفكرون من القيود التى فرضتها الكنيسة على العقول وعلى الكتابة والخطابة وأدى هذا لكشف النقاب عن فضائح رجال

الدين وظهرت للعيان الإنحرافات الدينية التى أذاعوها وانبرى عدد من رواد الفكر لإظهار كل هذه النقائص، وتصدت البابوية لهذه الحركة الإصلاحية وهاجمت دعاة الإصلاح ووصفتهم بالزندقة والكفر وأدى هذا لصراع مرير.

٣ ـ رغبة حكام المانيا فى التخلص من سيطرة كنيسة روما:

فقد كانت المانيا منقسمة إلى عدة وحدات سياسية تجاوزت ٣٥٠ وحدة، وكان حكام هذه الوحدات يرون أن سلطان البابا تحد من حريتهم واستقلالهم وحتى يخضع رجال الدين الألمان لسطات حكومتهم بدلاً من سلطان البابوية، وكانت كذلك أراضى كثيرة فى الأقاليم الألمانية تابعة للكنيسة وتخضع لسلطان البابوية فرأى حكام المانيا أن تخلصهم من سلطان البابوية يعنى أن يمتد سلطانهم إلى هذه الأراضى الشاسعة فلا تتسرب الأموال الألمانية إلى روما.

٤ ـ صكوك الغفران:

كانت هذه هى السبب المباشر للحركة الثورية التى قام بها (مارتن لوثر)، وقد نشأت فكرة هذه الصكوك عن فكرة دينية اتبعها رجال الدين وروجوا لها، مؤداها أن الإنسان إذا ارتكب خطيئة وندم على إرتكابه لها وتاب عنها ثم اعترف بها أمام رجال الدين ـ فإنه لايدخل الجنة مباشرة لكنه يظل فترة عن الزمن قد تطول وقد تقصر (المطهر) ليتطهر تماماً من ذنوبه، وقد أشاع رجال الكنيسة أن العذاب الذى يلقاه المذنب التائب فى أثناء وجوده فى المطهر يمكن تحقيقه بالحج إلى بعض كنائس روما والصلاة فيها ثم زيارة قبور الرسل، وتطورت فكرة تخفيف عذاب المطهر فأجاز رجال الكنيسة تقديم الهبات المالية للكنيسة لشراء ما أطلق عليه اسم (صكوك الغفران) بدلاً من تحمل مشقة الحج إلى روما.

وتطور أمر هذه الصكوك واتسع نطاقها إذ أخذ بابوات روما يرسلون

مندوبين عنهم إلى مختلف أقاليم أوروبا لبيع صحوك الغفران، ووجدت البابوية فى هذه الصكوك مورداً مالياً غزيراً سهل المنال لا ينضب معينه، وزاد إقبال الناس على شراء هذه الصكوك كلٌ حسب مقدرته المالية فتوسعت عمليات توزيع الصكوك بل زعموا أن أثرها يمتد إلى الموتى وأن فى إمكان أى انسان حى له عزيز احتواه القبر أن يشترى نيابة عنه صكوك الغفران وغير ذلك ليغفر الله لهذا الميت ذنوبه، وأصبحت هذه الصكوك تباع بالجملة بل ومقدماً لغفران جميع الخطايا سواء التى ارتكبها الإنسان فى ماضيه أو التى سوف يرتكبها فى مستقبله فأصبحت تحريضاً سافراً على الإنغماس فى الخطايا طالما أن مرتكبها سيكون بمنجاة من عذاب الآخرة.

وتطورت الأمور فى هذا الشأن حتى أن البابوات أصبحوا يعهدون لبعض المصارف المالية فى المانيا ببيع هذه الصكوك لعملاء البنك فأصبحت عملية مصرفية هدفها الأول والأخيرحصول الكنيسة على أموال ضخمة تحت ستار دينى مصطنع هو صحوك الغفران التى صُورت على أنها بمثابة تذاكر تُبيح لحاملها فرصة دخول الجنة.

وقد برر بعض المؤرخين الأوروبيين هذا التصرف من البابوية بأنها كانت فى حاجة ماسة للمال لإعادة بناء كنيسة القديس بطرس فى روما، وأن هذا هو الدافع لهذا التهافت العجيب على تشجيع عمليات بيع صكوك الغفران بمختلف الوسائل، وقد كان بيع صكوك الغفران مثار سخط عميق عند كثيرين من المفكرين الأحرار فاندفع عدد كبير منهم يستهجنون الفكرة من أساسها.

ولما وقف مارتن لوثر (Martin Luther) وقفته الشجاعة ضد هذا العمل لأحد الرهبان الذين كانوا يعملون بدأب لترويج علمية بيع صكوك الغفران - بدأت الحركة الإصلاحية فى ألمانيا ضد كنيسة روما.

ب ـ مارتن لوثر (١٤٨٣ ـ ١٥٤٦) وحركته الدينية

ولد لوثر فى مقاطعة سكسونيا بألمانيا من والدين فقيرين يعملان بزراعة الأرض واستطاع رغم هذا أن يلتحق بجامعة ارفورت (Erfort) حيث درس القانون.

وفى عام ١٥٠٥ دخل الدير وأصبح راهباً وتوفر على العبادة وأخذ نفسه بالشدة والتقشف وعكف على دراسة الكتب المقدسة، ثم دخل فى عام ١٥٠٨ جامعة وتنبرج ليستكمل دراسته فى اللاهوت، وزار روما فى عام ١٥١١ فى مهمة رسمية بصفته ممثلاً لطائفة القديس اغسطينوس، وكانت هذه الزيارة محور تحول خطير فى حياته فقد هاله ما رآه من إنهيار المعايير الأخلاقية لدى رجال الدين هناك، وقد عبّر عن ذلك بقوله ·إن كل من يذهب إلى روما يشعر بأن عقيدته الدينية تترنح تحت الضربات التى تصيبه من جراء ما يرى هناك) فعاد إلى وتنبرج وقلبه مفعم بالسخط على رجال الدين.

وفى العالم التالى ١٥١٢ عُين استاذاً لكرسى اللاهوت فى جامعة وتنبرج (Witenberg) وكانت هذه فرصته الذهبية للدراسة والبحث والتفكير الحر، وحدث أن هبط مدينة وتنبرج فى عام ١٥١٧ راهب يدعى حنا تتذل (J. Tetzel) جاء لبيع صكوك الغفران فقد وصل هذا الراهب فى دعايته لصكوك الغفران وتأثيرها إلى حد الإبتذال مما أثار لوثر فانتهز هذا فرصة الاحتفال بتدشين كنيسة وتنبرج فعلق على باب الكنيسة احتجاجاً من ٦٥ بنداً ضد صكوك الغفران ودعا كل من يريد من العلماء لمناقشته فى هذه البنود التى هاجم فيها صكوك الغفران بل هاجم الغفران نفسه كعملية دينية تمارسها الكنيسة الكاثوليكية، وأوضح أن ذلك يتنافى مع المسيحية الحقيقية، وقرر فى جرأة منقطعة النظير أن البابا لا يستطيع غفران

الذنوب، وأن الله وحده هو الذى يغفر الذنوب، وصرح بأن الكتاب المقدس وحده هو القانون الذى يجب الإعتماد عليه فى تفسير جميع المسائل الدينية وأكد أن البابا لو علم بأساليب العنف والظلم التى يمارسها مندوبوه فى بيع صكوك الغفران لفضل بلا شك رؤية كاتدرائية القديس بطرس وهى تلتهمها النيران وتصير رماداً بدلاً من أن يراها مشيدة على جلود وعظام ولحوم رعاياه المسيحيين.

وكان لهجوم لوثر هذا على صكوك الغفران بعيد الأثر فى نفوس المسيحيين، لأن مساوىء رجال الدين كانت قد وصلت إلى درجة كبيرة ـ لكن لم يكن أحد يتوقع أن الأمر يتطور إلى ثورة دينية تؤدى إلى إنقسام فى العالم المسيحى وإلى حروب دينية طاحنة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وقد بذلت البابوية محاولات لإلقاء القبض على لوثر وترحيله إلى روما لكنها اخفقت بفضل حماية (فريدريك) أميرسكسونيا له، فرأى البابا أن يسلك مع لوثر طريق الإقناع فأرسل إليه أحد رجال الدين لمجادلته لكن هذه الوسيلة لم تُجد. وفى عام ١٥١٩ نظمت مناظرة بين لوثر وبين حنا ايك (J. Ech) وهو من أكبر أنصار الكنيسة الكاثوليكية فى ليبزج ـ لكن لوثر صرح بأن صحوك الغفران بل والبابوية ذاتها بدعة مستجدة لم تكن معروفة فى عهد الرسل الأولين وأن المجامع الدينية ليست معصومة من الخطأ.

ودعا لوثر حكام المانيا لإرغام الكنيسة على قبول الإصلاح طالما أنها لم تستجب للدعوات المتكررة لتصلح نفسها بنفسها:

وقد لخص لوثر المبادىء التى نادى بها فيما يلى:

١ ـ إخضاع رجال الدين للسلطة المدنية.

٢ ـ إباحة زواج رجال الدين وقد تزوج هو فيما بعد بإحدى الراهبات كاترين بورا (Catherine Bora).

٣ ـ الحد من الأديرة والإتجاه لإلغاء الرهبنة والديرية.

٤ ـ ليس للبابا الحق فى إحتكار تفسير الإنجيل.

وفى سنة ١٥٢٠ كتب لوثر رسائل موضحاً وجهة نظره فى الإصلاح الدينى، وقد وجه إحدى هذه الرسائل للبابا ليو العاشر نفسه، فما كان من البابا إلا أن أصدر قرار الحرمان ضد لوثر وندد بآرائه التى أثارها ضد صكوك الغفران وسلطة البابا وقوله بأن رجال الدين ليسوا منزهين عن الخطأ وأن إحراق المارقين أمر لاتقره المسيحية.

وطلب البابا من شارل الخامس (Charles v) إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة تنفيذ قرار الحرمان البابوى.

لكن لقى لوثر الحماية من فردريك أمير سكسونيا الذى أنزله فى قلعة حصينة حيث عكف لوثر على ترجمة الإنجيل إلى اللغة الألمانية فأتاح بذلك للشعب الألمانى فرصة قراءته وتفهمه.

وقد انضم إلى حركة لوثر بعض فلاسفة المانيا وكان لتأييدهم أكبر الأثر فى نشر آراء لوثر، هذا على أن الأراء التى نشرها لوثر مثل الحرية والأخاء وجدت إرتياحاً من كثيرين ممن كانوا يعانون من المظالم أوممن كانوا يطمعون فى تغيير أحوالهم الاقتصادية أو من دوى الأطماع الشخصية، فقامت عدة حركات من أهمها ثورة الفلاحين الذين كانوا لايزالون يعانون من بقايا بعض قيودالعصور الوسطى.

واتخذت حركة الفلاحين صورة عملية حين أصدروا فى مارس ١٥٢٥ بياناً طالبوا فيه بإلغاء الكثير من القيود المتبقية من العصور الوسطى، فطالبوا بتحديد القيمة الإيجارية للأراضى الزراعية والمطالبة بالعديد من الحقوق التى كانوا محرومين منها، وتطورت ثورة الفلاحين

و تشرت فى كثير من أنحاء المانيا وانتهزت بعض العناصر هذه الفرصة ، ندست بين صفوف الفلاحين واستغلت حماسة بعض القائمين بالحركة هاجمة الأمراء ورجال الدين ومن إليهم من أصحاب الثروات.

وهال لوثر أن تنحرف حركته إلى هذا الأتجاه أو أن يستغلها بعض أصحاب المصالح الشخصية لتحقيق مآربهم فهب لدعوة الجماهير لمقاومة هذه الثورة الجامحة، ولما لم تنجح محاولته دعا الأمراء لسحق الثورة، ونجحت قوات الإمبراطور شارل الخامس فى أن تُخمد ثورة الفلاحين - لكن أثر هذا الاتجاه الذى اتجهه لوثر على حركته ففقدت شعبيتها ولم يكن فى استطاعة الإمبراطور الألمانى أن ينتهج خطة حامسة للقضاء على اللوثرية فقد كانت بلاده معرضة لخطر الأتراك العثمانيين، بالإضافة لمشكلاته مع فرنسا وأتاح هذا للوثرية فرصة ذهبية للإنتشار فدخل حكام عدة مقاطعات المانية فى المذهب الجديد الذى اتخذ تسميته من كلمة يحتج (Protest) لأن أنصار الحركة اللوثرية أعلنوا احتجاجهم على قرارات المجمع الإمبراطورى الذى انعقد فى باريس ١٥٢٩ وأصدر عدة قرارات ضدهم.

ورغم الجهود التى بُذلت من الإمبراطور للتوفيق بين البروتستانت والكاثوليك لتجنب الحرب الأهلية فى المانيا - فقد باءت هذه الجهود بالفشل ومات لوثر فى فبراير ١٥٤٦، وبعد موته بأقل من عام كانت المانيا تشهد صداماً مسلحاً بين القوات الإمبراطورية والبروتستانت، وانتهت الحرب التى شنتها القوات الإمبراطورية على البروتستانت بهزيمة البروتستانت، ورغم ذلك حاول الإمبراطور أن يعرض على البروتستانت والكاثيوليك مشروع إتفاق لإنهاء النزاع ودياً بينهم لكن رفض الطرفان هذا المشروع وانقلبت كفة القوتين المتحاربتين حين استطاع لفيف من الأمراء الألمان

البروتستانت إجراء اتصالات مع ملك فرنسا اسفرت عن اتفاق قدمت فرنسا بموجبه للأمراء المساعدة العسكرية وانتهى الأمر بإيقاع الهزيمة بالإمبراطور شارل الخامس الذى لجأ إلى أحد الأديرة فى أسبانيا تاركاً لأخيه فرديناند) أمر تسوية المشكلة الدينية فى ألمانيا، ونجح فرديناند فى تحقيق صلح بين الفريقين على أساس التوفيق بين المذهبين المتعارضين وأتاح هذا الصلح لكل حاكم ألمنى الحق فى أختيار المذهب الذى يريده فى إقليمه، وهكذا دعم هذا الصلح الإنقسام الدينى بين الشعب الإلمانى وجاء هذزيمة للبابوية والكنيسة فى روما فقد انسلخ عتها نصف المانيا.

ملاحظات عامة على حركة مارتن لوثر :

١ ـ اختلفت آراء الكتاب الأوروبيين فى مارتن لوثر ـ فهناك فريق يرى فيه الزعيم الذى استطاع بشجاعته النادرة وحماسه الدينى أن يقف فى وجه البابوية أكبر قوة دينية فى أوروبا فى ذلك الوقت وأن يدعو إلى إرساء قواعد جديدة لحركة الإصلاح الدينى، وأن يبعث فى الأمة الألمانية روحاً جديدة بينما يرى فريق أخر أنه كان متهوراً فى مناقشاته وأنه أدى بذلك إلى تحطيم الوحدة التى كانت تسود أوروبا ودفع بألمانيا إلى حروب دينية ضارية نشرت الخراب فى كثير من أنحاء أوروبا.

ولاريب فى أن الحركة الدينية التى دعا إليها لوثر وحمل لواءها قرابة ثلاثين عاماً كانت بدافع إيمان عميق، وتدل على شجاعة نادرة وقوة تأثير فريدة على اتباعه، ولاشك فى أن لوثر أحد القلائل الذين تركوا آثاراً قوية فى تاريخ الحضارة الأوروبية، كما أن له الفضل فى إرساء دعائم اللغة الألمانية فهو أديب بارز بالإضافة إلى أنه مصلح دينى، لكن يؤخذ عليه إغراقه فى العنف كما كان عنيداً أدى عناده لفشل محاولة زونجلى (Zwingli) زعيم حركة الإصلاح الدينى فى سويسرا (١٤٨٤ ـ ١٥٣١) لإيجاد تحالف بين القوتين.

٢ ـ نظر كثيرون من الألمان للحركة اللوثوية على أنها حركة قومية وكانت نظرتهم للإمبراطور شارل الخامس على أنه امبراطور أجنبى، إذ كان من أصل أسباني، كما كانوا ينظرون للبابوية فى روما على أنها قوة أجنبية أخرى والكنيسة الرومانية على أنها تستخوذ على جزء كبير من إيرادات ألمانيا. وقد نادى لوثر بأن ألمانيا يجب أن تكون للألمان فضرب على الوتر القومى الحساس ولذا قوبلت حركته فى البدء بحماس شعبى منقطع النظير.

٣ ـ ساعد الإنقسام السياسى الذى كانت تعانى منه ألمانيا فى القرن السادس عشر على انتشار اللوثرية فقد وجد الكثيرون من الحكام الألمان فى هذه الحركة فرصة لتدعيم مركزهم فى ولاياتهم والإستيلاء على ممتلكات الكنيسة.

٤ ـ رغم أن اللوثرية كانت موجهة أصلاً ضد البابوية ونفوذها فإن البابوية لم تقف موقفاً حاسماً من الحركة، ويرجع ذلك لأسباب سياسية وقد كان موقف البابوية مثلاً من الإمبراطور شارل الخامس الذى أوقع هزيمة بالبروتستانت موقف التخاذل بل وقفت فى صف فرنسا ضد الإمبراطور.

٥ ـ أما فرنسا فرغم أنها دولة كاثوليكية تعقبت البرتستانت فى أرضها بلا رحمة فإنها كانت تساعد البروتستانت فى ألمانية نكاية فى الإمبراطور الألمانى.

٦ ـ أما الإمبراطور شارل الخامش فرغم انحيازه للكاثيوليك ورغم أن تقاليد أسرته كانت تحتم أن يقضى بجزم على البروتستانت ـ لكنه حاول فى معظم المراحل التى مرت بها الحركة اللوثرية أن يسعى للتوفيق بينها وبين الكاثوليك كما أن الموقف السياسى بين ألمانيا

وفرنسا جعله يتدخل فى الأمر وأنهى الصراع لصالح البروتستانت، هذا على أن الزحف العسكرى للعثمانيين فى أوروبا وحوض البحر المتوسط وشمال أفريقيا أملى على الإمبراطورية عدم القيام بحركة حاسمة ضد اللوثرية.

٧ ـ شقت اللوثرية طريقها وسط هذه الظروف وانتشرت على وجه الخصوص فى شمال المانيا كما انتشرت فى بلاد أوربية أخرى كسويسرا وهولندا وانجلترا وانفصلت هذه البلاد عن كنيسة روما وبقيت الكاثوليكية سائدة فى النمسا وفرنسا وأسبانيا وشبه جزيرة إيطاليا وبلجيكا، وظهرت حركات بروتستانتينية أخرى تعارض الكاثوليكية من أشدها الكلفينية التى تنسب إلى حنا كليفين (Jean Calvin) (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤) وهو فرنسى المولد لكن نشاطه كان فى جنيف وتتفق المبادىء التى نادى بها كثيراً مع مذهب لوثر.

❀ ❀ ❀

جـ - الحروب الدينية فى أوروبا

ترتب على حـركـة الإصـلاح الدينى فى أوروبا وجـود قـوتين متصارعتين:

(١) البروتستانتينية بمذاهبها المختلفة.

(٢) الكاثوليكية فى روما.

وأدى التطاحن بين القوتين إلى الزج بأوروبا فى حرب دينية عنيفة استمرت من أواسط القرن السادس عشر إلى الثلث الأول من القرن السابع عشر.

وكانت الكنيسة الكاثوليكية قد تنبهت إلى ضرورة أن تصلح من أمرها حتى تواجه الخطر المحدق بها نتيجة المذاهب الجديدة.

ولذا عُقد مجلس فى ترنت (Trent) بألمانيا لبحث وجوه الإصلاح.

وتعددت الجلسات التى عُقدت لهذا الهدف استغرقت مايقرب من ٢٠ عاماً بين ١٥٤٢ - ١٥٦٣ - وقد أصدرت هذه المجالس قرارات هامة فى مجال إصلاح الكنيسة الكاثوليكية، وساهم فى انتعاش هذه الكنيسة ونهضتها ظهور جماعة الجزويت أو (اليسوعيين) فى عام ١٥٤٠.

هذا بينما ظهرت جماعة أخرى لمسايرة الحركة الكلفينية والعمل على نشرها هى جماعة (الهجونوت).

وقد اصطبغ الصراع بين القوتين المسيحيتين بالصبغة السياسية بالإضافة إلى الصبغة الدينية، وشمل عدة دول فى أوروبا.

ولكن من أهم هذه الصراعات :

١ - الصراع بين أسبانيا والأراضى المنخفضة.

٢ - الصراع فى فرنسا ذاتها بين الكاثوليك والبروتستانت.

٣ ـ الصراع فى انجلترا بين أتباع الطائفتين.

وسنلقى نظة على هذه الصراعات.

أولاً: الصراع بين أسبانيا والأراضى المنخفضة

(١٥٦٦ ـ ١٦٠٩)

قامت فى أسبانيا مملكة موحدة نتيجة لزواج فرديناند أمير أرجون بايزابيلا أميرة قشتاله، وأصبح حفيدهما (شارل الأول) الذى تولى الحكم فى ١٥١٦ ملكاً لأسبانيا ـ لكنه فى عام ١٥١٩م أصبح أيضاً إمبراطوراً للدولة الرومانية المقدسة وتلقب حينئذ بلقب الإمبراطور شارل الخامس (Charles v)؛ وورث بالإضافة إلى ذلك حكم الأراضى المنخفضة، ونابولى وميلان، وصقلية.

وكان عصر شارل الخامس حافلاً بالحروب ـ من أبرزها الحروب بين فرنسا وأسبانيا والتى اتخذت من إيطاليا مسرحاً لها ولذا عرفت (بالحروب الإيطالية).

وفى عام ١٥٥٦ اعتزل شارل الخامس الملك تاركاً الحكم لأخيه فيليب الثانى (١٥٥٦ ـ ١٥٩٨). وفى عهد فيليب الثانى إنتهت الحروب الإيطالية بصلح كاتوكامبرسيس (Cateau Campresis) الذى عقد فى ١٥٥٩ وبموجبه احتفظت اسبانيا بسيطرتها على نابولى، وميلان فى إيطاليا، وذلك بسيطرتها على الأراضى المنخفضة.

وكانت الأراضى المنخفضة فى ذلك الوقت من ١٧ مقاطعة، منها ٧ مقاطعات فى الشمال يشتغل معظم أهلها بالأعمال البحرية والزراعة، ١٠ مقاطعات فى الجنوب يشتغل معظم سكانها بالصناعة والتجارة، وقد الت هذه المقاطعات إلى شارل الخامس من الإمبراطور مكسمليان.

وقد انتشرت المذاهب الدينية الجديدة (البروتستانتينية) فى المقاطعات الشمالية على وجه الخصوص، وقد حاول شارل الخامس الوقوف فى وجه انتشار هذه المذاهب البروتستانتينية فى الأقاليم الخاضعة له فى أنحاء إمبراطوريته الواسعة فأصدر عدة مراسيم لمقاومة هذه المذاهب، كما عهد إلى محاكم التفتيش بالوقوف فى وجه البروتستانت بعنف وبلا رحمة وتعقبهم فى كل مكان من الإمبراطورية.

وحين وصل فيليب الثانى للحكم فى عام ١٥٥٦ ـ كانت أسباب الثورة تتجمع فى الأراضى المنخفضة ـ من هذه الأسباب:

١ ـ أساليب فيليب المالية التى ترتب عليها إرهاق أهل البلاد بالضرائب الباهظة.

٢ ـ القسوة التى عاملت بها (محاكم التفتيش) الخارجين عن الكاثوليكية.

٣ ـ كراهية أهل البلاد للسيطرة الأجنبية.

٤ ـ إتجاه فيليب لإنشاء أُسقفيات جديدة أغضب البروتستانت، كما أغضب الكاثوليك الذين رأوا فى ذلك تفتيتا للأسقفيات القائمة.

وقد تشكلت المعارضة للحكم الأسبانى فى الأراضى المنخفضة من البروتستانت والكاثوليك على السواء وتزعم المعارضة (وليم أورنج).

وبلغت الثورة ذروتها فى عام (١٥٦٦) واقترنت بأعمال العنف ـ فأرسل فيليب جيشاً على رأسه أحد قواده الذين اشتهروا بالقسوة هو دوق ألفا (Alva) وأنشأ هذا مجلساً لتعقب الثوار أطلق عليه اسم (مجلس الدم) بسبب أعمال الإرهاب التى اقترفها، فقد تتبع كثيرين من اتباع كلفن وأعدمهم، وأخذ يبذر بذور الشقاق بين الشمال والجنوب وبذلك استطاع إخضاع الإمارات الجنوبية للسيطرة الأسبانية.

وهكذا نجح الأسبان فى تقوية الإنقسام بين الشمال والجنوب، ولكن سيمهد هذا لظهور الدولتين الجديدتين ـ هولنده وبلجيكا.

واتصل وليم أورنج (بالهجونوت) فى فرنسا لوضع خطة مشتركة لغزو هذا الأراضى المنخفضة وطرد الأسبان منها على أن يتحرك أورنج من الشرق بينما يتحرك الهجونوت من جهة فرنسا.

ولكن حدثت فى باريس فى ٢٤ أغسطس ١٥٧٢م مذبحة (سان برثليميو) فى عبد القديس برثليميو استطاع فيها أتباع دوق جيز ـ وهى من أشد المقاطعات الفرنسية تعصباً للكاثوليكية أن يقضوا على كثيرين من البروتستانت، وقد استمرت المذبحة ثلاثة أيام بلياليها وبلغ عدد الضحايا ما يقرب من ٣٠و٠٠٠ من الهجونوت، مما دعا لفشل خطة الهجوم التى دبرها وليم أورنج مع هجونوت بفرنسا.

لكن لم تلبث الولايات السبع الشمالية أن أعلنت إنفصالها عن أسبانيا وعن الولايات الجنوبية واعترفت بأورنج حاكماً، على أن ما فعله الجنود الأسبان فى الأراضى المنخفضة سواء فى الأقاليم الشمالية أو الجنوبية حيث عاثوا فساداً، واستباحوا المدن، خاصة أن رواتبهم أصبحت لاتُدفع لهم بانتظام ـ كل هذا مهد لأورنج فرصة استمالة الجنوبيين إليه، فأتفق على تأليف اتحاد من الولايات الشمالية والجنوبية على أساس حرية العبادة فى كل ولاية، مع الإعتراف الإسمى بسلطان فيليب الثانى.

ولكن فيليب الثانى قرر اعتبار أورنج خارجاً عن القانون وسعى للإيقاع به، وحاول أورنج الاستعانة بالحكومة الفرنسية مستغلاً العداوة بينها وبين أسبانيا لكن حين ظهرت أطماع فرنسا الإستعمارية فى الأراضى المنخفضة أضطر أورنج للإعتماد على نفسه.

فأعلن فى عام (١٥٨١) إنفصال الولايات الشمالية عن أسبانيا، وعكف على وضع دستورها لكن اغتيل أورنج على يد أحد الكاثوليك

المتعصبين الموالين لملك اسبانيا فتسلم الزعامة البروتستانتينية بعده ابنه موريس نساو (M. Nassau).

وقد نجح موريس نساو فى أن يحصل على مساعدة انجلترا له بالجنود والمال، وكان فيليب الثانى متورطاً فى عدائه مع انجلترا الذى انتهى بتحطيم الأسطول الأسبانى فى (١٥٨٨) بالإضافة لتدخله فى شئون فرنسا.

وساعدت هذه الظروف الهولنديين على دعم قوتهم، وإيقاع الهزيمة بالأسبان، وقد تضعضعت قوة أسبانيا بسبب الحروب المتصلة، فأفلست خزانتها ونجح الهولنديين فى أن يوقعوا هزيمة بالأسطول الأسبانى الذى يربط أسبانيا بمستعمراتها.

واضطرت أسبانيا فى عام (١٦٠٩) لقبول الهدنة على أساس الإعتراف بهولنده دولة مستقلة وتم ذلك فى معاهدة وستفاليا (١٦٤٨).

وتحدد (معاهدة وستفاليا) فى الحقيقة بداية طور جديد فى تاريخ أوروبا بعد الحروب الدينية الطويلة، وقد جاء صلح وستفاليا بعد حرب الثلاثين سنة (١٦١٨ ـ ١٦٤٨) فى ألمانيا. حدد هذا الصلح علاقات دول أوروبا من وقد إبرامه حتى الثورة الفرنسية فى ١٧٨٩ أى لمدة تقرب من قرن ونصف وترتب على هذا الصلح تغلغل مبدأ التسامح الدينى وسيادته فى أوروبا.

ثانياً: الصراعات الدينية فى فرنسا
(١٥٦٢ ـ ١٥٩٣)

كان غالية الفرنسيين كاثوليك، لكن كان اتجاه الملوك والشعب إلى أن تكون الكنيسة ذات طابع فرنسى وأن يكون التعيين فى الوظائف الكنسية الكبرى فى يد الملك.

لكن أخذت البروتستانتينية تنتشر فى فرنسا بفضل جهود يوحنا كلفن الفرنسى ورسالته المشهورة إلى الملك فرنسوا الأول، وكتابه عن (تعاليم الدين المسيحى) - وإنضم إليها عدد من الأشراف ومن الطبقة المتوسطة، وتأسست أول كنيسة كلفينية فى فرنسا فى عام ١٥٥٥م، ومن ذلك التاريخ أخذ عدد الكنائس الكلفينية وأتباعها يتضاعف مما دعا ملوك فرنسا يتوجسون خيفة من عواقب هذا الإنقسام الدينى، خاصة بعد النجاح الذى أحرزته اللوثرية فى ألمانيا.

واتجه النضال الدينى فى فرنسا إلى النضال بين الأسر الكبيرة على السلطة فقد تزعمت أسرة جيز (إحى مقاطعات فرنسا) مساندة الكاثيوليك بينما كان الهجونوت أتباع الكلفينية يلقون التأييد من بعض أفراد أسرة البربون.

ولعبت الملكة الوالدة (كاترين دى مديتشى) دوراً حاسماً فى هذه الحروب والإضطرابات - فقد تولى عرش فرنسا فى ذلك الوقت ملوك صغار السن فرنسوا الثانى (١٥٥٩ - ١٥٦٠)، شارل التاسع (١٥٦٠ - ١٥٧٤).

حاولت الملكة الأم الموازنة بين أسرة جيز، وأسرة البربون لتستأثر هى بالسلطة.

وحاولت أن تُرضى البروتستانت بإصدار مرسوم فى عام ١٥٦٢ يُبيح لهم العبادة فى دورهم أو بعيداً عن المدن الكبرى - لكن هذا المرسوم أغضب الفريقين وأثار مذابح عديدة، وأضطرت الملكة الوالدة لإعلان عصيان (الهجونوت) وحرمانهم من حماية القانون فازدادت الحرب إشتعالاً.

وقد استمرت الحروب الدينية فى فرنسا من ١٥٦٢ إلى ١٥٩٣م أى

أكثر من ثلاثين عاماً، وتدخل فيها (فيليب الثانى) ملك أسبانيا لمساندة الكاثوليك بينما لقى الهجونوت المساندة من (اليصابات) ملكة انجلترا.

وكانت الحرب سجالاً ينتصر فريق ثم لا يلبث أن يتقلب ميزان القوة ـ لدرجة أنه حين أظهر الملك (شارل التاسع) ميلاً للهجونوت حتى أنه أرسل النجدة إلى وليم أورنج، وذلك لنقمته على فيليب الثانى متزعم الكاثوليكية فى أوروبا ـ اشتركت الملكة الأم فى تدبير مذبحة (سان برثليميو) فى أغسطس ١٥٧٢ التى قُتل فيها مايقرب من ٣٠و٠٠٠ من الهجونوت.

وقد اعتبر فيليب الثانى ملك أسبانيا هذه المذبحة نصراً للكاثوليك، كما احتفلت روما بها باعتبارها ضربة قاضية موجهة للهرطقة ووصفت بأنها لاتقل فى قيمتها عن النصر الذى أحرزه المسيحيون على الأسطول العثمانى فى معركة لبيانتو فى عام ١٥٧١.

لكن لم يمض على هذه المذبحة عام حتى استطاع (الهجونوت) أن يستعيدوا قوتهم خاصة بعد أن نبذوا فكرة تحويل فرنسا إلى الكلفنية، وأصبح قصار جهدهم هو العيش فى أمان وبحرية فى ظل فرنسا الكاثوليكية، وقد أثر هذا فى عدد من الكاثوليك المعتدلين الذين كانوا يتوقون لإعادة السلام إلى فرنسا وقد أطلق على هؤلاء الكاثوليك لقب (السياسيين). لكن أثار هذا الاتجاه أسرة (جيز) والجزويت وفيليب ملك أسبانيا ـ وتألف ماعُرف (بالحلف أو الإتحاد الكاثوليكى) لمواجهة الهجونوت فى فرنسا ومناصريهم.

على أن الصراع الدينى فى فرنسا لم ينته إلى حين أعلن (هنرى الرابع) من أسرة البربون ـ وكان بروتستانتياً ـ اعتنقاه الكاثوليكية فى عام ١٥٩٣م لمواجهة الإتحاد الكاثوليكى، فوقع الإنقسام فى هذا الاتحاد، وأضطر البابا إلى رفع الحرمان الكنسى الذى كان قد فرضه عليه واعترف

به ملكاً على فرنسا كما اضطر (فيليب الثانى) بعد أن توالت عليه المصائب فى نضاله مع انجلترا والأراضى المنخفضة، وإفلاس خزانته ـ إلى طلب الصلح.

وأصدر هنرى الرابع فى عام ١٥٩٨ مرسوم نانت الذى انهى الصراع الدينى فى فرنسا ـ وقد أجاز هذا المرسوم للبروتستانت إقامة شعائرهم الدينية فى مدن محددة (٢٥ مدينة)، وأصبح من حقهم تولى المناصب العامة العسكرية والمدنية على قدم المساواة مع الكاثوليك، وصار للبروتستانت حق عقد مجلس عام ينعقد كل ثلاث سنوات للبحث فى شئونهم.

وهكذا دعم هذا المرسوم مبدأ التسامح الدينى، وبرهن هنرى الرابع بذلك بأنه فى مقدمة الحكام المستنيرين، واستطاعت الملكية الفرنسية بذلك أن تُدعم نظامها فى دولة متحدة.

ثالثاً: الصراع الدينى فى انجلترا
(١٥٠٩ ـ ١٦٠٣)

استمر هذا الصراع فترة حكم أربع من ملوك وملكات انجلترا ـ هم هنرى الثامن وأولاده الثلاثة إدوارد السادس، ومارى تيودور، واليصابات.

أ ـ هنرى الثامن (١٥٠٩ ـ ١٥٤٧) :

فى عام ١٥٠٩ اعتلى هنرى الثامن عرش انجلترا، وكان هذا الملك قد زُوج من (كاترين) الأسبانية ابته فرديناند وازابيلا وعمة الإمبراطور شارل الخامس وكان هذا الزواج فى الحقيقة زواجاً سياسياً قُصد منه كسب صداقة الملكية الأسبانية الكاثوليكية، خاصة أن كاترين كانت مخطوبة لشقيق هنرى الثامن (آرثر) ولما توفى هذا الأخير صدر قرارٍ من البابا يبيح

زواجها من شقيقه هنرى. لكن هنرى الثامن كان قد وقع تحت تأثير إحدى سيدات البلاط (آن بولين) وأراد أن يُطلق زوجته ويتزوجها، ولكى يصل إلى هذا الهدف حاول أن يستصدر من البابا فى روما قراراً يلغى قراره السابق بشرعية زواج هنرى من خطيبة شقيقه، لكن لم ينجح الملك هنرى فى ذلك - فاتجهت أنظار الملك ليحذو حذو الأمراء الألمان فى التخلص من سيادة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية - وتأسيس كنيسة أهلية على أساس أن هذا يحقق عدة أهداف:

(١) الخلاص من زوجته كاترين الكاثوليكية، وكان قد أنجب منها ابنته (مارى).

(٢) الزواج من آن بولين.

(٣) يحقق استقلال الكنيسة البريطانية عن كنيسة روما مما يثرى خزائن الملك الذى سيصبح رئيساً للكنيسة بدلاً من بابا روما.

ونلاحظ على **حركة الإصلاح الدينى فى انجلترا** فى عهد هنرى الثامن مايلى:

١ - كانت حركة إحياء العلوم على أيد مصلحى أكسفورد وغيرهم قد نبهت الأذهان إلى ضرورة الإصلاح وإلى مساوىء رجال الدين.

٢ - كان الرأى العام الإنجليزى يؤيد الملكية فى مساعيها لتوطيد سلطانها بعد أن عانت البلاد من الصراع بين الأسر المختلفة (فيما أطلق عليه حرب الوردتين التى أدت إلى تأسيس أسرة (تيودور).

٣ - لم يكن الاتجاه فى ذلك الوقت لتغيير العقيدة الكاثوليكية أو المساس بها - لكن سنرى أن المذاهب الجديدة ستنتشر وستنحاز لها أكثرية أفراد الشعب الإنجليزى.

خطوات هنرى الثامن :

استصدر هنرى الثامن من البرلمان عدة قوانين لنبذ سيادة البابا العليا على الكنيسة الإنجليزية منها:

أ ـ قانون لمنع إرسال أموال الكنائس إلى روما.

ب ـ قانون يلزم الكنيسة فى انجلترا بألا تصدر أى أمر أو تنظيم يتعلق بالكنيسة إلا بعد موافقة الملك.

جـ ـ فى سنة ١٥٣٣ عين الملك توماس كرانمر (Thomas Cranmer) رئيساً لأساقفة كانتبرى، رغم امتناع البابا عن الموافقة على تعيينه.

د ـ قانون يُعلن أن الملك هو الرئيس الأعلى للكنيسة فى انجلترا، وترتب على ذلك تمتعه بكافة السلطات الدينية والسياسية التى كانت للبابا.

هـ ـ قانون بأن ذات الملك مصونة لا تُمس.

و ـ قانون بحل الأديرة الصغيرة ثم الكبيرة.

ز ـ ترجم الكتاب المقدس إلى الإنجليزية.

أما من جهة الملك هنرى الثامن نفسه فقد وافق (كرانمر) الرئيس الجديد لأساقفة كانتبرى على زواج الملك من آن بولين، وإلغاء زواجه من كاترين، ولم يأبه هنرى الثامن بقرار الحرمان الذى أصدره البابا ضده وأنجب من زوجته الجديدة ابنته (أليصابات).

هذا وقد تزوج هنرى الثامن أربع مرات بعد أن طلق كل من زوجاته السابقات أو تخلص منهن بالإعدام (جين سيمور، آن كليف الألمانية، كاترين خوارد التى أعدمت فى ١٥٤٥، كاترين بربار).

واستصدر من البرلمان قانوناً بترتيب وراثة العرش فى ابنه ادوارد

(من جين سيمور) فإذا مات دون وريث خلفته أخته مارى (ابنة كاترين) ثم أختها (اليصابات) ابنه آن بولين ـ وقد شاء القدر أن يتم الأمر بهذا الترتيب الذى أراده هنرى الثامن.

ب ـ عهد ادوارد السادس (١٥٤٧ ـ ١٥٥٣) :

خلف والده على العرش، ولم يبلغ من العمر إلا تسع سنوات ولذا فقد آل الأمر فى انجلترا لمجلس الوصاية الذى كان قد اختاره هنرى الثامن نفسه لإبنه.

وكان أعضاء هذا المجلس أكثرهم من المتأثرين بالأراء الإصلاحية والعلوم الحديثة وكان رئيس الأساقفة (كرانمر) نفسه من المؤيدين لحركة الإصلاح ـ كما أوجد منصب (حامى المملكة)، وأختير لهذا المنصب شقيق والدة الملك الدوق (سومرست) وكان من مؤيدى حركة الإصلاح أيضاً.

وخطت حركة الإصلاح فى عهد إدوارد السادس خطوات واسعة . فأصدر البرلمان عدة قرارات:

أ ـ تقرر زواج القسس.

ب ـ قراءة الكتاب المقدس فى الكنائس بالإنجليزية.

جـ ـ وضع كتاب جديد للصلاة.

لكن واجهت انجلترا فى ذلك الوقت مشكلة إنتشار (البطالة) بسبب ما عُرف (بحركة إغلاق الحقول) فقد اتجه عدد كبير من ملاك الأراضى لتحويل أراضيهم لمراعى الأغنام لتصدير أصوافها التى أصبحت تُدر أرباحاً طائلة بدلاً من زراعتها. فأخرجوا عدداً غير قليل من صغار المزاعين من الأرض. وانتشرت المجاعة وسادت الفوضى، فقامت عدة ثورات فى الإقاليم ـ وقد مات إدوارد السادس صغيراً.

جـ ـ مارى تيودور :

(ابنة كاترين الأسبانية ١٥٥٣ ـ ١٥٥٨م) وفترة الردة:

حين وصلت مارى تيودور إلى العرش ـ انحصرت جهودها فى إلغاء كافة القوانين التى صدرت من البرلمان وغيره ضد الكنيسة الرومانية فى فترة هنرى الثامن وإدوارد السادس واستئناف العلاقات بين الكنيسة الإنجليزية والكنيسة الرومانية.

واستخدمت العنف فى ذلك حتى أطلق عليها اسم مارى الدموية (Bloody Mary) وساعدها على ذلك الكردينا بول (Pole) الذى أرسله البابا إلى إنجلترا ـ بعد أن أحرق كرانمر وعدداً من الأساقفة البروتستانت أحياء.

على أن البلاد لم تكن على استعداد للسير مع الملكة كاثوليكيتها المتطرفة، وكانت بحاجة إلى من يمسك بيدها فى طريق وسط بين البروتستانتينية المتطرفة والكاثوليكية المتطرفة.

وقد تزوجت مارى تيودور هذه من فيليب الثانى ملك أسبانيا ـ لكنها توفيت بعد فترة قصيرة من حكمها لم تزد عن خمس سنوات وتركمت عبء قيادة انجلترا فى هذه الفترة لشقيقتها (اليصابات) أبنة هنرى الثامن من زوجته آن بولين.

د ـ اليصابات (١٥٥٨ ـ ١٦٠٣) والنظام الإنجلكانى :

اتجهت الملكة اليصابات إلى إتباع حل وسط فى المسألة الدينية واستندت على البرلمان فاستصدرت قانونين:

أ ـ قانون السيادة العليا :

ألغت القوانين التى استصدرتها مارى تيودور فأرجعت وضع

الكنيسة فى انجلترا وعلاقتها بكنيسة روما إلى ما كانت عليه فى أيام هنرى الثامن.

وألزم القانون رجال الدين، وكبار رجال الدولة بأن يحلفوا يمين الولاء للملكة وعدم الخضوع لأية سلطة أجنبية.

ب ـ قانون المذهب الموحد :

أوجد هذا القانون نظاماً كنسياً موحداً هو الذى أطلق عليه (نظام الكنيسة الإنجليكانية) وهو نظام كاثوليكى المظهر بروتستانتى العقيدة، أقر بعض المظاهر الكاثوليكية ـ لكنه ركز على العقيدة البروتستانتينية فى جوهرها.

وقد أغضب هذا النظام المتطرفين من الجانبين.

ووصل الأمر بأن حاول الكاثوليك المتعصبون التخلص من الملكة بقتلها وكانوا يعتمدون على تأييد (فيليب الثانى) ملك أسبانيا والبابا فى روما.

وأدى هذا باليصابات إلى مساندة البروتستانت فى الأراضى المنخفضة، وكذا الهجونوت، فى فرنسا.

محاولات الكاثوليك ضد اليصابات :

حاول المتطرفون الكاثوليك أن يستغلوا (مارى إستيوارت) ملكة اسكتلنده الكاثوليكية فى هذا الصراع لينصبوها على عرش انجلترا بعد عزل إليصابات أو قتلها.

ولكن الشعب الإسكتلندى ثار ضد (مارى استيوارت) لفشلها فى الحكم ولإتهامها بقتل زوجها الثانى دارنيلى (Darnley) الذى تزوجته بعد وفاة زوجها الأول فرانسوا الثانى ملك فرنسا ـ ففرت إلى انجلترا حيث قبضت عليها اليصابات وأعدمتها فى عام ١٥٨٧.

واتجه الكاثوليك المتطرفين إلى (فيليب الثانى) ملك أسبانيا فأرسل أسطولاً ضخماً (الأرمادا) ضد انجلترا لغزوها سنة ١٥٨٨ لكن انتهى الأمر بتحطيم هذا الأسطول فى ٥ يوليو ١٥٨٨، وترتب على ذلك أن انتهت سيادة أسبانيا البحرية.

وكان من نتائج هزيمة الأرمادا توطيد النظام الإنجليكانى فى انجلترا، وبوفاة اليصابات فى سنة ١٦٠٣ انتهى عهد أسرة ثيودور.

وفى عهد أسرة (استيوارت) اتجه نضال الشعب الإنجليزى إلى تغيير السلطة الملكية وإقرار حق الشعب الممثل فى البرمان فى محاسبة الحكومة.

* * *

ثالثاً ـ الثورة الدستورية
فى إنجلترا فى القرن السابع عشر

كان ملوك إنجلترا يحكمون رعاياهم حكماً مطلقاً مثلهم مثل حكام الدول الأوروبية المختلفة فقد شاعت فى أوروبا نظرية (حق الملوك الإلهى أو المقدس فى الحكم).

لكن اضطر الملك يوحنا (John) فى عام ١٢١٥ تحت ضغط الأشراف ورجال الدين إلى أن يصدر العهد الأعظم (Magna Carta) ـ وهو ينص على:

١ ـ عدم القبض على أحد أو سجنه إلا بقرار من محكمة قانونية.

٢ ـ لاتُفرض ضريبة إلا بموافقة (المجلس الأعظم) وهو من الأشراف ورجال الكنيسة.

٣ ـ عدم تدخل الملك فى شئون الكنيسة.

وكانت هذ خطوة هامة رغم أنها لم تؤد إلى أن يشارك الأشراف الملك فى بعض سلطاته التشريعية وأن يراقبوا أعماله.

وتطور الأمر فأصبحت كل مدينة من المدن الإنجليزية تُشارك بمندوبين عنها فى (المجلس الأعظم) وهكذا اتسعت رقعة التمثيل فى هذا المجلس.

وفى القرن الرابع عشر حدث تطور آخر ـ إذا انقسم المجلس الأعظم إلى مجلسين:

١ـ مجلس يمثل الأشراف ورجال الدين (مجلس اللوردات).

٢ ـ مجلس يمثل المدن والمقاطعات (مجلس العموم).

وتغير اسم المجلسين فأصبح يطلق عليه اسم (البرلمان).

وكان هذا البرلمان يُشارك الملك سلطاته التشريعية خاصة فى الأمور المالية.

وقد نظر الملوك للبرلمان عل أنه يسلبهم شيئاً من سلطاتهم، فحاولوا جاهدين إضعاف سلطاته وكثيراً ما لجأوا لإستمالة زعماء البرلمان إلى صفهم.

وكانت حركة النهضة والكشوف الجغرافية وإنشغال الشعب البريطانى بها والخوف من أن يؤدى التصدى لرغبات الملوك إلى حرب أهلية ـ مما دفع البريطانيين للتغاضى عن محاولات الملوك الإنفراد بالسلطة.

ولكن حين وصل إلى عرش انجلترا فى القرن السابع عشر ملوك من (أسرة ستيوارت) وأساءوا معاملة الشعب مستندين إلى النظرية الكاثوليكية القائلة بحق الملوك المقدس فى الحكم، وكان الملوك على المذهب الكاثوليكى بينما غالبية الشعب البريطانى كانت قد اعتنقت المذهب البروتستانتى ـ ثار الشعب البريطانى وكانت محاولات الملوك جمع الأموال بالقوة، واستخدام العنف ضد المعارضين سبباً فى ثورة الشعب.

وقد مر كفاح الشعب الإنجليزى فى هذه الفترة فى المراحل التالية:

أولاً ـ فترة حكم جيمس الأول (١٦٠٣ ـ ١٦٢٥) :

كان جيمس الأول ملكاً على اسكتلنده، وهو ابن مارى استيوارت وقد وصل للعرش على أساس أن يترتب على ذلك توحيد اسكتلندة. وانجلترا فى مملكة واحدة.

ولكن بدلاً من أن يستغل هذه الفرصة لجذب قلوب البريطانيين إليه

كان متمسكاً بحق الملوك الآلهى (المقدس) فى الحكم، وهو الحق الذى يقوم على أساس أن أشخاص الملوك بعد أن يُرسموا للملك ـ تصبح مقدسة، وأن الله يريد أن تكون سلطة الملك مطلقة.

فعارض أية محاولة تهدف للحد من حقوق الملوك فى الحكم والسيطرة ونبذ السياسة التى كانت أسرة (تيودور) السابقة تتبعها بإشراك البرلمان على المسائل الهامة.

ورغم أن أوضاع انجلترا كانت طيبة حين تولى جيمس الأول الحكم ـ إذ كانت انجلترا قد حققت سيادتها البحرية بانتصارها على الأرمادا الأسبانية (١٥٨٨)، وكانت المشكلة الدينية قد انتهت بإعلان سيادة الكنيسة الإنجليكانية ودخلت طائفة البيورتان المتعصبة فى الكنيسة الإنجليكانية ـ فقد أدت سياسة جيمس الأول لتفجير الموقف من جديد.

فقد فجر المشكلة الدينية من جديد، ووصل الأمر إلى أن الكاثوليك حاولوا فى ٥ نوفمبر عام ١٦٠٥ إشعال البارود فى مبنى البرلمان.

وفيما يتعلق بالمسائل المالية ـ فقد دخل جيمس الأول فى نزاع مع البرلمان أيضاً فقد كان بحاجة إلى المال، وحسب النظام البرلمانى كان يجب الحصول على موافقة البرلمان على ما يستجد من الضرائب ـ لكن الملك ضرب بذلك عرض الحائط لتحصيل عدة ضرائب من غير موافقة البرلمان ـ ولما لقى هجوماً من أعضاء البرلمان على هذا التصرف لجأ لتأجيل جلسات البرلمان ثم حله.

وزادت الأمر سوء سياسة الملك الخارجية ـ فقد لجأ الملك لسياسة المسالمة مع الدول الأخرى التى كانت تناصب انجلترا العداء ـ مثل أسبانيا.

ورغم أن سياسة السلام كان مرغوباً فيها ـ لكن الطريقة التى نفذ

بها الملك هذه السياسة أثارت شعبه، ففى سبيل الوفاق مع أسبانيا اضُطر جيمس الأول لاقتراف عدة أخطاء منها أنه أعدم فى عام ١٦١٨ سيرولترالى (Walter Ealeigh) أحد أبطال عهد اليصابات وذلك إرضاء للأسبان.

وهكذا فجر جيمس الأول الموقف وكان على إبنه ووريثه على العرش (شارل الأول) أن يواجه هذه المشكلات.

ثانياً ـ عهد شارل الأول (١٦٢٥ ـ ١٦٤٩) :

ورث شارل الأول عن أبيه المشاكل التى نتجت عن سياسته، وموقفه من رجال الدين (البيورتان) ومن البرلمان.

وكان شارل الأول كأبيه متمسكاً بحق الملوك المقدس فى الحكم ـ فسار فى الخصومة ضد البيورتان، وضد البرلمان فى نفس الطريق.

وكان لسياسة شارل الأول الدينية من أسباب زيادة نفور الشعب منه فقد تزوج من أميرة فرنسية (شقيقة الملك لويس ١٣) ملك فرنسا. واتفق مع الملك الفرنسى على وضع الكاثوليك الإنجليز تحت حمايته.. وترتب على هذا الإتجاه أن إتجه مجلس العموم البريطانى إلى اتخاذ سياسة بروتستانتينية متطرفة.

وكانت سياسة الملك الخارجية أيضاً من أسباب النفور، فقد اصطدم بالأسبان وأخذ يُعد لشن الحرب عليهم، وكان بحاجة لمساعدات مالية لتدبير شئون هذه الحملة المزمع القيام بها، ولم يكن البرلمان الإنجليزى ممانعاً فى شن الحرب على أسبانياً عدوة انجلترا الأولى ـ لكن اشترط البرلمان للموافقة على المساعدات المالية اللازمة للحرب ـ أن يتولى قيادة الجيش، قواد موثوق بهم، لكن شارل رغم كل هذه التحذيرات عهد بقيادة الجيش إلى صديق له هو دوق بكنجهام ولم يكن هذا الدوق كفء لمثل هده الحروب.

كما تورط الملك بعد ذلك فى حروب مع فرنسا ـ وكانت الهزيمة هى مصير هذه الحروب كلها التى أديرت بطرق غير سليمة.

وفى عام ١٦٢٨ أضطر شارل الأول لعقد البرلمان للموافقة على معونة مالية جديدة ـ لكن البرلمان تقدم للملك بما عُرف بملتمس يُثبت الحقوق المعترف بها منذ العهد الأعظم حتى لا تنتهك وهى:

١ ـ القروض الإجبارية من الشعب غير قانونية.

٢ ـ وضعت ضمانات تكفل حماية الأفراد من السجن من غير محاكمة أو غير ذلك من العقوبات غير القانونية.

٣ ـ لايُرغم أفراد الشعب على إيواء جند الملك.

واضطر شارل الأول إلى الموافقة على هذا الملتمس لكنه اعترض على حق البرلمان فى مناقشة (الضرائب الجمركية) على أساس أن هذه الأموال آتية من الخارج.

ولما رفض البرلمان هذا التغيير لجأ الملك لحله، واستمر يحكم البلاد حكماً مطلقاً من عام ١٦٢٩ إلى عام ١٦٤٠.

ولجأ شارل الأول لطريقة عجيبة لسد حاجته من المال، فقد أعاد فرض ضرائب قديمة قد ألقيت مثل (ضريبة السفن)، وكانت فى الأصل تُفرض فى وقت الحرب فقط على المدن الساحلية فيُطلب من كل مدينة منها إمداد الحكومة بسفينة ـ لكن شارل تحايل فطلب إستبدال السفن بقيمتها المالية، وأن تشترك فى ذلك المدن الداخلية والساحلية على السواء ـ ولما امتنع البعض عن دفع هذه المبالغ استناداً للعهد الأعظم وملتمس الحقوق ـ قُدموا للمحاكمة والسجن مما أثار النفوس ضد الملك وأصبحت الجماهير تتحين الفرص للثورة.

وفى عام ١٦٤٠ أضطر شارل الأول لدعوة البرلمان للإنعقاد لإقرار الإعتمادات المالية الجديدة التى كان الملك بحاجة إليها لتمويل الحملة التى كان يعتزم إرسالها إلى اسكتلندا لقمع حركة المقاومة التى قامت ضده عندما أراد فرض مذهب الكنيسة الإنجليكانية على الإسكتلنديين ـ لكن البرلمان لم يكتف بإقرار الضرائب المطلوبة بل أثار المشكلات التى كان يشكو منها الشعب فطالب ـ قبل أن يُقر المطالب المالية للملك ـ بتنفيذ ما نص عليه ملتمس الحقوق ـ فحل الملك البرلمان بعد ثلاثة أسابيع فقط من إنعقاده وأطلق عليه لذلك اسم (البرلمان القصير).

واضطر شارل الأول لخوض الحرب دون استعداد كامل وانهزم ثانية ـ فاضطر لعقد البرلمان من جديد ـ لكن لم يستطع هذه المرة حل البرلمان وبقى هذا البرلمان ١٣ عاماً (١٦٤٠ ـ ١٦٥٣) فأطلق عليه اسم (البرلمان الطويل).

وأصدر هذا البرلمان عدة قرارات لوضع إرادة النواب مكان سلطة الملك ـ منها:

أ ـ أنه لايجوز حل المجلس إلا بإرادة النواب.

ب ـ ألغى الضرائب غير القانونية كضريبة السفن.

جـ ـ ألغى الهيئات التى ساندت شارل الأول وقدم للمحاكمة بعض رجاله فحُكم بالإعدام على رئيس الوزراء، وكان هذا نذيراً للملك بالخطر الذى أصبح يقترب منه فقام بتحدى البرلمان، ودبر مؤامرة للقبض على زعمائه الذين جاهروا بمعارضتهم للملك ـ لكن أكتشف مخطط الملك ولم ينجح فى القضاء على زعماء البرلمان، وأدى موقف الملك هذا إلى قيام ثورة فى لندن ضد تصرفات الملك وخشى الملك على نفسه ففر إلى الشمال حيث تجمع حوله أنصاره. وأدى هذا الوضع إلى إندلاع حرب أهلية فى إنجلترا استمرت ما يقرب من ٧ سنوات من عام ١٦٤٢ إلى عام ١٦٤٩.

وفى بداية الحرب كادت تسقط لندن فى يد أنصار الملك، ولكن برز فى قيادة الثوار قائد شاب هو أولفر كرمويل (Oliver Cromwel) استطاع أن يقود الثوار فى طريق النصر، وحاول الملك أن يُعيد تنظيم جيش من المرتزقة دون جدوى، وفر الملك إلى اسكتلندا على أمل أن يقف الإسكتلنديون بجانبه ضد الثوار فى انجلترا ـ لكن الإسكتلنديين سلموه إلى كرمويل، وقُدم الملك شارل الأول للمحاكمة أمام محكمة عليا من ١٥٠ عضواً شكلها لهذا الغرض مجلس العموم، وأُتهم الملك بالخيانة وأعدم فى ٣٠ يناير عام ١٦٤٩.

وفى ٧ فبراير ١٦٤٩ قرر البرلمان إلغاء الملكية وأقيمت الجمهورية مكانها، وفى ١٩ مايو أعلن أن انجلترا جمهورية.

عهد الجمهورية (١٦٤٩ ـ ١٦٥٨):

كان على الإسكتلنديين الجديدة أن تواجه عدة مشكلات منها:

١ ـ ثورة الإسكتلنديين والإيرلنديين: فقد نادوا بشارل الثانى ملكاً مكان أبيه فخرج إليهم كرومويل وأوقع بالأيرلنديين هزيمة كبرى فى عام (١٦٤٩) وانتزع الأراضى من أصحابها وسلمها لمستثمرين من انجلترا، وباع المئات من النساء والأطفال الأيرلنديين، كما انتصر كرومويل على الإسكتلندين وفر شارل الثانى إلى أوروبا.

وبذا صار معترفاً بالجمهورية فى بريطانيا العظمى وإيرلندا.

٢ ـ التنظيم الجديد للدولة: وضع كرومويل وضباطه دستوراً جديداً فى عام (١٦٥٣) من ٤١ مادة ينص على وضع السلطة العليا فى يد اوليفر كرومويل الذى لُقب (بحامى الجمهورية)، ووضعت السلطة التشريعية فى يد برلمان من مجلس واحد مع عن عضويته كل أنصار الملك.

لكن لم يلبث كرومويل فى عام ١٦٥٥ أن حل البرلمان، وقد قامت عدة ثورات من الملكيين قمعها كرومويل، كما تعرض عدة مرات للإغتيال.

٣ ـ التسامح الدينى: حاول كرومويل أن يسود مبدأ التسامح الدينى للبروتستانت بمذاهبهم المختلفة لكنه لم ينجح فى تثبيت هذا المبدأ.

٤ ـ الحروب الخارجية: اصطدم كرومويل مع هولنده بسبب احتكارها لتجارة النقل البحرى، واضطرت هولندا فى عام ١٦٥٤ لقبول مبدآ حرية الملاحة.

كما اشترك كرومويل مع فرنسا ضد أسبانيا واستولى الأنجليز فى هذه الحرب على بعض جزر الهند الغربية.

عودة الملكية :

مات كرومويل فى ٣ سبتمبر ١٦٥٨ فسادت الفوضى فى البلاد لحوالى سنة منذ وفاته، حكم فى فترة منها إبنه ريتشارد كرومويل لكن كان تنقصه الكثير من صفات أبيه، واعتزل الحكم فى ابريل عام ١٩٥٩، فسادت الفوضى من جديد وأصبح الشعور العام مهيئاً لعودة أسرة استيوارت للحكم وزحف أحد قادة كرومويل مونك (Monk) على لندن وحل البرلمان وأجرى انتخابات جديدة أسفرت عن أغلبية من الملكين ـ ولما كان شارل الثانى قد أعلن من منفاه فى هولندا العفو العام والتسامح الدينى إذا اعتلى العرش ـ فقد أعلن البرلمان فى ٢٥ مايو ١٦٦٠ إعادة الملكية وعاد شارل الثانى لعاصمة ملكه.

شارل الثانى (١٦٦٠ ـ ١٦٨٥) :

كان محبوباً من الإنجليز فقد إستفاد من فترة النفى كما أن الشعب البريطانى لم ينس ما عاناه أثناء الحروب السابقة، ولم تكن عودة الملكية

على حساب المكاسب التى كسبها الشعب الإنجليزى فى نزاعه مع شارل الأول ـ فلم يحاول الملك أن يناقش حق البرلمان فى مراقبة الضرائب وإقرارها، وقد كان البرلمان الذى أُنتخب فى عام ١٦٦١ ملكياً أكثر من الملك فقد أصدر تشريعاً ينص على تحريم حمل السلام ضد الملك ـ كما اعتبر الحرب الأهلية السابقة تمرداً.

وواجه البرلمان الجديد مشكلة الإنقسام الدينى فأصدر تشريعاً بتنظيم الكنيسة الموحدة، وفرض كتاب الصلاة (الإنجليكانية) وأصدر تشريعاً صارماً يُحرم على أى فرد أن يشغل وظيفة حكومية إلا إذا كان تابعاً لكنيسة انجلترا.

وفى عهد شارل الثانى تقرر مبدأ مسئولية الوزارة أمام البرلمان وأن الوزارة التى لا تنال ثقة البرلمان تسقط وتحل محلها وزارة أخرى من حزب الأغلبية.

وظهرت فى انجلترا الأحزاب ـ حزب التورى (المحافظين) ومعظم أنصاره من كبار الملاك، وحزب الهويج (الأحرار) ومعظم أنصاره من التجار والطبقة المتوسطة.

وصار هذان الحزبان عصب النظام البرلمانى الإنجليزى وظل يتناوبان الحكم حتى أواخر القرن التاسع عشر عندما بدأ (حزب العمال) فى الظهور.

جيمس الثانى (١٦٨٥ ـ ١٦٨٨) :

بعد وفاة شارل الثانى كان أخوه جيمس الثانى الوريث الوحيد للعرش وكان جيمس هذا كاثوليكياً ولم يحاول إخفاء ذلك بل ملأ المناصب من أنصاره الكاثوليك وألغى ما صدر من قوانين ضدهم.

وقام صراع بين حزب التورى ـ الذى ظل متمسكاً بإتباع نظام وراثة العرش مسانداً جيمس الثانى وحزب الهويج الذى اقترح إقصائه.

واستدعى الهويج وليم آورنج وزوجته البروتستنتية مارى ابنة جيمس من زوجته الأولى وهرب جيمس الثانى إلى فرنسا.

إعلان الحقوق (١٦٨٩) :

أصدر البرلمان الإنجليزى إعلان الحقوق وينص على:

أ ـ يستمد الملك حقه فى العرش من إرادة الشعب.

ب ـ لايحق للملك إهمال قانون وافق عليه البرلمان.

جـ ـ يحرم على الكاثوليك إعتلاءالعرش.

الإصلاحات البرلمانية الأخرى فى القرن التاسع عشر :

شهد هذا القرن عدة إصلاحات برلمانية منها:

أ ـ تقررت سرية الإنتخابات حتى لاتتحكم العائلات الكبيرة فى أصوات الناخبين.

ب ـ أعيد تقسيم الدوائر الإنتخابية بحيث أصبح النائب بمجلس العموم يمثل ٠٠٠و٥٠ من السكان.

جـ ـ حرم مجلس اللوردات من حق رفض الميزانية.

د ـ تقرر ألا يُرفض قانون وافق عليه مجلس العموم مرتين.

هـ ـ فى عام ١٩١٤ تقرر مبدأ الإقتراع العام.

و ـ وفى عام ١٩١٨ سُمح للنساء بحق التصويت.

وهكذا نلاحظ :

(١) خلال القرن السابع عشر ظل النزاع قائماً بين الملك والبرلمان حول السلطة.

(٢) كان ملتمس الحقوق (١٦٢٨) أول قانون يُحد من طغيانالملكية بعد العهد الأعظم الذى يرجع للقرن الثالث عشر.

(٣) أدت الحروب الأهلية لقيام الجمهورية ـ لكنها لم تنجح فأعيدت الملكية.

(٤) بعد عودة الملكية لم تعد معها السلطة التى كانت للملكية بل حرص شارل الثانى على تجنب الإشتباك مع البرلمان.

(٥) فى عام ١٦٨٩ صدر إعلان الحقوق الذى هدم الإدعاء بأن الملك مُعين من الله وأن القوانين منحة يستطيع الملك إيقاف تنفيذها متى شاء.

(٦) منح قانون التسامح الدينى حق العبادة الدينية للكل، لكن حرم على الكاثوليك تولى العرش البريطانى.

هكذا يُعتبر البرلمان الإنجليزى من أعرق البرلمانات فى العالم ـ وهو من مجلسين ـ مجلس اللوردات (الوراثى)، ومجلس العموم المنتخب وبيده السلطة التشريعية الحقيقية.

بعض المراجع لمزيد من الإطلاع

١ ـ السيد رجب حراز: عصر النهضة (د. ت).

٢ ـ جيمس تومسون وآخرون: حضارة عصر النهص (ترجمة د. عبدالرحمن زكى ـ ١٩٦١).

٣ ـ عبدالعزيز محمد الشناوى: أوروبا فى مطلع الحديثة.

٤ ـ محمد فؤاد شكرى، ومحمد أنيس: أوروبا فى العصور الحديثة (١٩٥٦).

٥ ـ Bush, D.: The reinaissance and English Humanism (Tron to 1958).

٦ ـ Fisher, H. A.I: S History of Europe (London 1945).

٧ ـ Smith, P. The Life and Letters of Martin Luther (Boston 1914).

* * *

أسئلة على الجزء الأول

١ ـ كانت الحركة الفكرية من أبرز سمات عصر النهضة ـ اشرح ذلك فى ضوء دراستك لما طرأ على المجتمع الأوروبى من تغيير فى هذا المجال؟

٢ ـ أكتب مذكرات تاريخية عن:

الكوميديا الآلهية ـ كتاب الأمير ـ دور الحضارة الإسلامية العربية فى قيام النهضة الأوروبية.

٣ ـ اصطبغ الصراع الدينى فى أوروبا فى كثير من الأحيان بالصبغة السياسية ـ اشرح ذلك فى ضوء دراستك للصراعات الدينية فى فرنسا.

٤ ـ تُعتبر انجلترا من أعرق الدول البرلمانية فى العالم ـ اشرح المراحل التى مربها كفاح الشعب البريطانى حتى حصل على حقوقه الدستورية التى يتمتع بها اليوم.

٥ ـ علل يما يأتى:

أ ـ سبقت إيطاليا غيرها من الدول الأوروبية فى ميدان النهضة.

ب ـ كان للعرب دورهم فى تبنى المنهج العلمى فى البحث.

جـ ـ يُعتبر توماس مور من رواد عصر النهضة فى أوروبا.

٦ ـ تعتبر الحركة الدينية من أبرز معالم التاريخ الحديث فى أوروبا ـ اشرح الدوافع التى أدت لهذه الحركة.

٧ ـ ما الظروف التى حصلت فيها هولنده على إستقلالها فى القرن السابع عشر.

٨ ـ أدت الظروف الخاصة بالملك هنرى الثامن ـ ملك انجلترا ـ إلى العمل للتخلص من سيادة الكنيسة الكاثوليكية ـ اشرح ذلك ـ ووضح كيف تطورت الحركة الدينية فى انجلترا حتى أصبح للكنيسة الإنجليزية وضعها الخاص بها؟

٩ ـ اكتب مذكرات تاريخية عن: العهد الأعظم (Magana Carta) ـ معركة الأرمادا (٥ مايو ١٥٨٨) ونتائجها ـ صلح كاتوكمبريس.

١٠ ـ ما الظروف التى قامت فيها الجمهورية فى انجلترا ـ وكيف عاد نظام الحكم الملكى إليها؟

* * *

الجزء الثانى

الثورة الفرنسية
وفترة حكم نابليون بونابرت
(١٧٨٩ ـ ١٨١٤)

المحتويات:

أولاً: أسباب الثورة.

ثانياً: تطورات الثورة الفرنسية (١٧٨٩ ـ ١٨١٤)

ثالثاً: مؤتمر فيينا وتسوية شئون أوروبا بعد سقوط نابليون

الثورة الفرنسية

أسباب الثورة:

تعددت الأسباب التى أدت لثورة الشعب الفرنسى، فهناك عوامل فكرية، وأخرى سياسية واجتماعية، واقتصادية كلها لتدفع الشعب الفرنسى لهذه الثورة التى تعتبر من أبرز الحركات القومية فى تاريخ أوروبا الحديث وسنتناول هذه العوامل بشىء من التفصيل:

أولاً ـ العوامل الفكرية

كان عامة الشعب الفرنسى ـ كالعديد من شعوب أوروبا فى ذلك الوقت يعانون من الفقر والظلم الإجتماعى، وسوء نظام الحكم، وفساد الكنيسة، وتدهور الأحوال الاقتصادية.

وكان للمفكرين الذين برزوا فى هذا المجتمع الفرنسى وللمبادىء التى نادوا بها ـ الأثر الفعال فى أن يشعر الفرنسيون بمبلغ الظلم الواقع عليهم فيثورون ضد هذه الأوضاع التى رزحوا تحت نيرها سنين عدة، فالإحساس بالظلم وليس الظلم فى حد ذاته هو الدافع للثورة.

وفى مقدمة هؤلاء المفكرين السياسيين والإجتماعيين:

١ ـ فولتير (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) :

من أشهر كتاب القرن الثامن عشر، واشتهر بالجرأة فى كتاباته ـ زُج به فى سجن البستيل فترة بسبب تحديه لأحد النبلاء، وزار انجلترا وأعجب لما لمسه من حرية الشعب الإنجليزى، فقرأ لكبار الكتاب الإنجليز مثل لوك وشكسبير.

وتميزت كتاباته بالأسلوب الساخر اللاذع فى نقده ومنها مؤلفه (رسائل عن انجلترا (Letters sur Les Anglais)، أوضح فيه كيف أن

الإنجليزى يستطيع أن يعبر عن آرائه دون أن يناله أى ضير، وهاجم الكنيسة وانحرافها عن المسائل الروحية وتدخلها ورجالها فى السياسة، ونادى بإصلاح القضاء، وإصلاح نضام الضرائب وإلغاء الضرائب المحلية المتعددة.

وهكذا يُعتبر فولتير فى مقدمة من نادوا بالمساواة بين جميع الأفراد وحقهم فى التمتع بالحريات المختلفة ـ الدينية والفكرية وفى المساواة فى مختلف الحقوق.

٢ ـ مونتسكيو Montesquieu (١٦٨٩ ـ ١٧٥٥) :

من أشهر الكتاب الذين انتقدوا القيود التى تفرضها الكنيسة على حرية الفكر وسخر من إدعاءات رجال الكنيسة عن قدرتهم على عمل المعجزات ونادى بمبدأ التسامح الدينى وزار انجلترا أيضاً وأبدى إعجابه بالنظام المُلكى المقيد بها.

وكتاب روح القوانين (Esprit des Lois) الذى نُشر فى عام ١٧٤٨ والذى ناقش فيه النظريات السياسية السائدة فى عصره ومختلف نظم الحكم وأشاد بالنظام الدستورى الإنجليزى وطعن فى الحكم الإستبدادى ـ كان له أكبر الأثر فى نفوس معاصريه.

٣ ـ جان جاك روسو (Jean Jack Rousseau) ١٧١٢ ـ ١٧٧٨ :

يرجع أصله إلى جنيف لكن كان كتابه (العقد الإجتماعى) الذى ظهر فى عام ١٧٦٢ بمثابة (انجيل الثورة) فى فرنسا.

فهو يرى أن الإنسان ولد حراً، لكن الحضارة قيدته بالأغلال فى كل مكان، ويرى أن المجتمع السليم يقوم على أساس العقد الاجتماعى (Contrat Social) بين أفراد متساويين فى الحقوق ومتساويين فى

الواجبات، فكل عضو ينزل عن حريته بمقدار ما ينزل عنها زملاؤه الآخرون فيتساوون فى قيمة التضحية كما يتساوون فى مقدار النفع الذى يحصلون عليه مجتمعين.

هذا ولم تقتصر الحركة الفكرية الأدبية والفلسفية التى ازدهرت فى فرنسا وأدت لإذكاء نار الثورة على جهود المفكرين سالفى الذكر فقد ظهرت عدة مؤلفات أخرى انتشرت فى المجتمع الفرنسى رغم ما بذلته السلطات للحيلولة دون ذلك ـ نذكر منها مثلاً (دائرة المعارف الكبرى) التى ظهرت فى الفترة ما بين (١٧٥١ ـ ١٧٧٢) فى أربعة وثلاثين مجلداً وتضمنت تلخيصاً للمعرفة الإنسانية وأشارت إلى الظلم السياسى والإجتماعى وإلى أوجه الفساد المتعددة السائدة فى ذلك العصر.

ثانياً ـ العوامل السياسية

تولى لويس السادس عشر (١٧٧٤ ـ ١٧٩٣) الحكم فى فرنسا والبلاد تئن من وطأة ظروف إقتصادية سيئة، فقد خاضت فرنسا عدة حروب ضد بروسيا وغيرها من الدول الأوروبية ومنيت الجيوش الفرنسية بهزائم عنيفة.

وكان الملوك الفرنسيون، يحكمون حكماً مطلقاً، وحين تولى لويس السادس عشر عرش البلاد ورث الثورة مع ما ورثه من أبائه، وقد انعقدت عليه الآمال لإنقاذ البلاد فقد كان شاباً فى العشرين من عمره عُرف عنه حب الخير والرغبة فى الإصلاح ـ لكنه للأسف أثبت أنه ضعيف الإرادة، وكانت زوجته (مارى انطوانيت) ـ النمساوية الأصل على العكس منه قوية الإرادة حادة الذكاء فلم تحاول التقرب للشعب الفرنسى وفهم آماله، ولذا جرفت زوجها معها إلى طريق محفوف بالمخاطر، وكان إسرافها وبذخها فى وقت كانت ميزانية فرنسا تئن فيه من الضائقة المالية، هذا بالإضافة إلى

تدخلها فى الشئون السياسية ـ مما أدى إلى كره أفرادالشعب لها، وكان فيليب (دوق أورليان) ابن عم الملك على رأس المستائين منها وكان هذا مما قربه من الشعب الذى أرجع كل ما يعانيه إلى الملك وزوجته وحاشيته.

هذا وقد اضطربت الأمور فى الأقاليم وأصبح حكام الأقاليم يستهينون بالسلطة المركزية وأصبح همهم الإثراء على حساب الشعب الذى يحكمونه واضطر القضاء شأنه شأن مختلف الإدارات الاخرى.

ولم تكن ـ تقيد سلطة الملوك هيئة برلمانية قوية، فبرلمان باريس لم يكن فى الحقيقة هيئة برلمانية كما فى النظام البرلمانى فى انجلترا مثلاً فى ذلك الوقت بل هو هيئة قضائية أعضاؤها كانوا من الأشراف القدماء والأشراف الذين اكتسبوا اللقب بمزاولتهم حرفة القانون ـ لكن أصبح برلمان باريس بمضى الزمن هيئة مقاومة للسلطة الملكية المطلقة وكان يتخذ سلاحين للمقاومة:

أ ـ إما بجمع المحاربين القدماء حوله.

ب ـ أو رفض تسجيل القوانين وبذا كان يُبطل سريانها، وكان الملوك يضطرون أحياناً للذهاب للبرلمان بأنفسهم ويأمرون بتسجيل القوانين، وإن لم يخضع البرلمان كان الملوك الأقوياء يذهبون إلى حد أكثر فى إجراءتهم لتشتيت أعضاء المجلس، لكن للأسف وصل هذا المجلس فى معارضته للملوك أحياناً إلى حد تعطيله ومقاومته حركة الإصلاح المالى مثلاً، التى سنتحدث عنها وكانوا يستندون فى ذلك إلى حجة أنه لايجوز للملك فرض ضرائب جديدة إلا بعد موافقة مجلس طبقات الأمة (Assemblee des Etats Generaux).

ومجلس طبقات الأمة هذا مجلس قديم وكان يتكون من ممثلى الأشراف. وممثلى رجال الدين وممثلى طبقة العامة (لفظ العامة كان يطلق على كل من ليس من الأشراف أو رجال الدين).

وكان مجلس طبقة الأمة الذى يُعقد من الملك قد انقضى عليه عهد طويل لم يُدع للإنعقاد.

فلم يُعقد فى الفترة بين ١٦١٤، وسنة ١٧٨٩، وسنرى كيف اضطر الملك لويس السادس عشر إل دعوة مجلس طبقات الأمة على أمل أن يوافق هذا المجلس على الضرائب التى كان الملك بحاجة إليها - لكن هذا المجلس الذى دُعى للموافقة فقط على الضرائب لم يقصر مهمته على مشكلة الضرائب بل جاء ومعه برامج إصلاحية يرى تنفيذها، وستتمخض الحوادث عن قيام الثورة.

وسيتضح لنا الموقف أكثر عند دراستنا للأحوال الإجتماعية فى فرنسا فى ذلك الوقت.

هذا وسنشير إلى أثر نجاح ثورة الإستقلال الأمريكية فى عام ١٧٨٣ تلك الثورة التى اشترك فيها الفرنسيون فى صف الثوار، فقد كان إعلان إستقلال المستعمرات الأمريكية وما جاء فى هذا الإعلان من مبادىء لاتقوم على الامتيازات بل على احترام حرية الفرد وحقوقه - أثر سحرى فى الفرنسيين، ظهر ذلك بوضوح فى ترحيب الشعب الفرنسى بمختلف طوائفه وصحفه بـ (بنيامين فرانكلين) (Franklin) الزعيم الأمريكى عند زيارته لباريس فى عام ١٧٧٦.

ثالثاً - الأحوال الإجتماعية

كان المجتمع الفرنسى يئن من الفروق الصارخة بين طبقاته وأفراده - وكان هذا المجتمع من ثلاث طبقات:

١ - الأشراف:

كانوا قد فقدوا سلطانهم السياسى فقد إنفرد الملوك بالسلطة المطلقة.

كما فقدوا نفوذهم فى مجلس طبقات الأمة بعد تعطيل هذا المجلس، لكنهم كانوا لا يزالون يتمتعون بإمتيازات عديدة، فهم معفون من كثير من الضرائب، وكثيرون منهم تركوا ضياعهم تحت إدارة أتباعهم وعاشوا عيشة البذخ فى بايس وغيرها من المدن الكبرى.

هذا وقد وجد فريق من الإشراف الذين تأثروا بآراء المفكرين والمصلحين وآمنوا بالمبادىء التى نادى بها هؤلاء ـ وكانوا ميالين إلى الإصلاح ورفع الظلم عن الطبقات ولو أدى الأمر لتنازلهم عن بعض إمتيازاتهم.

٢ ـ رجال الدين :

كانت الكنيسة فى فرنسا متصرفة فى مساحات كبيرة من الأراضى وكان كبار رجال الدين ينعمون بالثراء الفاحش وانصرف عدد كبير منهم عن أمور الدين لشئون الدنيا.

هذا بينما كان صغار رجال الدين يُعانون كبقاى أفراد الشعب من الفقر والحاجة وكانت أملاك الكنيسة معفاة من الضرائب.

ولذا فقد انضم صغار رجال الدين لدعاة الإصلاح وكانوا فى مقدمة المؤيدين لهم.

٣ ـ العامة :

تشمل هذه الطبقة عدة طوائف:

أ ـ فالمتعلمون والمفكرون ورجال القانون والمشتغلون بالصناعة والتجارة ـ كانوا يحقدون على الأشراف لما يتمتعون به من إمتيازات وقصر بعض الوظائف عليهم، وكان كثيرون من أفراد هذه الطبقة قد جمعوا ثروات

من التجارة أو الصناعة، كما كانوا يشاركون فى الحركة الفكرية السائدة فى عصرهم لكنهم لم يكونوا راضين عن أوضاعهم وعن الإمتيازات التى يتمتع بها الأشراف دونهم.

ب - الفلاحون والصناع: يمثلون أغلبية الشعب وقد تنبهوا إلى وطأة نظام الإمتيازات المجحف لهم وإلى الأعباء التى يرزحون تحت وطأتها فقد كانوا أكثر الطبقات بؤساً وأسوأهم حالاً ورغم ضاءلة دخولهم فقد كانوا الأكثر تأثراً بالأعباء المالية وبالكساد الاقتصادى والضرائب المتعددة الفادحة.

جـ - رجال الجيش: كانت المراتب العليا فى الجيش قاصرة على طبقة الأشراف رغم أن الكثيرين منهم كانت تنقصهم الخبرة بفنون الحرب، وترتب على ذلك استخفاف الجند برؤسائهم وانتشار الجمعيات السرية فى صفوف الجيش فأصبح لايمكن تعتمد عليهم الحكومة فى مقاومة الاضطرابات الداخلية.

رابعاً - الأحوال الإقتصادية

وصلت الحالة الإقتصادة فى فرنسا إلى درجة كبيرة من السوء والإضطراب، وكانت الضرائب متعددة ومتنوعة ووقع العبء الأكبر منهاعلى كاهل الطبقة الفقيرة، فهناك الضرائب العقارية (Taille) وأعفى منها النبلاء ورجال البلاط والقضاء وكبار رجال الدين، وكذلك ضريبة الرأس التى فرضها لويس الرابع عشر لسداد نفقات حروبه وكان المفروض أنها ضريبة مؤقتة لكنها استمرت، وضريبة الدخل، وضريبة الملح، فقد احتكرته الدولة وفرضته على الأشخاص وغير ذلك من الضرائب.

هكذا تعددت الضرائب بالإضافة إلى سوء توزيعها فالطبقات الموسرة والقادرة كانت معفاة من معظم الضرائب - فوقع عبؤها على الطبقات الفقيرة واستخدم جباة الضرائب العنف فى جمعها.

وبالإضافة إلى الضرائب كانت النظم المتبعة فى الزراعة سيئة، كما فُرضت القيود على حرية تنقل الغلال بين إقليم وآخر، وفُرضت المكوس الجمركية الداخلية على القمح حتى أصبح الشعب يشكو من ندرة الخبز.

وقد ظهرت طائفة من المصلحين الإقتصاديين نادوا بضرورة إصلاح الحالة الإقتصادية وطالبوا بتحقيق عدة مبادىء منها:

١ ـ الإهتمام بالثروة الزراعية لأنها المصدر الرئيسى الذى يسد حاجات الإنسان الرئيسية.

٢ ـ إلغاء الضرائب المحلية التى تُحد من حرية التجارة ـ وقد أصبح مبدأ حرية التجارة ـ مبدآ اعتنقه الكثيرون.

٣ ـ توحيد الضرائب وتعميمها على كافة أفراد الشعب.

هذا وقد كان الإرتبارك المالى وفشل المحاولات الى بُذلت للإصلاح مما ألزم الملك لويس السادس عشر إلى دعوة مجلس طبقات الأمة للإنعقاد، بعد غيبة طويلة ـ وكانت هذه بداية أحداث الثورة.

أما عن أسباب الإرتباك المالى فيمكن تلخيصها فيما يلى:

١ ـ عيوب الإدارة المالية فقد كان الأشراف ورجال الدين معفين من الضرائب فضيع ذلك على الحكومة مورداً هاماً.

٢ ـ إسراف أسلاف لويس السادس عشر.

٣ ـ حروب لويس الرابع عشر والخامس عشر.

٤ ـ إشتراك فرنسا فى الثورة الأمريكية.

وقد بُذلت محاولات متعددة فى عهد لويس السادس عشر على أيدى

كثيرين من وزراء المالية لإصلاحَ الحالية المالية - لكن كما سنرى لم تُجد هذه الجهود فقد تآمر أصحاب الإمتيازات على استبعاد رجال الإصلاح وفى مقدمتهم ترجو (Turgot).

وأهم ما كانت تنطوى عليه إصلاحات ترجو:

١ - إلغاء كل ما يقيد حرية التجارة.

٢ - إلغاء الإمتيازات التى كان يتمتع بها الأشراف ورجال الدين ووضع المراسيم لتنظيم الحالة المالية على أساس المساواة والمقدرة على الدفع.

٣ - ضغط مصاريف القصر - لكن هذه المحاولة لقيت مقاومة من رجال البلاط والحاشية الملكية الذين لايريدون ضغط مصاريف القصر، وكانت الملكة مارى انطوانيت على رأس هؤلاء فأرغمت الملك على عزل ترجو.

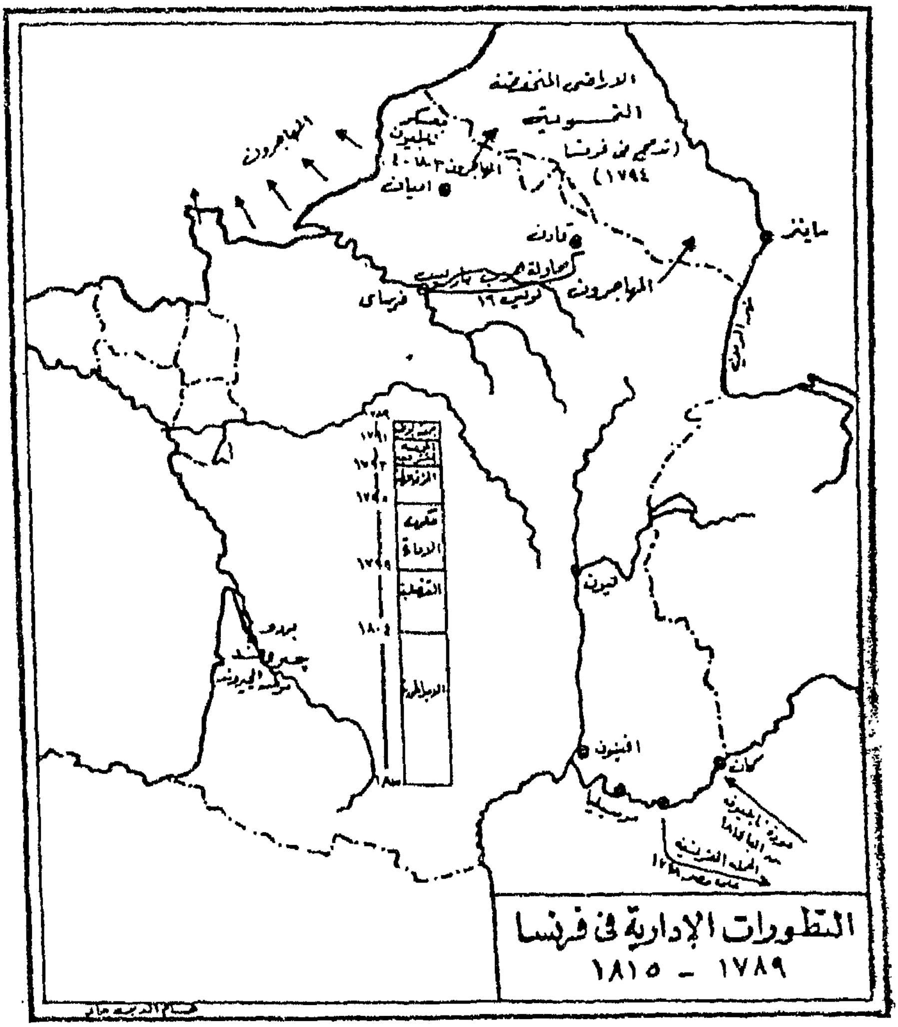
ولما رفض برلمان باريس تسجيل المراسم الخاصة بفرض ضريبة عامة على الأرض لحل المشكلة المالية وعجز وزراء المالية المتعاقبون (ترجو، نكر، كالون) عن حل المشكلة - أضطر الملك لدعوة مجلس طبقات الأمة للإنعقاد على أمل أن يوافق هذا المجلس على الضرائب المطلوبة.

لكن سنرى أن هذا المجلس الذى دُعى للموافقة فقط على الضرائب لم ينفض ولم يمكن توجيهه الوجهة التى أرادها الملك وأتباعه، فقد جاء اعضاؤه ومعهم برامج إصلاح يريدون تنفيذها وأسفر الأمر عن أحداث الثورة.

ونلاحظ على مجلس طبقات الأمة:

١ - التمثيل كان على أساس طبقات الأمة الثلاث - فهناك ممثلون لرجال الدين، وممثلون للأشراف، وممثلون للعامة.

٢ - أثيرت مشاكل هامة بمناسبة دعوة المجلس للإنعقاد تختص بطريقة تكوين المجلس وطريقة معالجته للأمور فقد أثيرت مثلاً طريقة التصويت هى يؤخذ رأى كل طبقة كوحدة أم يؤخذ الرأى بالإقتراع العام فيجلس الكل فى قاعة واحدة ويتناقشون ويتخذون قراراتهم.



خريطة شكل (٢)

تطور الثورة الفرنسية

(١٧٨٩ ـ ١٨١٤)

تطورت الأحداث فى فرنسا فى هذه الفترة تطورات سريعة ويمكن أن نعالج أحداث هذه الفترة على النحو التالى:

أولاً: عهد الجمعية الوطنية (التأسيسية) (١٧٨٩ ـ ١٧٩١).

ثانياً: عهد الملكية المقيدة فى ظل الجمعية التشريعية (١٧٩١ ـ ١٧٩٢).

ثالثاً: عهد الجمهورية الأولى (١٧٩٢ ـ ١٧٩٥).

رابعاً: عهد الجمهورية الثانية وحكومه الإدارة (١٧٩٥ ـ ١٧٩٩).

خامساً: فترة حكم نابليون بونابرت قنصلاً وإمبرطوراً (١٧٧٩ ـ ١٨٠٤) ـ (١٨٠٤ ـ ١٨١٤).

وسندرس ما ارتبطت بكل فترة من هذه الفترات ـ من أحداث:

أولاً: عهد الجمعية الوطنية

(١٧٨٩ ـ ١٧٩١)

أ ـ دراسة محاضر وتقارير وأوراق الإنتخابات للجمعية الوطنية:

من المصادر الهامة لمعرفة إتجاهات الرأى العام ورغبات الناس أن يُلم المؤرخ بما جرى أثناء الإنتخابات تمهيداً لعقد المجلس، ففى ضوء هذا يمكن أن يستنتج استنتاجات عماكان يرغب فيه الأهالى.

من دراسة أوراق الإنتخابات هذه (Cahiers) نصل للنتائج التالية:

١ ـ إنه لايوجد تطرف ولا أراء خطيرةبل فى كل الدوائر إجما ع على تقديس الملك فى شخصه واعتباره مثل الأمة الحقيقى، والكل يتطلعون للخير

والإصلاح على يديه، حتى الأشياء التى كانوا يشتكون منها ويريدون إصلاحها لم ينسبوها للنظام الملكى لكن للأعوان الظالمين، وللبطانة السيئة، والقول المأثور دائماً إنه لو كان الملك يعلم بهذه المظالم لأهتم بإزالتها، فالمؤرخون يُجمعون على إنه لم يكن هناك أثر لفكرة الجمهورية حتى الجمهوريين ـ كانوا ينظرون للجمهورية على أنها مثل أعلى، حلم أكثر منه نظام عملى قابل للتطبيق ـ هذه النقطة مهمة لأن الملكية سقطت بعد قليل لكنه بتأثير ظروف جديدة.

٢ ـ كان هناك إتجاه عام آخروهو الإتفاق بين جميع الطبقات على تقييد نظام الحكم أى إزالة الحكم المطلق ولكن كان هناك إختلاف على كيفية هذا التقييد، اختلاف على الوسائل التى يمكن أن يتم بها، فمثلاً كثيرون من ممثلى الأشراف ورجال الدين كانوا يرون أن التقييد يكون بواسطة بقاء (مجلس طبقات الأمة) كما كان عليه الحال بشرط أن تنتظم إجتماعاته، وبشرط ألا تستحدث ضرائب جديدة إلا بموافقته، وأن يناقش المجلس الميزانية ـ هذا بينما أغلبية العامة كانت ترى أن التغيير يكون بواسطة (برلمان) على النمط الحديث أى مجلس نواب بالمعنى الصحيح، أى تندمج الطبقات فى انتخاب من ينوب عن الأمة ويكون لهم حقوق البرلمانات كما هو حاصل فى انجلترا فى القرن الثامن عشر، فالشعب يريد إزالة الطبقات.

٣ ـ إجماع على ضرورة إصلاح نظم الإدارة.

٤ ـ إجماع على إصلاح النظام القضائى ليكفل العدالة للجميع.

٥ ـ إجماع على إيجاد ضمانات للأفراد فلا يُحبس الشخص أو يعتقل إلا بسبب قانونى وإجراءات قانونى أى إلغاء أوامر القبض التى كان يجرى

العمل بها قبل الثورة (Letters deCachet) وهى مختومة يُحبس بموجبها الشخص دون محاكمة، وكان يمكن أن تحصل على إستمارة مختومة بدون ذكر رسم فيها وتضع أى اسم، وكان سجن الباستيل يُزج بالناس فيه دون سبب ظاهر، وأحياناً يرجع الأمر للانتقام ولذلك كان هناك إجماع على إلغاء أوامر الحبس دون محاكمة.

٦ ـ اهتم الفلاحون بطبيعة الحال بكل عيوب (نظام حيازة الأرض)، وأحبوا أن يرروا حيازتهم للأرض من كل ما يضعفها، فطالبوا بتحويل طرق الحيازة الإقطاعية إلى ملكية مطلقة.

٧ ـ شكوا كذلك من الضرائب الإقطاعية.

٨ ـ وشكوا من حقوق الصيد وهى حقوق إقطاعية قديمة لأنها تضر بمصالح الفلاحين فى ظل قوانين الصيد، فقد كان الفلاح لايستطيع أن يحمى زراعته وحيواناته المنزلية، فهذه القوانين كانت قوانين عجيبة جداً، فالفلاح كان مُحرماً عليه أن يربى كلاب الحراسة السريعة، ولايمكنه قتل الثعالب التى تهاجم طيوره أو التخلص من الطيور التى تأتى على محصولاته لأنه بذلك يقفل الباب أمام ممارسة الأشراف لهواية الصيد.

ب ـ تحويل مجلس الطبقات إلى جمعية وطنية :

اعتبر ممثلو الطبقة العامة أنفسهم الأصل وطالبوا بأن يضم إليهم ممثلوا الطقبتين الأخريين ويتحول المجلس على هذا النحو إلى جمعية وطنية نجحوا فى ذلم إنما بصعوبة، وكانت هذه أول أزمة واجهت المجلس القديم ـ تحويل مجلس الطبقات إلى جمعية وطنية يشترك فيها جميع الممثلين ويعتبرون أنفسهم نواب عن طبقة معنية بل نواب عن الشعب كله.

وقد قاوم الأشراف وكبار رجال الدين هذا الإتجاه، كما وقف ضده

الملك وحاشيته ـ لكن تغلب ممثلو العامة على تلك المقاومة وانتصروا ـ فمنذ مايو سنة ١٧٨٩ أصبحت الجمعية الوطنية واقعاً ـ وقد ساهم فى الإنتصار:

١ ـ وجد من الإشراف ورجال الدين من أيد العامة فى هذه الحركة، فالأشراف بينهم خلافات، وكذلك رجال الدين كانت بينهم خلافات فتمكن العامة من إستمالة بعض الأشراف وبعض رجال الدين وتبعهم الباقون.

٢ ـ كما أن المقاومة من جانب الملك لم تكن مستميتة، فقد حاول أن يحملهم على عدم المضى فى تلك الفكرة، وحدث أن أغلق قاعات الإجتماعات لكن لم تُجد هذه المحالات وظهرت فى هذه المرحلة زعامات شعبية فقد ظهر سييس (Sieyes)، كما ظهر ميرابو (Mirabeau) وحين أُغلقت قاعات اجتماع مجلس طبقات الأمة فى وجه ممثلى العامة اجتمعوا فى ٢٠ يونيو ١٧٨٩ فى ملعب التنس بعد أن أطلقوا على أنفسهم اسم (الجمعية الوطنية)، واختار بيللى (Bailly) رئيساً لها وأقسموا بألا يتفرقوا أبداً وأن يجتمعوا فى أى مكان يُتاح لهم فيه الإجتماع حتى يضعوا دستوراً للمملكة يقوم على دعائم ثابتة.

وقد حقق ممثلوا العامة أول نجاح لهم حين أضطر ممثلو النبلاء ورجال الدين إلى الإنصياع لهم والإجتماع معهم فى قاعة واحدة، وقد أعلن ميرابو الذى أصبح من أبرز أعضاء الجمعية الوطنية قوله الشهير «إن العامة لن يبرحوا أماكنهم إلا على أسنة الرماح».

وقد هال المتطرفون من رجال البلاط والنبلاء، وكذلك الملكة مارى انطوانيت وحزبها ممن لايبغون إحداث أى تعديل أو إصلاح ـ هذا النجاح الذى حققه العامة وممثلوهم، لذا فقد ضغطوا على الملك بهدف إسبعاد

نيكر (Necher) من الرزارة وقد كان معروفاً بميله إلى الإصلاح كما حضوه على ضرورة القبض على زعماء العامة فى الجمعية الوطنية وإستعمال القوة الغاشمة لقمع ثورة الشعب الباريسى.

جـ ـ الفوضى التى سادت فرنسا فى عامى ١٧٨٩ ـ ١٧٩٠.

شهد عاما ١٧٨٩، ١٧٩٠ فى فرنسا إختلالاً عاماً واضطرابات، ومن مظاهر الفوضى والإختلال فى فرنسا فى هذه الفترة:

١ ـ انتشار الفوضى فى الأقاليم، فبدأ الفلاحون يُنفذون طلباتهم التى طلبوها من نوابهم فى الجمعية الوطنية بأنفسهم ـ وهاجمت عصابات منهم قصور الأشراف وأحرقوا على الخصوص المستندات التى تُثبت حقوق الأشراف الإقطاعية.

٢ ـ تألفت هيئات فى المدن خاصة فى باريس (بلديات) منتخبة ـ لكنها فى الحقيقة كانت تحت نفوذ زعماء سياسيين بغرض التأثير على الملك، وعلى الجمعية الوطنية وذلك بواسطة الإعتماد على تجمهر الجماهير ومظاهراتهم وحمل السلاح.

٣ ـ ومن نتائج هذه الإضطرابات مهاجمة دار الأسحلة المعروفة حالياً بدار الأنفليد (Hotel des invalides)، دار الناقهين المعدة لإستجمام مشوهى الحرب وأستولوا على بعض المدافع والبنادق.

٤ ـ مهاجمة حصن الباستيل الذى كان رمز الحكم المطلق، وسقوطه فى ٤ يوليو ١٧٨٩.

على أن الأسباب الحقيقة لهذه الإضطرابات ترجع لفقدان الزعامة الواعية وذلك لأسباب الآتية:

١ ـ لم يُظهر الملك شيئاً من الحزم بل كان متردداً وغير قادر لا على قمع حركة الثورة والإضطرابات ولا على ترأس حركة الثوار، فأضطر الثوار لتنظيم أنفسهم فى هئات متعددة ومتفرقة.

٢ ـ عجزت الجمعية الوطنية على أن تتولى هى هذه الزعامة لأنها هيئة غير منسجمة فى الأصل، ولا تمثل مصالح الأمة الحقيقية بل مصالح طبقات واندماجها كان فى الحقيقة شكلياً، فالشريف لايزال يحس فى نفسه أنه ممثل الأشراف وهكذا.

٣ ـ لم تستطع شخصية ما أن تُسيطر على الموقف، فقد كان أنسب واحد لمثل تلك الزعامة (ميرابو) لسعة أُفقُه ولنظره للمسائل نظرة قومية ثم لقوة شخصيته ومقدرته الخطابية.

لكن لسوء الحظ كانت هناك أسباب تحرم الأمة من زعامة ميرابو منها:

١ ـ كان مكروهاً من جبهات كثرة وخاصة الأشراف الذين اعتبروه خارجاً عن طبقته.

٢ ـ اعوجاج سيرته.

٣ ـ الملك ـ رغم إنه اتصل به سراً، وجعل له مرتباً مالياً فى السر إلا إنه كان لايثق فيه كل الثقة بل نظر إليه على أنه شخص دكتاتورى، ولقد كان ميرابو يدرك حقيقة الأمر فهو كان يعلمُ أن الأمة تحتاج إلى حكومة قوية تضرب على أيدى المتطرفين، وكذا الرجعية وإلا سادت الفوضى وعمت كل فرنسا.

٤ ـ مات ميرابو مبكراً (٤ أبريل ١٧٩١).

د ـ سقوط حصن الباستيل والنتائج التى ترتبت على ذلك:

هاجمت الجماهيرالثائرة حصن الباستيل، وهو من حصون العصور الوسطى وكان قد تحول إلى سجن وكانت تحرسه حامية، ورغم أنه لم يكن فيه فى ذلك الوقت إلا سبعة أشخاص مسجونين ـ فقد كان فى نظر العامة رمزاً للإستبداد والظلم.

وقد ترتبت على سقوط الباستيل فى ١٤ يوليو ١٧٨٩ نتائج:

١ ـ توطيد مركز الجمعية الوطنية.

فقد قوى مركز الثوار وظهر عجز الملك والموالين له وتدعم مركز الجمعية الوطنية فأمكنها أن تملى إرادتها على الملك فأعيد نكر إلى الوزارة بناء على طلب أعضاء الجمعية، وأستمرت الجمعية الوطنية فى عملها لتحقيق البرنامج الذى وضعته لإتمام عملية التحول التى كانت تمر فيه الأمة الفرنسية.

٢ ـ المجلس البلدى لباريس، والحرس الوطنى.

اضطر الملك للأعتراف بسلطات المجلس البلدى لباريس، وبقوات الحرس الوطنى الذى عُين لافييت (La Fayette) قائداً له.

٣ ـ هجرة النبلاء من فرنسا.

أوجس عدد من النبلاء خيفة من تطور الأحداث ومن رضوخ الملك لطلبات الثوار فهاجروا لخارج حدود فرنسا ـ وكان لهذا الحدث صداه فى تطور أحداث الثورة، فقد أصبح وجود هؤلاء المهاجرين ـ خارج حدود فرنسا يمثل خطراً يهدد الثوار خاصة حين أخذوا يعملون لتكوين قوة عسكرية لمواجه الثوار.. وقد أساء هذا لمركز الملك فى نظر الشعب.

٤ ـ استمرار الإضطرابات والمظاهرات ومنها مظاهرة النساء فى ٥ أكتوبر ١٧٨٩ وتحركها إلى فرساى للمطالبة بالخبز مما أدى لطلب لافييت قائد الحرس الوطنى من الملك الإنتقال إلى باريس والإقامة بها ليكون فى حماية الحرس الوطنى. واضطر الملك للإذعان، وانتقلت الجمعية الوطنية أيضاً لباريس التى غدت مركز النشاط كله.

هـ ـ انجازات الجمعية الوطنية التاسيسية فى أعوام (٨٩، ٩٠، ١٧٩١) :

نجحت الجمعية الوطنية فى هذه الأعوام فى تحقيق عدة أمور من أهمها:

١ ـ إلغاء الحقوق الإقطاعية :

فى جلسة من جلسات الجمعية الوطنية (فى ٤ أغسطس ١٧٨٩) اقترع أحد الأعضاء إلغاء الحقوق الإقطاعية، وتمت الموافقة على هذا الإقتراح الذى يعتبر من أهم أحداث الثورة الفرنسية، لأنه إتمام لعملية تطور مستمرة منذ قرون.

وهكذا تحولت الأمة الفرنسية إلى أفراد يستمدون حقوقهم لا من العرف بل من دستور ثابت. ما تم فى هذه الجلسة كان قرار الهدم للوضع القديم ـ لكن ظهر أن الأمر يحتاج إلى عمل شاق وتشريعات مستمرة فى الجمعية الوطنية وغيرها لإقامة شىء آخر مكان الحقوق الإقطاعية الملغاة ـ فمنذ ألغيت بموجب هذا القرار الألقاب الإقطاعية أصبح الفرنسيون جميعاً يلقبون بلقب مواطنين.

٢ ـ إعلان حقوق الإنسان (Declaratcon of the rightsp of Man) :

وثيقة إعلان حقوق الإنسان التى أعلنتها الجمعية التأسيسية من أهم إنجازات هذه الجمعية ونلاحظ على هذا الإعلان:

١ ـ كلمة (إعلان) مقصودة لأن الجمعية اعتبرت أنه ليس من سلطاتها أن تمنح لأنها سارت على نظرية أن الحقوق طبيعية للإنسان بحكم إنسانيته ـ فالجمعية فقط تُعلن هذه الحقوق لكن قيمة هذا الإعلان:

أ ـ حتى لاتُنسى هذه الحقوق، كما حدث فى الماضى فهذا النسيان ترتبت عليه كل المساوىء.

ب ـ مهمة الجمعية الوطنية وضع (الدستور) لكن لكى يتم هذا يجب أولاً وضع الأساس والمبادىء التى يستند عليها، فالإعلان هو الباب الأول (الأساس) وما يليه تفصيل لما فيه وقد أخذ بهذا فى كل الدساتير.

٢ ـ لم يتحدثوا عن حقوق الفرنسيين بل عن حقوق الإنسان، وهذا يوضح ما ساد العقول يومئذ عن فكرة إنسانية سامية فسيشعر الناس أن قضية الحرية هى قضية الإنسانية جميعاً وهذه ميزة ميزت الثورة الفرنسية عن غيرها من الثورات.

ويجب أن نذكر إنه لايُنقص من قيمة الإعلان أن الدستور لم يأت محققاً لكل ما فى الإعلان، فالإعلان يمثل الهدف الذى يسعى إليه ولم يصل مجتمع لتحقيق هذا الهدف كاملاً حتى اليوم.

أهم مواد هذا الإعلان (١٧ مادة) :

المقدمة: عن الحاجة لإعلان حقوق الإنسان ـ لذا رأوا أن يضعوا أمام المجتمع الإنسانى هذه الحقوق والمبادىء لتذكرهم بحقوقهم وواجباتهم دائماً ـ ويجب أن يبنى عليها أسس المجتمع.

المادة ١ : الحرية والمساواة ـ ولد الناس أحراراًمتساويين فى الحقوق لا فروق إجتماعية إلا إذا اقتضت مصلحة المجتمع ذلك.

المدة ٢: الغرض من المجتمع هو صيانة الحقوق الطبيعية للإنسان، وهى حق الحرية، والملكية، ومقاومة الظلم، والطمأنينة الشخصية.

المادة ٣: الأمة مصدر السلطات ـ فلن يباشر أحداً حكماً إلا بتفويض من الأمة.

المادة ٤: الحرية ـ أن يعمل الإنسان مايريد بشرط ألا يضر بالغير وهذه الحدود التى يجب ألا يتعداها يحددها القانون.

المادة ٥: القوانين ـ لاتمنع إلا ما يضر بالمجتمع ومالاتمنعه فهوم باح.

المادة ٦: القوانين ـ مصدرها إرادة الأمة ـ فيجب أن يشترك ممثلوها فى وضعها والجميع متساوون أمام القانون، وبذا جميع الوظائف، والخدمات يجب أن تكون مفتوحة أمام الجيمع بشرط الكفاءة.

المادة ٧: الإتهام والحبس ـ لايجوز إتهام شخص أو حبسه إلا فيما ينص عليه القانون، وكل من يخرج عن ذلك يعاقب، ولكن متى كانت أوامر القبض قانونية وجب على الإنسان عدم مقاومتها.

المادة ٨: العقوبات ـ يجب أن تكن متناسبة مع الجرم، لا تطرف فيها ولا يُعاقب الإنسان إلا بموجب قانون صدر قبل الجريمة.

المادة ٩: البراءة ـ تُفرض فى الإنسان البراءة إلى أن تثبت الإدانة ـ قديماً كان الشخص يُحمل على الإعتراف بالذنب بشتى الطرق.

المادة ١٠: حرية الآراء والمعتقدات ـ لِلإنسان أن يعبر بكل حرية عن أرائه ومعتقداته حتى الدينية بشرط عدم المساس بالنظام العام والزمن، والقانون هو الحكم فى ذلك.

المادة ١١: حرية الخطابة والكتابة والنشر ـ مباحة على أن يتحمل الشخص مسئولية إستعمال هذا الحق ولمنع إساءة إستعمال هذا الحق ـ إما تُفرض رقابة مسبقة أو ينشر الشخص ما يشاء على أن يتحمل النتائج التى تترتب على ذلك.

المادة ١٢: الشرطة ـ للحفظ النظام وحماية القانون.

المادة ١٣: الضرائب ـ لسد نفقات القوة اللازمة لحفظ الأمن، ويجب أن تتناسب مع المقدرة.

المادة ١٤: الضرائب - يجب أن يتحقق نوابالشعب من وجود ضرورة لفرضها، وكذا واجبهم أن يتتبعوا وجوه صرفها وهل أنفقت فى وجهها الصحيح أم لا؟

المادة ١٥: محاسبة السلطة التشريعية للسلطة التنفيذية.

المادة ١٧: حق الملكية - لا يجرد المالك من ملكيته إلا للمصلحة العامة وفى هذه الحالة يُعوض تعويضاً مناسباً.

هذا وقد وضع الدستور على هذه المبادىء، وهو يتمشى معها - لكن يبدو أنهم لم يجدوا عندهم الإيمان الكافى بالشعب كله لإنشاء النظام الديمقراطى بمعناه الصحيح.

٣ - الدستور الذى وضعته الجمعية الوطنية :

رتب الدستور الفرنسى ككل الدساتير على الأبواب المعروفة بالسلطات العامة واختصاص كل - وهى ثلاث سلطات:

أ - السلطة التنفيذية :

على رأسها (الملك) وهو رأس الدولة، يُعين الوزراء ويصدق على القوانين التى لاتصبح نافذة إلا بعد تصديقه، وهو على رأس القوات المحاربة، ثم هو الذى يُعلن الحرب ويبرم السلم.

نظام الوزارة - يختلف حسب هذا الدستور الفرنسى إختلافاً كبيراً عن نظام الوزارة فى انجلترا، ففى انجلترا يعهد الملك بالوزارة لوزراء من حزب الأغلبية فى مجلس العموم وهؤلاء يكونون وزارة متضامنة من حزب واحد - كتلة واحدة لها سياسة معينة، وهم من أعضاء البرلمان - هذا فى انجلترا. بينما فى فرنسا الوزارة ليست هيئة متضامنة بل الوزراء ماهم إلاعبارة عن رؤساء الفروع الحكومية وهم ليسوا من أعضاء الهيئة

التشريعية بل ليس لهم حق حضور جلسات الهيئة التشريعية إلا للدفاع عن الحكومة أو للرد على استفسار، هم يقدمون بيانات كتابية ـ وقد حاول (ميرابو) أن يُدخل الفكرة الإنجليزية عند وضع الدستور لكنها رُفضت.

التصديق على القوانين: حدث خلاف حول ماذا يكون الموقف إذا أصدرت الهيئة التشريعية قانوناً ولم يوافق عليه الملك، لكنهم اتفقوا أخيراً على أن للملك أن يعطل التشريع لكن لمدة محدودة فإذا أعيد كما هو بعد ذلك ليس للملك حق تعطيله.

ب ـ السلطة التشريعية :

اختلفوا هل تكون في مجلسين كما في إنجلترا وأمريكا أم في مجلس واحد، لكنهم قالوا إنه في أمريكا مجلسين لأنها دولة تعهدية، وفي إنجلترا مجلس اللوردات لازم لأنه لايزال بها أرسقراطية وراثية ـ لكل رأى أنصار ولكل وجهة نظر.

فأنصار فكرة المجلس الواحد يقولون إن المجلس الواحد كالمرآة، الواحدة تنعكس فيها صورة واحدة، بينما أنصار فكرة المجلسين يقولون إن وجود مجلسين يُعطى فرصة لإمكان النظر والتأني ـ فقد يقر المجلس الأول تشريعاً تحت تأثير حماسي، والثاني يكون بمثابة فرملة، كما أن تكوينه كله أو بعضه بطريقة التعيين يُعطى مجالاً لإختيار أشخاص لاتسمح لهم ظروفهم أو سنهم باقتحام المعارك الإنتاخية (عالم كبير أو من رجال الدين أو من رجال الأقليات) فستفيد الأمة من مواهبهم لكن أخذ أخيراً بالمجلس الواحد.

وقد جُعل الإنتخاب مقصوراً على دافعي ضرائب معينة، كما جعل الإنتخاب على درجتين، تنتخب الأمة عدداً قليلاً وهؤلاء ينتخبون النواب، بحجة أن العدد القليل في مستوى أحسن ويُحسنون الإختيار ـ هذا نقص

كبير فهذه الأقلية تتيح مجالاً سهلاً للتأثير السيء والرشوة (آخذ بهذه الفكرة أحياناً فى مصر).

ومن أهم وظائف السلطة التشريعية ـ الموافقة على الضرائب.

جـ ـ السلطة القضائية :

جعل القضاء بالإنتخاب لضمان إستقلال القضاء وعدم رضوخ القضاة للسلطة التنفيذية، لكن ظهر فيما بعد أن هذه معيبة لأسباب:

أ ـ القضاء صناعة تقوم على اكتساب معارف معينة فيجب الا يترك لتصويت الناس، فأن التصويت من جانب الشعب لا يدل على أن الشخص مُلم بالقانون.

ب ـ تعرض القضاء للإنتخابات وما يجرى فيها ـ فيه مساس كبير بالإستقلال، الفكرة التى كانت مسيطرة على الموقف هى أن يكون القضاء مستقلاً عن الحكومة والشعب حتى يستطيع أن يفصل فى منازعات الناس بأمانة.

الحكم المحلى :

قسموا فرنسا إلى حوالى ٨٠ إقليماً روعى فيها الإعتبارات الجغرافية والعلمية فخرجوا بتقسيم هندسى وسموا الأقاليم أو المقاطعات بما فيها من معالم جغرافية (Departements)، ثم قسموا كل مقاطعة إلى مراكز (Destricts) والمركز قُسم إلى نواحى (Communes) وهى أصغر الوحدات الإدارية.

ومن مزايا هذا النظام :

أ ـ نسق بين التنظيمات المحلية فى فرنسا كلها بعد أن كانت قبل الثورة على صور مختلفة.

ب ـ روعى فى التقسيم الجديد مصالح الناس.

جـ ـ أشتراك الناس فى الحكم المحلى أدى للإهتمام بمصالحهم وتعودهم على الإشتغال بالسياسة.

لكن هذا النظام كان فى الحقيقة طفرة كبيرة لأنه نقل الأمة من عهد لم تكن تشترك فيه بتاتاً فى الحكم إلى إشتراك كلى فى كل شىء.

٤ ـ التنظيم المدنى للكنيسة :

علاقة الكنيسة بالدولة من المسائل الشائكة فى التاريخ الأوروبى منذ القدم، فبينما التاريخ الإسلامى لايعرف هذا الفصل بين السلطتين الدينية والمدنية ـ فإن التاريخ الأوروبى واجه مشكلة هذه العلاقة بين السلطتين الدينية والمدنية.

هل تسيطر الدولة على النظم كلها ومنها بالطبع السلطة الدينية أم تبقى السلطتان منفصلتين؟.

فى فرنسا ـ وهى موضوع إهتمامنا هناك بقيت الدولة كاثوليكية، لكن المهم أن نعرف مركز الملك إزاء الكنيسة، ثم مركز الكنيسة الفرنسية إزاء البابوية فى روما.

حدث فى فرنسا إرتباط وثيق بين الكنيسة والدولة.

وقد خضعت الكنيسة تبعاً لهذا الإرتباط للملوك وأعتمدت عليهم، وبذا أصبحت الكنيسة أداة قهر لتأكيد فكرة الحكم المطلق سواء فى التعاليم الكنسية أو من على المنابر التى أصبحت تدعو للطاعة العمياء للملوك وتنشر أن الخروج على الملك عصيانا له عقابه فى الدنيا والآخرة (هناك كتاب لرجل دينى كبير يدعى بوسيه Bossaet فى هذا الشأن).

فى مقابل هذا كان على الملكية أن ترغم جميع الفرنسيين بأن يكونوا

كاثوليكا، وتعاقب الخارجين على التعاليم الدينية للكنيسة الكاثوليكية، كذلك أعفيت الكنيسة وأملاكها من الضرائب بل جعلت لها أرزاق كثيرة، كا أرغم الناس على دفع العشور للكنيسة بل كانت الدولة تقوم بعقاب من يتخلف عن حضور إجتماعات الكنيسة أو لا يراعى واجباتها.

أما فيما يتعلق بعلاقة الكنيسة بالبابوية فقد ادعت الكنيسة لنفسها إستقلالاً تاماً يتعلق بتعيين الأساقفة وفصلهم أو استئناف القضايا للبلاط أو الأموال. سموها (الحرية الغالية)، أمافيما يتعلق بالعقيدة الدينية فالكنيسة تخضع للبابوية خضوعاً تاماً.

وبجانب الأساقفة والمطارنة ـ كان يوجد بفرنسا فرق الرهبان وهم ذات شأن إذ أن لهم تأثيرهم المدنى والسياسى لأسباب:

١ ـ فقد كانوا قائمين على نواحى عدة من أهم مرافق البلاد الإجتماعية كالتعليم وأعمال الخير كالمستشفيات.

٢ ـ كان لهم تأثير سياسى إذ كان منهم من لا يعترف بالخضوع إلا لسيادات خارج فرنسا.

وبذا كان جزء كبير من الحياة الإجتماعية والحربية غير خاضع للدولة ولا للكنيسة الفرنسية، ومن الرهبان من كان خاضعاً فقط للرئاسة العليا فى فرنسا، ومنهم من كان خاضعاً مباشرة للبابوية.

وكان للرهبان من ناحية أخرى تأثيرهم الشخصى إذ كان كثيرون من القسس من هؤلاء الرهبان.

هكذا كان على الجمعية الوطنية أن تواجه هذه المشاكل المتعددة ـ مشاكل تتعلق بعلاقة الكنيسة بالدولة، مشاكل تتعلق بأوقاف الكنيسة، ومشاكل تتعلق بهذه العادات الدينية، مشاكل تتعلق بالنواحى الاجتماعية

التى كانوا يقومون بها، مشاكل تتعلق بأوقاف الكنيسة الشاسعة وهل تبقى فى يد رجال الدين أم لا وهل تبقى معفاة من الضرائب، ومشاكل إعفاء رجال الدين من الخدمة العسكرية مما دعا فى الماضى لأن يتجه كثيرون من الشبان إلى الإنخراط فى سلك الرهبان ليتمتعوا بالإعفاء من الخدمة العسكرية.

وقد اتخذت الجمعية الوطنية فى فرنسا فى ١٢ يوليو ١٧٩٠ عدة إجراءات تجاه الكنيسة من أهمها:

(١) اعتبرت الزكاة وضريبة العشور التى كانت تجمعها الكنيسة من الإمتيازات وأصدرت الجمعية قراراً بألا تدفع هذه الأموال للكنيسة بل للدولة.

(٢) اتجهت الأنظار إلى الإمتيازات الكنسية الأخرى، فرؤى أن تضم إلى موارد الدولة، وأعتبرت الدولة نفسها صاحبة الحق فى الإنفاق على إقامة الشعائر الدينية للكنيسة ودفع رواتب رجال الدين.

(٣) رُصدت كثير من أملاك الكنيسة لسداد بعض الديون لتوفير المال اللازم للدولة.

(٤) اتجهت الجمعية إلى التسامح الدينى ـ فأصدرت قراراً بإلغاء جميع القوانين التى كانت تحد من حقوق البروتستانت وغيرهم من المذاهب وكفلت الجمعية للجميع حقوقهم فى تولى المناصب الدينية والحربية.

(٥) ألغيت الأديرة، وأستولت الدولة على أوقافها ـ فيما عدا ما كان مخصصاً للإنفاق على المستشفيات والمعاهد العلمية والتربوية.

(٦) أعيد توزيع الأسقفيات فربطت بالأقسام الإدارية الجديدة وخفضت مرتبات الأساقفة بينما زيدت مرتبات صغار رجال الدين.

(٧) جُعلت وظفتا الأسقف والقسيس بالإنتخاب لا بالتعيين ومنح حق الإنتخاب لجميع الفرنسيين الذين لهم حق الإنتخاب للجمعية التشريعية.

(٨) ألزم رجال الدين بأن يقسموا يمين الولاء للملك، والقانون والأمة، وقد أثارت هذه التنظيمات البابوية فأصدر البابا أحتجاجاً على هذه التعديلات وأمر رجال الدين بألا يتعهدوا بالولاء للقوانين الجديدة.

(٩) لما امتنع بعض رجال الدين عن تأدية يمين الولاء للملك والقانون والأمة قررت الجمعية أعتبار من يتخلف عن حلف اليمين مفصولاً من وظيفته وخارجاً عن نظام الكنيسة الفرنسية.

ثانياً: عهد الملكية المقيدة
فى ظل الجمعية التشريعية
(١٧٩١ ـ ١٧٩٢)

أولاً ـ موقف الملك:

١ ـ كان الملك لويس السادس عشر متديناً إلى حد أن القوانين الخاصة بتنظيم الكنيسة والتى وقعها مكرها ـ أقلقت باله.

٢ ـ وكان موت ميرابو فى إبريل ١٧٩١ من الأمور التى زادت العلاقة بين الملك والثوار تأزماً ـ فقد كان يعمل على التوفيق بين الملك والثوار، فكان موته خسارة كبيرة بالنسبة للملكية، كما كان خسارة كبيرة لحركة الثورة.

٣ ـ كما شعر الملك بازدياد السخط عليه من جانب الرأى العام، وكانت الصحافة بما تنشره من أن الملك يُدبر الأمر لهربه ـ تزيد الأمر تعقيداً.

لكل هذه الأسباب استقر الملك على الهروب وحدد لذلك شهر يونية ١٧٩١ فقد قرر أن يقصد إلى الحدود الشمالية الشرقية إلى (متز).

ترك الملك على مكتبه نداءً إلى الفرنسيين ـ عثر عليه ـ بعد قراره عبر فيه عن مشاعره فأوضح ما تحمله من شدائد مضنية وتضحيات لإسعاد شعبه ـ لكنه جوزى عن ذلك بعناصر تعمل لهدم الملكية ـ وأبدى فى تلك الوثيقة رأيه فى الدستور فنقد بعض مواده، ووصل الملك وأسرته إلى فارن (Varennes) على نهر الموز لكن أكتشف أمرهم قبل نجاحهم فى عبور النهر.

وترتب على اكتشاف خطة الهروب نتائج:

انقسم الفرنسيون إلى فريقين:

فريق يرى أن الخير فى إرجاع الملك إلى باريس وإيقافه عن ممارسة سلطانه إلى أن يوضع الدستور ويوافق عليه.

وفريق آخر بدأ ينادى بالحكم الجمهورى ويطالب بخلع الملك ومحاكمته، ،عقدت الجمعية الوطنية جلسة لتقرير مصير الملك بعد اكتشاف محاولة الهروب.

لكن حدث حادث عارض له أهميته وهو تجمع الجموع فى (ساحة مارس) فى يوليه ١٧٩١ وخشيت الجمعية الوطنية مما يترتب على ذلك من اصطدام بين مختلف الطوائف فطلبت من بلى عدمة باريس ومن لافيف قائد الحرس الوطنى ضمان سلامة باريس ـ لكن اضطر الحرس الوطنى لإطلاق النار لفض الجموع مما أدى لبعض حوادث القتل التى استغلها (اليعاقبة) فصوروا الأمر مذبحة.

وأدى ذلك لهياج أكثر فى الرأى العام وقد تقرر فى جلسة ٢١ يونيو ١٧٩١ وقف الملك عن الحكم حيث وضع تحت الحراسة بقصر التوليرى.

وفى ١٤ سبتمبر من نفس العام كان الدستور قد وضع وأقره الملك.

الجمعية التشريعية (١٧٩١ - ١٧٩٢) :

اعتبرت الجمعية الوطنية (التأسيسية) مهمتها قد انتهت بوضع الدستور وإقرار الملك له فى ١٤ سبتمبر سنة ١٧٩١.

وأجريت الإنتخابات للجمعية التشريعية واشترط ألا يدخل أحد من أعضاء الجمعية الوطنية فى الجمعية الجديدة.

وقد تشكلت الجمعية التشريعية من ٧٤٥ عضواً وبرزت فيها الأحزاب المختلفة التالية:

١ - حزب اليسار (اليعاقبة) :

إعضاؤه ١٣٦ عضواً، اشتهر هذا الحزب بالتطرف، ورغم قلة عدد أعضائه فى الجمعية - كثيراً ما نجح الحزب فى فرض رأيه على الجمعية وفى اجتذاب عدد كبير من حزب الوسط البالغ عددهم (٤٠٠) عن طريق الخطابة التى يجيدها أعضاء الحزب.

وبرز من أعضاء الحزب الأب (سيس) الذى كان مصمماً على إسقاط الملكية، وقد اتبع حزب اليعاقبة وسائل الإرهاب والضغط على أعضاء حزبى اليمين والوسط حتى أن بعض أعضاء الحزبين كان يمتنع عن التصويت لأن التصويت كان علناً وذلك خوفاً من اليعاقبة، وقد انقسم هذا الحزب إلى فرق من أهمها (الجيروند Gironde).

وكان لنادى اليعاقبة أثره فى توجيه سياسة الجمعية التشريعية خاصة أيام رئاسة (روبسيير) له.

٢ - حزب اليمين :

كان يميل إلى إدخال بعد التعديلات على الدستور السياسى، ملكيا يؤيد بقاء الملك، لكن الملك لسوء الحظ لم يخط خطوه نحو جذبهم إليه وهكذا فقد الملك مساندة الحزب الوحيد الذى كان يمكن أن يقف إلى جانبه.

٣ - حزب الوسط :

كان عدد أعضائه ٤٠٠، لكن أعضائه يتميزون بصغر السن وإفتقارهم إلى التجربة، ولم تكن لهم سياسة محددة، ولذلك كانوا لقمة سائغة للمتطرفين من حزب اليسار من اليعاقبة.

موقف الجمعية التشريعية من المشاكل الداخلية :

كرست الجمعية التشريعية جزء كبيراً من جهودها لإصدار طائفة من القوانين تهدف لفرض عقوبات رادعة على المهاجرين، ورجال الدين الذين لم يؤدوا اليمين للدستور المدنى للكنيسة، وشجعت الجمعية التشريعية على المضى فى سياسة التطرف بعض النوادى السياسية كنادى اليعاقبة.

موقف الجمعية التشريعية من المشاكل الخارجية :

واجهت الجمعية التشريعية خطر الحرب على فرنسا.

وإذا استعرضنا الوضع فى أوروبا نجد:

انجلترا: كانت فى البداية - ورغم اصراع بينها وبين فرنسا - تكره الحرب ضد فرنسا، بل كان من الإنجليز من يعطف على الثورة الفرنسية.

وفيما يتعلق بألمانيا: كان النزاع مستحكماً بين بروسيا، والنمسا، وكانت النمسا، مشغولة بمشاكلها الداخلية.

أما روسيا: فكانت تطمع فى إقتسام (بولندا) بينها وبين كل من بروسيا والنمسا على أن العلاقات بين الإمبراطورية النمساوية وفرنسا تطورت نتيجة بعض الأحداث منها:

أ - بعض المتغيرات التى أحدثتها الثورة الفرنسية فى العلاقات بين فرنسا والإمبراطورية، فمثلاً إلغاء الإقطاع وإمتيازاته حرّم بعض رعايا

الإمبراطورية ممن كانوا يسكنون داخل الحدود الفرنسية من الإمتيازات التى كانوا يتمتعون بها من قبل.

كما أن القانون المدنى للكنيسة حرم بعض الأساقفة التابعين للإمبراطورية من ضريبة العشور التى كانوا يجبونها من الرعايا الفرنسيين.

ب ـ أغضب الفرنسيين من الإمبراطورية موقفها من المهاجرين من الأشراف والنبلاء الذين هاجروا من فرنسا عقب حوادث الباستيل، واستقر كثير من هؤلاء على الحدود الشرقية لفرنسا وقد طلبت فرنسا من الإمبراطور أن يفرق شمل أولئك المهاجرين ويأمرهم بمغادرة الأراضى الألمانية.

جـ ـ كان الأمبراطور قلقاً على مصير أخته الملكة (مارى انطوانيت) وبعد اكتشاف محاولة الملك الهروب والقبض عليه فى فارن (Varennes) تقابل الإمبراطور مع ملك بروسيا فى بلنتز وأصدر تصريح بلنتز (Declaration of pillnitz) إتفقا فيه على أن إعادة النظام واستتباب الأمن في فرنسا من الأمور التى تهم سائر دول أوروبا.

د ـ إتجاه غالبية الأحزاب الفرنسية لتأييد الحرب.

فحزب الجيروند ـ كان يرى فى الحرب وسيلة لتحقيق أطماعه فى شغل مناصب الدولة، والقضاء على الملكية، وكان حزب الوسط والملكيون ـ من أنصار الحزب أيضاً لكن لهدف آخر فقد كانوا يرون فيها فرصة لإعادة نفوذ وسلطان الملكية.

بينما المتطرفون من اليعاقبة ـ وعلى رأسهم روبسبير ـ كانوا يقدرون عاقبة الزج بفرنسا فى حرب خارجية.

الحرب ونتائجها :

في ٢٠ ابريل ١٧٩٢ أعلن لويس السادس عشر الحرب على الإمبراطورية النمساوية واتجه الجيش الفرنسي نحو الحدود الشرقية، لكن أصيبت الجيوش الفرنسية بهزيمة منكرة وكانت من نتائج الهزيمة:

١ ـ فقدت الوزارة الفرنسية (وزارة الجيروند) ثقة الشعب، واستقال وزير الحربية.

٢ ـ ثار الشعب في باريس واعتبر تواطؤ الملك مع أعداء البلاد من أسباب الهزيمة فهاجمت الغوغاء قصر التويلري في ٢٠ يونيه عام ١٧٩٢، وكادوا يقضون على الملك بالموت لولا أن تدخل الحرس الوطني لإنقاذه وإن كان كثيرون وجهوا اللوم إلى (لافييت) قائد الحرس الوطني واتهموه بالإهمال.

٣ ـ ازدادت شقة الخلاف بين (لافييت) قائد الحرس الوطني واليعاقبة فقد أعبر لافييت فتنة ٢٠ يونيو ١٧٩٢ موجهة ضده.

٤ ـ الإدارة السرية للثورة: هزت الهزيمة موقف الجمعية التشريعية وأوضحت قلة خبرة وكفاءة رجالها وترتب على ذلك أن كون ثلاثة من زعماء اليعاقبة المتطرفين (روبسبير Robespiere)، (مارا Marat)، (دانتون Danton) ما أسموه (الإدارة السرية للثورة).

٥ ـ أعلنت بروسيا إنضمامها للنمسا في الحرب ضد فرنسا وأصدر القائد البروسي برونزويك (Brunswick) في أغسطس ١٧٩٢ إنذاراً إلى الفرنسيين يهددهم بتحطيم باريس إذا تعرض الملك لخطر الثوار.

وأدى هذا الإنذار لنتيجة عكسية فقد أثار غضب الثوار وصبوا نار غضبهم على الملك وأسرته.

وأوجس الملك خيفة فطلب من الجمعية التشريعية حمايته، كما طلب من الفرقة السويسرية المكلفة بحماية قصر التوليرى مضاعفة اليقظة.

وفى ١٠ أغسطس هاجم الثوار القصر ونهبوه وكان الملك وأسرته قد لجأوا للجمعية التشريعية - فطالب الثوار بتسليمهم الملك وأسرته وإعلان الجمهورية - وأضطرت الجمعية لتسليم الملك وأسرته فأودعوا فى (سجن المعبد).

وغصت سجون باريس بمن أطلق عليهم لفظ (أعداء الثورة) - وأصبحت السلطة فى يد بلدية باريس (كومون باريس)، و(الإدارة السرية للثورة).

٦ - سقوط فردان: نجحت القوات البروسية فى عبور الحدود الفرنسية وسقطت مدينة لنجرى (Longuwy) فى أيدى البروسيين فى أغسطس ١٧٩٢.

وفى ٢ سبتمبر سقطت فردان (Verdan) فأشارع ذلك الفزع فى النفوس.

٧ - مذابح سبتمبر: أشاعت هذه الإنتصارات الفزع فى نفوس جماهير باريس فهاجموا السجون وأقاموا محاكم عسكرية فيها لمحاكمة المسجونين وأعدموا آلاف من المواطنين كان منهم كثيرون من الأبرياء. فقد رأوا التخلص من أعداء الوطن قبل أن ينطلقوا إلى الحدود الشرقية لرد الأعداء عن أراضى الوطن ولإنقاذ فرنسا من الغزو الأجنبى.

هكذا أثبتت الجمعية التشريعية فشلها فى تسيير دفة الأمور كما ثبت عدم صلاحية دستور ١٧٩١ وكان لابد من انتخابات جديدة لتأليف (مؤتمر وطنى) يبت فى مصير الملكية، ونظام الحكم فى فرنسا ذاتها وهل تبقى الملكية الدستورية التى تقررت بمقتضى دستور ١٧٩١ أم تتحول إلى جمهورية؟.

ثالثاً ـ عهد الجمهورية الأولى

(١٧٩٢ ـ ١٧٩٥)

تشكيل المؤتمر الوطني:

بدأت الإنتخابات لتشكيل المؤتمر الوطني في ٢ سبتمبر ١٧٩٢ ويبلغ عدد أعضائه ٧٨٠ عضواً، وكان أعضاء المؤتمر ينتمون إجمالاً إلى ثلاثة أحزاب:

١ ـ حزب اليمين (الجيروند) :

بلغ عددهم ١٦٥ عضواً، وكانوا يؤمنون بالحكم الجمهوري، وكان الجيروند يفتقرون إلى القيادة الحازمة كما أنهم اختلفوا فيما بينهم مما مهد لحزب اليسار المتطرف للسيطرة على الأمور.

٢ ـ حزب اليسار (الجبل ـ اليعاقبة):

بلغ عددهم ٥٠ عضواً، ولكن بينهم زعماء مثل (دانتون) و(روبسبير).

٣ ـ حزب الوسط (السهل) :

بلغ عدد أعضائه حوال ٤٠٠، وظهر من أعضائه سس (Sieyes) لكنهم كانوا موضع جذب من كل من الحزبين الآخريين.

إعلان الجمهورية الأولى في فرنسا:

في ٢١ سبتمبر ١٧٩٢ أقر المؤتمر إلغاء الملكية، وقرر إعلان الجمهورية، وتقرر أن يقود (ديموربيه) جيوش الجمهورية في حربها ضد أعدائها.

وبدأ التفكير في مصير الملك ـ وكان معظم زعماء الجيروند يطمعون

فى إنقاذ حياة الملك، بينما كان حزب الجبل مصراً على إتهام الملك بالتآمر على الأمة، والعمل على هدم الدستور ـ ورجحت كفة المطالبين بإعدام الملك بصوت واحد (٣٦١ صوتاً مقابل ٣٦٠) وفى ٢١ يناير ١٧٩٣ أعدم الملك.

وترتبت على إعدام الملك نتائج داخلية وخارجية خطيرة:

١ ـ ففى الداخل ترتب على إعدام الملك انتصار حزب الجبل وكان بداية الإرهاب الذى ساد فرنسا فى هذه الفترة، فقد أتهم كل من اعترض على إعدام الملك بالخيانة بل أتهموا بذلك كل من اقترح إجراء استفتاء عام بين طوائف الشعب بشأن البت فى مصير الملك.

٢ ـ أما فى الخارج فقد تسبب إعدام الملك فى إثارة دول أوروبا وملوكها الذين أصبحوا يتوقعون نفس مصير لويس السادس عشر، وأدى هذا لتكوين تحالف أوربى ضد فرنسا (التحالف الأوروبى الأول).

٣ ـ وقد أدت هذه الأحداث الداخلية والخارجية إلى تشكيل لجنة عُرفت باسم (لجنة الأمن العام) وتدارست عدة قرارات حازمة لمواجهة الأخطار التى تتعرض لها البلاد.

الموقف الحربى:

١ ـ فى ٣٠ سبتمبر ١٧٩٢ وقعت واقعة فالمى (Valmy) انتصر فيها الجيش الفرنسى على الجيش البروسى بقيادة برونزويك (Brunsuick) الذى اضطر للإنسحاب، وقد أدى هذا النصر إلى رفع الروح المعنوية للجيش الفرنسى، وكان من نتائج هذه المعركة التفاوض بين الطرفين على يدى برونزويك وديمورييه وأتفق على إنسحاب القوات البروسية من (فردان)، (ولونجوى) فأصبحت خارج حدود فرنسا.

٢ ـ واندفعت الجيوش الفرنسية بعد هذا النصر فعبرت الراين واستولت على منز (Mainz) وجنيف، وسافوى، ونيس.

٣ ـ قاد (ديمورييه) الجيش الفرنسى فى حملة سريعة غزت بلجيكا ودخل العاصمة بروكسل، وكانت بلجيكا فى ذلك الوقت خاضعة لنفوذ النمسا ـ فاجتمع ممثلو الشعب البلجيكى وأعلنوا استقلالهم عن النمسا.

٤ ـ بادرت انجلترا بعد إعدام الملك لويس السادس عشر ـ إلى طرد سفير فرنسا لديها، فلم يكن من فرنسا إلا أن أعلنت الحرب على إنجلترا، وهولندا، فى أول فبراير ١٧٩٣، وانضمت أسبانيا إلى صفوف الدول المتحاربة وأنضمت روسيا وبروسيا للحلف.

٥ ـ ثارت ثائرة الشعب البلجيكى حين أعلنت فرنسا ضم بلجيكا لها وأخذت تنادى برغبتها فى بلوغ حدودها الطبيعية غرباً وشاطىء نهر الراين شرقا والبرانس جنوباً، وكان معنى هذا ضم نيس، وسافوى، وجنيف، والجورا السويسرية، وبلجيكا، وجزء من هولندا.

وانهزمت قوات فرنسا فى بلجيكا بل إن قائد الجيس الفرنسى ديمورييه فكر فى الإستعانة بجيشه لإعادة الملكية إلى فرنسا، وعندما خذله الجند هرب إلى صفوف أعدائه فى إبريل ١٧٩٣.

٦ ـ على أن هذه الهزائم التى منى بها الجيش الفرنسى أتاحت فرصة لمعاقبة المتطرفين فأضطر الجيروند فى المؤتمر للموافقة على عدة قرارات لمعاقبة المهاجرين وتجنيد النبلاء ورجال الدين.

كما شكلوا (محكمة الثورة) للنظر بسرعة فى أمر المناهضين للثورة، كما شكلوا (لجنة الأمن العام) فى أبريل (١٧٩٣) التى قُدر لها أن تحكم فرنسا أكثر من عامين وأن تقودها إلى النصر على أعدائها، والخلاص من الإضطرابات الداخلية وهى هيئة من تسعة أعضاء.

وتنقسم فترة نفوذ لجنة الأمن العام إلى فترتين رئيسيتين:

١ ـ فترة رئاسة دانتون (من ٦ أبريل إلى ١٠ يوليو ١٧٩٣).

٢ ـ فترة رئاسة روبسبير (من يوليو ١٧٩٣ إلى يوليو ١٧٩٤).

أولاً ـ فترة رئاسة دانتون (١٦ أبريل إلى ١٠ يوليو ١٧٩٣):

١ ـ سيطر دانتون على لجنة الأمن العام عند تكوينها وظل كذلك حتى إعادة تشكيلها فى ١٠ يوليو ١٧٩٣ حين خلفه روبسبير.

ولم تكن مهمة لجنة الأمن العام مجرد الرقابة بل كانت فى الحقيقة تسيطر على تصريف شئون فرنسا حتى أن الوزراء تحولوا إلى مجرد مرؤسين لأعضاء لجنة الأمن، وكان من حقها تعيين القواد وعزلهم فهى صاحبة الحق فى توجيه السياسة الخارجية دون رقيب.

وكانت مداولات اللجنة سرية وليس لأحد حق مساءلتها أو محاسبتها إلا المؤتمر الوطنى.

٢ ـ كانت سياسة دانتون قائمة على أساس التوفيق بين الجيروند واليعاقبة ـ لكن لم تنجح هذه السياسة، وقد ركز المتطرفون من اليعاقبة جهدهم للقضاء على الجيروند، ونجحت المؤامرة التى دبرها وربسبير لتطهير المؤتمر من الجيروند فقد زحفت فرقة عسكرية بمعاونة غوغاء باريس فى ٢٠ يونية ١٧٩٣ إلى قاعة المؤتمر وقبضوا على زعماء الجيروند بتهمة التآمر على الثورة وزج بهم فى السجون إلى أن يُعرض أمرهم على محكمة الثورة.

ويرجع نجاح هذه المؤامرة ضد الجيروند لأسباب منها:

أ ـ لم تكن لهم مبادىء خاصة يتمسكون بها.

ب ـ كانوا مفككين غير متماسكين.

جـ ـ تهورهم وتبذبذهم الذى ظهر فى موقفهم من الملكية وغيرها. فهم كانوا يميلون للإبقاء على الملكية لكنهم لم يثبتوا على رأى.

٣ ـ أدت هذه الأحداث التى حدثت فى ٢ يونيو ١٧٩٣ إلى ثورات على المؤتمر اجتاحت كل فرنسا ـ وقد أضطر أعضاء المؤتمر للتمويه على الشعب بإصدار دستور ١٧٩٣.

٤ ـ دستور ١٧٩٣: أقر هذا الدستور مبدأ الإنتخاب العام، وإن كانت الإنتخابات فى الدستور الجديد تجرى فى مرحلة واحدة بدلاً من مرحلتين.

وبقيت السلطة التشريعية فى يد مجلس واحد كما كانت فى الماضى، وقد بلغ عدد أعضاء المجلس التشريعى ٦٠٠ عضو يجدد إنتخابهم كل عام.

أما السلطة التنفيذية ـ فقد أصبح يهيمن عليها مجلس من ٢٤ عضواً.

٥ ـ ظل دانتون يسيطر على (لجنة الأمن العام) حتى ١٠ يوليو ١٧٩٣ وظلت لجنة الأمن العام فى عهد رئاسته تمارس سلطاتها دون إستخدام العنف فى ردع الثوار ـ لكن سياسة اللين هذه لم ترق فى أعين المتطرفين من اليعاقبة، خاصة بعد أن تفاقمت ثورات الأقاليم ـ فوجهوا اللوم إلى دانتون الذى وصفوه بالتساهل وحين أعيد تشكيل لجنة الأمن العام فى ١٠ يوليو ١٧٩٣ ظهر أن دانتون لم يكن من أعضائها.

ثانياً: فترة رئاسة روبسبير للجنة الأمن العام (يوليو ١٧٩٣ إلى يوليو ١٧٩٤) :

١ ـ كان روبسبير عضواً ظاهراً فى حزب اليعاقبة، تحمس لإعلان الجمهورية والتخلص من الملك والملكية وخلال العام الذى رأس فيه لجنة الأمن العام أحرزت فرنسا عدة إنتصارات فى الخارج والداخل.

٢ ـ إخماد الثورات فى الداخل: نجحت وسائل الحكم فى فرنسا فى فترة رئاسته فى القضاء على الثورات المحلية التى إجتاحت فرنسا، وكانت من أشدها عنفاً ثورة أقليم لافنديه (Lavendee) الذى ثار ضد القانون المدنى للكنيسة، وضد قانون التجنيد، وقد استمرت ثورة لافندية مدة طويلة ولم تخمد إلا فى عهد حكومة الإدارة.

٣ ـ حكم الإرهاب فى باريس: مهدت الأحداث لموجة من الإرهاب والقتل فى باريس، وكان فاتحة ذلك العهد مصرع مارا (Marat) أحد أقطاب اليعاقبة على يد فتاة من الجيروند، فأعلن المؤتمر إتهام الجيروند بالخيانة الوطنية وأستباح قتلهم بغير محاكمة.

٤ ـ الحروب ضد أعداء فرنسا: تأرجحت كفة الحروب فى هذه الفترة بين النصر والهزيمة، وإن كان الخلاف، بين بروسيا، والنمسا على إقتسام بولندا قد أتاح فرصة ذهبية للقوات الفرنسية لإسترجاع بلجيكا، كما غزت قوات فرنسا هولندا.

٥ ـ إنقسام حزب الياقبة:

انقسم الحزب إلى ثلاثة أحزاب:

أ ـ أحداها برئاسة روبسبير.

ب ـ الثانى برئاسة دانتون، وقد نادى بالإعتدال والبعد عن الإرهاب.

جـ ـ الثالث برئاسة هيبير (Hebert) وشومت (Chaumette) ـ ولهذا الحزب الأخير الفضل فى عدد من الإصلاحات الداخلية التى وافق عليها المؤتمر ـ كالتنظيم العشرى للموازين والمقاييس (الكيلو، والمتر)، وإنشاء تقويم جديد لفرنسا إبتداء من إعلان الجمهورية (سبتمبر ١٧٩٢)، وتغيرت فى هذا التقويم الأشهر وتسميتها، كما نادى الحزب فى مجال الدين (بعبادة الحق).

٦ ـ روبسبير يقضى على الحزبين المنافسين:

نجح روبسبير فى التقرب من دانتون، وبذا قضى على أتباع هيبير وقادهم إلى المقصلة، ثم لم يلبث أن قضى على (دانتون) وأعوانه فأرسلهم للمقصلة أيضاً، وإنفرد روبسبير فى الفترة من إبريل إلى ٢٧ يولية ١٧٩٣ بالسلطة، وعمل فى هذه الفترة للتخلص من أعدائه الواحد تلو الآخر ـ فقد أصبحت سجون فرنسا تغص بالآلاف من المسجونين، ولقى عدد كبير مصيرهم تحت المقصلة بل وصل الأمر بروبسبير إلى أن أصدر قانوناً سحب بموجبه الحصانة من أعضاء المؤتمر أنفسهم، وساق عدداً منهم للمقصلة.

ولما وصل الأمر إلى حد لا يحتمل المزيد من سفك الدماء أخذ نادى اليعاقبة وعلى رأسه رئيسه فوشيه (Fouche) يعمل للتخلص من روبسبير وأعوانه ـ فسيقوافى ٢٦ يولية ١٧٩٤ للمقصلة ليشربوا من الكأس التى طالما قدموها لغيرهم.

٧ ـ وهكذا انتهى عهد الإرهاب، واتجه المؤتمر بعد ذلك ليكفل للبلاد حالة إستقرار، أغلق نادى اليعاقبة وأعاد تنظيم محكمة الثورة وقيد سلطاتها على أن الأمور لم تهدأ دفعة واحدة فى فرنسا، فقد اجتاحت البلاد عدة ثورات (هبات).

على أن الأمركان يتطلب الإسراع بوضع دستور جديد لفرنسا بنظم الحكم بعد عهد المؤتمر الوطنى.

رابعاً ـ عهد الجمهورية الثانية

(حكومة الإدارة)

(١٧٩٥ ـ ١٧٩٩)

دستور ١٧٩٥ (دستور العام الثالث ـ دستور حكومة الإدارة):

وضع المؤتمر في عام ١٧٩٥ هذا الدستور الذى حدد نظام الحكم فى فرنسا حتى عام ١٧٩٩ حين قام نابليون بإنقلابه الشهير الذى أطلق عليه إنقلاب بروميير (Bromaire) نسبة للشهر الذى وقع فيه، وبمقتضى هذا الدستور أصبحت:

أ ـ الهيئة التشريعية: من مجلسين هما مجلس الخمسمائة لايقل سن العضو فيه عن ٣٠ عاماً، ومجلس الشيوخ لايقل سن العضو فيه عن ٤٠ عاماً، وقد اشترط أن يكون ثلثا أعضاء الهيئة التشريعية من أعضاء المؤتمر الوطنى ويُعاد إنتخاب ثلث أعضاء المجلسين سنوياً.

ب ـ السلطة التنفيذية: أطلق عليها إسم (حكومة الإدارة) وهى من خمسة أعضاء فقط تنتخبهم الهيئة التشريعية لمدة خمس سنوات، يختار مجلس الخمسمائة ٥٠ عضواً ويختار منهم مجلس الشيوخ خمسة أعضاء، ويسقط منهم واحد سنوياً بالإقتراع.

أهم الأحداث فى عهد حكومة الإدارة (أربع سنوات):

أولاً: الأحداث الداخلية:

١ ـ زيادة قوة القواد العسكريين: زادت قوة القواد العسكريين بما نالوه من إنتصارات ضد أعضاء الثورة، كما أن حكومة الإدارة لجأت للإستعانة بهؤلاء القواد كلما لاحت فى الأفق مشكلة.

٢ ـ واجهت حكومة الإدارة مشاكل داخلية كالمشكلة الدينية، ومشكلة المهاجرين العائدين لفرنسا، والمشكلة الإقتصادية.

ـ من جهة المشكلة الدينية تمثلت فى عودة بعض رجال الدين الذين كانوا قد هاجروا بعد صدور القانون الدينى للكنيسة فعادوا بعد أن كفلت القوانين الجديدة حرية العبادة، لكن ظل القانون السابق ـ الذى فرض عقوبة الموت على الممتنعين عن حلف يمين الولاء حسب الدستور المدنى للكنيسة ـ قائماً.

ـ كذلك وفيما يتعلق بالمهاجرين من غير رجال الدين، فقد كانت القوائم بأسمائهم غير سليمة، وأدى ذلك لإيقاع الظلم بعدد كبير من الأبرياء بعضهم لم يهاجر قط من فرنسا لكنهم أدرجوا فى قوائم المهاجرين.

ـ أما الحالة الإقتصادية: فقد كانت فى غاية السوء بسبب إنخفاض قيمة العملة الفرنسية فى ذلك الوقت.

٣ ـ التصادم المستمر بين الهيئة التشريعية وحكومة الإدارة:

كان هذا التصادم مستمراً، ولم يكن الدستور يعطى أى من الهيئتين سلطة التصدى للأخرى، فحكومة الإدارة لم يكن لها حق تأجيل ماتصدره الهيئة التشريعية من قرارات أو طلب حل المجلسين إذا حادا عما حدده لهما الدستور من حقوق، وكذلك الهيئة التشريعية لم يكن فى إستطاعتها إسقاط الهيئة التنفيذية إذا وقفت فى طريق الصالح العام.

ولذا كان الإستعانة بالقوة العسكرية هو الحل الوحيد أمام أى من القوتين تجاه الأخرى وقد مهد هذا الطريق لأحد العسكريين ـ نابليون بونابرت فيما بعد ـ للإستئثار بالسلطة.

٤ ـ إنقلاب فراكتيدور (Fructidor) (العام الخامس للثورة) : فى عام ١٧٩٧ حدث أن ثلاثة من أعضاء حكومة الإدارة ـ وكانوا من اليعاقبة ـ أرادوا التخلص من زميليهم المعتدلين للذين كانا أيضا يجدان تأيداً من الغالبية فى الهيئة التشريعية، فاستخدموا فى بعض الوظائف عدداً من اليعاقبة المتطرفين ونجحوا بمعاونة الجيش فى ذلك فأستبدلوا الأعضاء غير المرغوب فيهم بغيرهم وأقاموا محاكم عسكرية لمحاكمة العائدين لفرنسا وغيرهم، فقتل عدد كبير منهم رمياً بالرصاص ـ مما أثار سخط الكثرين من المعتدلين.

ثانياً: الأحداث الخارجية:

١ ـ نجحت حكومة الإدارة فى عقد الصلح مع عدد من الدول التى كانت قد تحالفت ضد فرنسا ـ فى التحالف الأوربى الأول، وقد قامت سياسة حكومة الإدارة الخارجية على أساس إحاطة فرنسا بمجموع من الدول الصغيرة (الجمهوريات) التى تعتمد على تحالفها مع فرنسا وهى جمهوريات مستقلة فى الظاهر ـ لكنها فى الواقع غير ذلك فهى إما محتلة بجنود فرنسيين أو تقوم فيها أحزاب حاكمة معتمدة على تأييد فرنسى، وتحاكى النظم الفرنسية وقد تم هذا على النحو التالى:

أ ـ الأراضى البلجيكية ضمت مباشر لفرنسا.

ب ـ الجمهورية الهولندية (جمهورية باتافيا - الإسم القديم لهولنده) ـ تأسست فيها جمهورية قائمة بذاتها نتيجة التدخل الفرنسى.

جـ ـ أراضى الراين (بين فرنسا وألمانيا) ـ هذه الأراضى كما نعلم منذ القدم وإلى الآن موضع صراع بين فرنساوألمانيا ـ لكن هناك فرق فأهميتها المالية أهمية إقتصادية لما بها من فحم وحديد ـ لكنها فى الوقت الذى نتحدث عنه لها أهمية حربية

راجعة للرغبة فى الوصول للحدود الطبيعية التى يسهل الدفاع عنها، ومن أيام رشيليو وسياسة فرنسا ترمى إلى إمتلاك الضفة اليسرى للراين وتحويل إتجاه الإمارات للأخرى غير الخاضعة لفرنسا تجاه باريس بدلاً من المانيا.

هذا على أنه بالرغم من أن فرنسا كانت دولة ذات حكومة مركزية لها سياسة خارجية قومية، دولة موحدة، وألمانيا كانت عبارة عن عدة دول متفرقة ـ فإن حكومة الإدارة لم يمكنها أن تفرض هذه السياسة الفرنسية فرضاً، ولجأت إلى سياسة المفاوضة مع الدول الأخرى وخاصة النمسا بهدف إجراء التبسيط الجغرافى فى الإمارات الألمانية بضم الصغيرة للكبيرة والداعى لهذا التبسيط أن حدود فرنسا قبل الثورة لم تكن محددة إذ كانت للألمان إمارات إقطاعية داخل فرنسا ذاتها فكان لزاماً على فرنسا أن تحدد حدودها وأن توجد لنفسها حدوداً واضحة. وقد نجح نابليون فى أن يحقق هذ السياسة بمفرده معتمداً على قوته، بعد ١٨١٥ سيتغير الوضع إذ أن بروسيا ستقوى وتأخذ على نفسها مهمة حماية حدود ألمانيا الغربية.

د ـ سويسرا ـ تدخلت حكومة الإدارة فى شئونها وكان الهدف من هذا التدخل إكتساب أموال من (بون) على الأخص، قيل إنها استخدمت فى تمويل حملة بونابرت على مصر، وكذلك كان تدخل حكومة الإدارة يرمى إلى تأييد بعض الأحزاب السوسرية ضد البعض الآخر.

هـ ـ إيطاليا: كانت فى ذلك الوقت عبارة عن دولة غير موحدة، ففى الشمال كانت أسرة سافواى تحكم بيدمونت وسردينية، بينما كانت ميلان تتبع النمسا، ثم فى الشرق جمهورية النبدقية، وفى

الجنوب توجد عدة إمارات، كذلك البابارية، هذا بينما فرع من أسرة البوربون كان يحكم نابولى وصقلية.

الحروب التى خاضتها الجيوش الفرنسية فى هذه الفترة:

١ ـ حملة إيطاليا

عهدت حكومة الإدارة لنابليون بونابرت فى عام ١٧٩٦ بقيادة حملة على إيطاليا بهدف إجلاء النمسا عن سهل لمبارديا وإنشاء جمهورية أو جمهوريات على النمط الفرنسى أى من نوع ما أنشىء فى هولندا وسويسرا يعتمد على التأييد الفرنسى.

وقد كانت حملة إيطاليا هذه أول قيادة مستقلة يعهد بها إلى بونابرت، وكانت المهمة التى حددت له هى هزيمة الجيش النمساوى ودخول فيينا وإجلاء النمسا عن (ميلان) وتكوين جمهوريات إيطالية تعتمد على فرنسا.

هزم نابليون بونابرت الجيوش النمساوية ـ لكنه لم يستمر فى الحرب للنهاية بل أنهى المواجهة مع النمسا فى ١٧٩٧ بصلح كومبوفورميو (Campo Forrmio) وبالطبع لم يحقق بونابرت بذلك كل الأغراض التى رسمتها له حكومته فبدلاً من إجلاء النمسا إجلاءً تاماً عن إيطاليا وتتبع قواتها لأراضيها حتى فيينا ـ كما كان مقرراً ـ عقد الهدنة وتوقف القتال مع النمسا وعُقد الصلح.

ومن أهم شروط كومبرفورميو (Campo Formio):

أ ـ اقتسمت جمهورية البندقية ومالها من الأرض ـ فأعطيت للنمسا على أن تخلى عن (ميلان).

ب ـ استولت فرنسا على الجزر اليونانية (التابعة للبندقية)

جـ ـ اعترفت النمسا بالمؤسسات الفرنسية فى شمال إيطاليا.

(أسست جمهورية من بيدمنت، وجنوة، وأخرى من ميلان).

د ـ تخلت النمسا عما تدعيه فى بلجيكا.

هـ ـ تعهدت النمسا أن تساند فرنسا فى تسوية مشاكلها فى الراين.

أضواء على معاهدة كمبوفورميو :

أ ـ أغضبت هذه المعاهدة كثيرين فى فرنسا، فى الحكومة ذاتها وخارجها فأعتبرت عملية غدر لامبرر لها بجمهورية البندقية التى قُسمت هى وأملاكها، كما أنها أعطت النمسا مركزاً ممتازاً على الإدرياتيكى.

ب ـ لكن المعاهدة فى الحقيقة توضح حقيقة هامة وهى أن بونابرت كان يتجه سواء فى تحركاته الحربية أو السياسية إلى سلوك سياسة إستقلالية، وكان يدرك رغبة الشعب الفرنسى فى فترة سلام فقد سئم القتال والحرب، فالقائد الذى يحقق لفرنسا هذا الهدف يرتفع قدره فى نظر الفرنسيين عامة بإستثناء السياسيين من أعضاء حكومة الإدارة، والمجالس الحكومية الذين كانوا يرغبون فى الحرب.

وهذا يبرز حقيقة هامة هى أن لجوء حكومة الإدارة والسطة التشريعية خلال سنتى ١٧٩٦، ١٧٩٧ بالذات إلى استمالة قواد الجيش لجانبهم أدى إلى أن النفوذ الحقيقى أصبح بأيدى قواد الجيش، وهذا يذكرنا بما حدث فى العهد الأخير من الإمبراطورية الرومانية إذ انتقلت السلطة لقواد الجيوش (ماريوس، سلا، قيصر، بومبى، انطونيوس...) ـ لكن يختلف الوضع بعض الشىء فى فرنسا إذ لم يؤد هذا الصراع بين قواد الجيش لغرق فرنسا فى حروب أهلية.

جـ ـ فيما يتعلق بموقف حكومة الإدارة من معاهدة كومبوفورميو ـ فإنه على الرغم من كره الحكومة لها ـ فلم تستطع إلا التصديق عليها لأنها كانت تدرك أن الرأى العام يؤيد هذا الإتجاه.

د ـ بعد ذلك انتقل بونابرت لميدان أخر هو مصر.

٢ ـ الحملة الفرنسية على مصر والتالب الدولى الثانى ضد فرنسا

أ ـ أطماع فرنسا فى مصر قديمة، لكن الدوافع التى دفعتها لإرسال حملتها على مصر فى عام ١٧٩٨، ترجع لظروف فرنسا الداخلية وعلاقتها بالدول الأوربية الأخرى، فقد نجحت فرنسا فى تسوية موقفها من الدول الأوربية (الحف الأوربى الأول) ضدها، ولعل معاهدة كومبوفورميو مع النمسا فى عام ١٧٩٧ تعتبر نهاية هذ التسويات ـ لكن بقيت (إنجلترا) العدو العنيد لفرنسا. ولما كان ضرب انجلترا فى أرضها أمراً صعب التنفيذ ـ لذلك اتجه التفكير إلى توجيه الضربة لإنجلترا فى الهند جوهرة المستعمرات البريطانية.

وقد كلفت حكومة الإدارة بونابرت بتنفيذ ذلك وجاء هذا التكليف مسايراً لطموح وأطماع هذا القائد الشاب. على أن بعض الكتاب يرددن القول بأن حكومة الإدارة قصدت إبعاد بونابرت عن مسرح الأحداث فى فرنسا حين ظهرت خطورة هذا القائد المظفر، وهذا التعليل على كل ليس هو السبب القوى وراء هذه الحملة الكبيرة على مصر.

على أننا نلاحظ من إستعدادات الحملة، ومن جيش العلماء الذى رافق الجيش العسكرى، ومن تصرفات نابليون وسياسته فى الشرق، كما

أن إتصالات نابليون بالشخصيات الوطنية البارزة فى الجزيرة العربية والهند وتنبه إنجلترا من ذلك الوقت لأهمية موقع مصر الإستراتيجى فى الطريق للهند والشرق وإشراكها فى الحملات التى وجهت لإجلاد الفرنسيين عن مصر ـ كل هذا يؤيد القول بأن حملة بونابرت على مصر كان من أهم الدوافع لها توجيه ضربة لإنجلترا عدوة فرنسا فى ذلك الوقت.

ب ـ فى أثناء غياب بونابرت عن فرنسا تألف التحالف الدولى الثانى ضد فرنسا من (إنجلترا) التى لم تكن قد عقدت الصلح مع فرنسا، و(روسيا) التى كانت لها أطماع كان من الصعب تحقيقها أمام النفوذ الفرنسى المتزايد، (النمسا) التى كانت تحقد على فرنسا نفوذها فى إيطاليا، وكان صلح كومبوفورمير بالنسبة لها أمراً فرضته الظروف فقط ـ و(تركيا) التى غزا الفرنسيون أملاكها فى مصر.

وترتب على هذا أن أصبح موقف فرنسا فى غاية الحرج خاصة بعد أن نجح القائد الروسى سواروف (Suwaruff) فى أن يوقع الهزيمة بالفرنسيين ويجبرهم على التخلى عن مواقعهم فى إيطاليا ـ وإن كان الخلاف الذى أخذ يدب بين أقطاب دول التحالف الثانى هذا قد أنقذ فرنسا من هزيمة ثانية ـ فإن عودة نابليون الفجائية من مصر فى أكتوبر ١٧٩٩ قد أعادت للشعب الفرنسى الأمل فى أن يعيد لفرنسا مركزها وإن كانت هذه العودة قد أثارت الرعب والخوف فى نفوس أعضاء حكومة الإدارة.

❊ ❊ ❊

فترة حكم نابليون بونابرت
قنصلاً ثم إمبراطوراً
(١٧٩٩ - ١٨٠٤)

الظروف التى مهدت لإنقلاب بروميز (Brumaire):

حدث هذا الإنقلاب بعد عودة بونابرت لفرنسا بشهر تقريباً فى نوفمبر ١٧٩٩ أما الظروف التى مهدت للإنقلاب فترجع إلى:

١ - كان يخيم على نفوس الفرنسيين شعور بخيبة الأمل، وكان هذا الشعور راجعاً إلى أن كل ما بنته من آمال فى النفوس قد تبخر - فالأمل بمستقبل زاهر لفرنسا، وماتخيله الناس من أن فرنسا ستتحول فى شهور قليلة أو فى سنوات إلى جنة يسودها السلام ولا يوجد فيها فقير، ولن يوجد محروم، كل شىء يجرى طبقاً لعواطف الأخوة، والعدالة.. كل هذا حين اصطدم بالواقع - وجد الناس أن الواقع غير ذلك تماماً عكس ماانتظروه، وجدوا إضطراباً باستمرار قسوة وحشية فُتحت السدود لبحار من الدم.

كذلك وجدوا الجشع والطمع، والسعى للمصلحة الشخصية بدلاً من المصلحة القومية، وجدوا الرشوة منتشرة حتى فى الأوساط الثورية ذاتها، وجدوا البعض يستغلون الحرية لأجل الغنائم من وراء تعريض الجنود للفقر والجوع، فالمتعهدون الذين يتعهدون بتوريد حاجات الجيش من مأكل وملبس وسلاح يتفقون ورجال الحكم فلا يقدمون للجيش مايجب تقديمه والفرق يدخل جيوبهم، ثم ما نادوا به من الأخوة والمساواة بين الناس بدلاً من أن يبدأ بها عهد يخيم فيه السلام على أوروبا وجدوا أنه أدى لسلسلة من الحروب الشاملة لكل أوروبا - كل هذا أدى إلى رد فعل كان شديداً فى عنفه ومبالغ فيه ولم يتوقعه الشعب فلكل فعل رد فعل يمثاله فى القوة.

٢ ـ يتمثل رد الفعل هذا فى إبتعاد الناس عن المسائل القومية فتغلغلت فى النفوس رغبة فى وضع حد للمناقشات الحزبية والمجادلات وفى تسليم السلطة ليد رشيدة حازمة قادرة، بينما تفرغ الناس لمصالحهم وتركوا أمور الحكم لهذا الحاكم.

٣ ـ نتيجة لزهدالناس فى مباشرة الحكم بأنفسهم وجد فراغ ولابد أن يُملأ هذا الفراغ برجل قادر على القيام بهذه المهمة، فدكتاتورية بونابرت إذاً ليست وليدة أطماع شخصية فحسب، بل قبل كل شىء هى نتيجة هذه الحالة العقلية التى تملكت الفرنسيين، وتلك الرغبة التى جاشت فى نفوسهم.

٤ ـ فالحكم الدكتاتورى راجع لوجود علل وأمراض جعلت الناس يُحجمون عن تحمل المسئولية ـ مسئولية الحكم.

بالطبع لابد أن يدفع الناس ثمن هذه الرغبة، فالدكتاتور عادة لايقف عند حد خدمة مصالح أمته بل إنه يتعرض كما يتعرض أى إنسان آخر بحكم طبيعته الإنسانية لوساوس وآمال، لانجد هذا فى حالة نابليون فحسب لكن تكررت الصورة فى أكثر من مكان وأكثرمن زمان، ففى إيطاليا المعاصرة مثلاً ـ كانت خيبة الأمل عميقة بعد الحرب العظمى الأولى لأنها لم تنل كل ماكانت تريده، وتطمع فيه رغم أنها كانت فى صف المنتصرين، هذا بالإضافة إلى الإرتباك الداخلى نتيجة أزمات الحرب الاقتصادية ـ ترتب على ذلك أن سلمت الأمر لموسولينى ودفعت ثمن ذلك فى أنه جرها لسلسلة من الحروب.

فى ألمانيا ـ مصائب الحرب العظمى الأولى، عار الهزيمة وماترتب من فقدان مستعمراتها ومن عقوبات فُرضت عليها ـ أدى كل هذا إلى شعور بالحاجة إلى رجل قادر يستطيع أن يمحو ذلك العار ويقود الأمة فى

موكب النصر ـ وقد دفعت ألمانيا ثمن هذا غالياً فى الحرب الثانية وماترتب عليها.

٥ ـ دكتاتورية نابليون: نابليون نفسه طرأ عليه نفس التطور الذى طرأ على الشعب الفرنسى فقد انقلب من رجل متحمس لأراء روسو، من أبن للثورة يؤمن أن الأمة مصدر السلطات يجب أن تحكم بواسطة ممثليها ـ إلى إعتقاده بأن كل هذا جر على الأمة مصائب وانتهى بالفوضى الإضطراب، وأن الأمة أصبحت فى حاجة إلى رجل ماهر يقود جيوشها التى هُزمت ـ يقودها فى طريق النصر ويحكم حكماً عادلاً، ويضع حداً لما لاقته الأمة من مصائب من جراء تنازع الأحزاب.. ثم أخذ يأنس فى نفسه الرجل الذى يستطيع جذب الأمة كلها خلفه ليضع حجر الأساس فى بناء مجد فرنسا.

ويقال إن هذه الفكرة إختمرت فى عقله فى عامى ١٧٩٦، ١٧٩٧ وهو فى إيطاليا، لكنه رأى أن الأمر لم يصل إلى النضج الكافى لتثق به الأمة كل الثقة فجالت فى ذهنه فكرة إحياء حملة مصر لترفع من شأنه فى نظر الشعب، وتزيد الأمة إقتراباً من الهدف الذى تبتغيه وقيل إنه كان يعتبر أن الحرب بين فرنسا والدول الأوربية الأخرى لابد ناشبه، وأن فرنسا سوف لن تنتصر وأن الأمة كلها ستتطلع إليه فى هذه المحنة وتنظر إليه بإعتباره المنقذ المنتظر فيعود ليتقدم الصفوف ويقودالجيش من نصر إلى نصر.

حدث فعلاً ماتوقعه نابليون فتضافرت الدول الأوربية ـ كما ذكرنا ـ من جديد وحدث (التحالف الدولى الثانى) ضد فرنسا من النمسا، وروسيا، وإنجلترا، وتركيا، وانتصرت الجيوش المتحالفة وخسرت فرنسا معظم فتوحاتها وقيل إن الحلفاء كانوا عازمين على التوغل داخل حدود فرنسا نفسها لولا الخلافات التى نشبت بين جيوشهم.

فعاد نابليون ـ فى عام ١٧٩٩ إلى فرنسا فى وقت كان الخطر حقيقة قد بعد بعض الشيء عن فرنسا ذاتها ـ لكن عار الهزيمة كان مازال ماثلاً.

إنقلاب برومير (Brumaire) :

اتصل نابليون بمن يرى فيهم الرغبة فى تغيير نظام الحكم وساهم فى الإنقلاب ثلاثة أركان:

١ ـ أقلية فى الهيئة التشريعية كانت مستعدة للتصويت لتغيير نظام الحكم القائم أو على الأقل الإستقالة وتعطيل عملالهيئتين.

٢ ـ أناس داخل حكومة الإدارة كانوا مستعدين للإستقالة وتطعيل عملها.

٣ ـ القوات المسلحة.

ونلاحظ على هذا الإنقلاب:

١ ـ لم تستخدم القوة المسلحة إستخداماً عنيفاً إذ لم يحدث قتل، فقد اقتحمت القوة قاعات المجلس وشتتت الأعضاء وتم الإنقلاب ووضع النظام الجديد فى نوفمبر ١٧٩٩ ـ ونلاحظ أن نابليون يختلف فى هذا الأسلوب الذى سيتبعه ابن أخيه (نابليون الثالث) فيما بعد فى ١٨٥١ إذا استخدم هذا الأخير القوة والتشريد والنفى والقتل فى تحويل الجمهورية إلى دكتاتورية.

٢ ـ لم يلجأ نابليون ـ كما لجأ هتلر ، وموسولينى ـ فيما بعد إلى إنشاء فرق (القصمان السوداء)، وتغلغل المبادىءتدريجياً بطريق الخطب ووسائل الإعلام ثم الزحف على روما وإملاء الشروط عل الملك، والتخلص من المعارضة شيئاً فشيئاً بمنع أى حزب معارض ثم سياسة الإعتقال والسجن والتشريد حتى تصبح الأمة كتلة واحدة تساند الحزب كما فعل موسولينى.

وفى حالة المانيا لم يكن الزحف إنما عن طريق الإنتخابات مما دعا لأن يعهد لهتلر برئاسة الحكومة واستخدم هذا سلطته لوضع دستور جديد لألمانيا.

نابليون لم يفعل هكذا، بدأت الحركة بمؤامرة لقلب نظام الحكومة وكان وراء المؤامرة الأعوان والجيش وأما الشعب الفرنسى نفسه فلم يشترك فى الأمر نتيجة الزهد الذى أسلفنا الإشارة إليه.

❋ ❋ ❋

أولاً - عهد القنصلية (١٧٩٩ - ١٨٠٤)

أصبح بونابرت الحاكم الفعلى لفرنسا بعد نجاح إنقلاب برومير ويطلق على هذه الفترة إسم (القنصلية)، وتسمية القنصيلة كان تشبيهاً بالجمهورية الرومانية حيث أن على رأس الدولة قنصلان، فى حالة فرنسا كان ثلاثة قناصل لكن السلطة الحقيقية كانت فى يد القنصل الأول (بونابرت).

وقد اهتم نابليون بعد أن أمسك بالسلطة فى يديه بمواجهة مشكلات فرنسا الخارجية تجاه الدول الأخرى، كما واجه بالطبع الشئون الداخلية.

ومن جهة سياسته الخارجية فى عهد القنصلية:

كان أول واجب على القنصل الأول ـ هو مواجهته الحرب بين فرنسا وجيرانها ـ والمؤرخون الذين تعرضوا للحديث عن سياسة نابليون الخارحية فى عهدالقنصلية اختلفوا فى تقييمها.

فالبعض ذهب إلى أن نابليون أنقذ فرنسا بحروبه التى خاضها فى عام ١٨٠٠ ـ بينما يشير المؤرخون غير الموالين لنابليون إلى أن معظم خطر الغزو كان قد زال عن فرنسا سنة ١٧٩٩ نتيجة للخلافات التى نشبت بين

النمسا وروسيا فى أثناء الحرب، فحين ولى نابليون الأمر كانت الحرب قد وضعت أوزارها وتخلصت فرنسا من خطر الغزو، ورغم أن فى هذا القول شيئاً من الحقيقة ـ فإن ذلك لايقلل من قمية حروب نابليون فى هذه الفترة وسياسته فى معالجة المشكلات الخارجية.

والحروب فى هذه الفترة كانت ذات أربع شعب:

١ ـ مع روسيا ـ مع النمسا ـ مع انجلترا ـ مع تركيا.

وقد استخدم نابليون فى هذ الحروب أسلوب (السياسة) كما استخدم وسيلة الحرب والقتال، وقد أجاد وبرز فى كل من الميدانين.

لنلقى نظرة على موقفه وسياسته تجاه كل دولة منها.

١ ـ موقف نابليون من روسيا:

عمد نابليون إلى التفرقة بين روسيا والنمسا، فصمم على إبعاد العدو الروسى عن الميدان عن طريق السياسة.

وكان نابليون هنا فى غاية المهارة، فقد إستغل ما بين الدولتين من خلاف وعمل على توسيع فجوته، وانتهى الأمر بخروج روسيا من الميدان.

٢ـ موقف نابليون من النمسا:

أدرك نابليون أن السياسة لاتُجدى فى هذه الحالة فأضطر للإتجاه للحرب فخاض عدة معارك ضد النمسا، وهزمها فى موقعه مارنجو (Marengo)، كما هزمها قائده مورو (.Moreau) فى موقعه هوهنلدن (Hohenlinden) وأضطرت النمسا فى عام ١٨٠١ لعقد صلح ليونيفيل (Luneville) ويختلف هذا الصلح عن معاهدة كمبوفورميو ١٧٩٧ رغم إتفاقهما الشكلى إذ أن فرنسا اتخذت لنفسها بعد صلح ليونيفيل حرية العمل فى أراضى الراين، وكان لهذا أثر رجعى فى تاريخ ألمانيا، ولعل هذا

الإختلاف يرجع إلى أن المعاهدة الأولى عُقدت فى عهد حكومة الإدارة بينما عُقدت الثانية فى عهد نابليون بقوته وجبروته.

٣ ـ موقف نابليون من تركيا:

حاول نابليون فى مواجهة تركيا اللجوء للسياسة لتحقيق أهدافه فيها وذلك على أساس:

أ ـ تعيد تركيا صداقتها التقليدية مع فرنسا، والعقبة أمام ذلك كانت حملة بونابرت على مصر وقد أعلن نابليون لتركيا استعداده لترك مصر فقط بعد عقد الصلح مع جميع الدول.

ب ـ على أن هذا الجزء من سياسة نابليون سيخرج من يده كما سيخرج من يد الأتراك لتدخل الإنجليز بجيشهم فى مسألة مصر ـ فأصبحت المسألة تتعلق بالسياسة.

٤ ـ موقف نابليون من انجلترا ـ صلح إميان وسبب عدم دوامه:

أ ـ العلاقات الإنجليزية الفرنسية فى هذه الفترة (١٨٠٠، ١٨٠١، ١٨٠٢) مهمة لأنها كانت بمثابة تجربة لمعرفة هل يمكن أن يتم الصلح بين انجلترا وبين دولة أوربية تتزعم القارة سواء أكانت هذه الدولة هى فرنسا أو المانيا. هذه التجربة شبيهة أيضاً بالمحاولة الإنجليزية فيما بعد فى عام ١٩٣٨ للمحافظة على السلام.

ورغم أن ألمانيا فى هذه المحاولة الأخيرة نقضت ركناً هاماً من أركان معاهدة ١٩١٩ بتسليحها أرضى الراين كان المفروض أن تكون مجردة من الحصون والقلاع ـ فإن انجلترا غضت الطرف، بل تغاضت عن قيام ألمانيا بإتبلاع تشيكوسلوفاكيا ـ لكن أدرك الإنجليز فيما بعد أن السلام فى ظلا هذه الظروف لايمكن تحقيقه.

وستخرج انجلترا من التجربتين - تجربتها مع نابليون ١٨٠٢، وتجربتها مع ألمانيا بعد ذلك بحقيقة واحدة هى إنها لايمكن أن تكون انجلترا فى سلام مع دولة أوربية تعمل لفرض ساستها على أوروبا فالعالم.

ب - الظروف لتى عُقد فيها الصلح ترجع لظروف الدولتين انجلترا، وفرنسا. فانجلترا كان بها حزب قوى يستنكر الحرب مع فرنسا من أجل إرغام شعبها على التخلى عن نوع الحكم السائد فيها وإجباره على إتباع نظام آخر وكان يتزعم هذا الرأى تشارل جيمس فوكس (Charles Fox) وهو من حزب الهويج، فقد إنقسم هذا الحزب إلى فريقين، فمجموعة رغم قلة عددها - لكنها كانت مسموعة الصوت - كانت لاترى مبرراً لشن حرب على فرنسا، والباقون كانوا يؤيدون رئيس الوزراء وليم بت (William Pitt) فى سياسته.

ومن جهة وليم بت فقد كان مصمماً على قتال فرنسا لأنه يؤمن بأن سلامة بلاده ونظمها لايمكن أن تعيش بجانب سيادة دولة أخرى على كل أوروبا - ولذلك أمد سياسة الحرب بكل مجهود ممكن، ولكن ثبت أنه لم يضع للحرب مع فرنسا الخطط الصحيحة، فقد تفكك فى عام ١٧٩٧ التحالف الأوربى الذى بذل جهداً كبيراً فى إقامته ضد فرنسا حين عقدت فرنسا الصلح مع النمسا (صلح كومبوفورميو)، وبذل بت جهداً مضاعفاً فى تكوين تحالف ثانى ضد فرنسا - لكن هذا التحالف إنهار أيضاً بإبتعاد روسيا عن الحرب ثم النمسا وعقدها صلح مع ليونيفيل (Luneville)، كما واجه بت صعوبات داخلية راجع بعضها لحركة تمرد وعصيان الأسطول الإنجليزى، كما أن الشعب الإنجليزى كان فى عام ١٨٠١ فى حالة فتور عام ورغبة فى إنهاء الحرب.

وأمام هذه الظروف رأى بت أن الأمر يتطلب وقف القتال ضد فرنسا

ـ لكنه رفض أن يكون هو الرجل الذى يدخل فى مفاوضات الصلح معها فآثر الإستقالة من وظيفته لسبب آخر يتعلق بالسياسة الإنجليزية فى إيرلندا، وأشار بنقل الوزارة لرجل من أصدقائه على أن يكون هو وراء تلك الوزارة فلا يمضى صلحاً ليعود هو ليمسك بدفة الحكم بعد أن تستأنف الحرب مع فرنسا وهو كان يرى إنها لا محالة عائدة.

فإنجلترا دخلت فى مفاوضات الصلح فى جو لايسوده التفاؤل بدوام هذا الصلح.

كذلك نابليون من جهته دخل هذه المفاوضات وهو لا يؤمن بأنه فى الإمكان عقد صلح حقيقى مع انجلترا ـ لكن الصلح يقوى مركزه ويعطيه فرصة أخذ أنفاسه.

د ـ صلح إميان (Amiens) ١٨٠٢:

ذكرنا أن الفريقين وقعا هذا الصلح لا عن إقتناع بل على أنه ضرورة مؤقتة، وقد ظهر ذلك بوضوح فى بنود معاهدة الصلح ـ فهى لم تتعرض لجوهر الخلاف بين البلدين.

من أهم شروطها:

ـ شرط خاص بإعادة مصر للسلطة العثمانية، وهذا شرط أفلاطونى فالجيش الفرنسى كان قد سُحب من مصر، بينما كان الجيش الإنجليزى الذى اشترك فى إخراج الفرنسيين لازال بمصر، فهو شرط على الإنجليز لا على الفرنسيين وتنفيذه على الإنجليز أشق.

ـ شرط خاص بإعادة مالطة لفرسان القديس يوحنا، وكان الأسطول الإنجليزى قد إحتلها بعد طرد الفرنسيين.

ـ شرط خاص بالمستعمرات.

ـ ما يهم انجلترا ـ التوازن الحقيقى فى القوى الأوربية فلا تكون دولة أوربية من القوة بحيث تفعل ما تشاء ـ وهذا لم يتعرض له الصلح ـ كذلك مايهم فرنسا ألا تتعرض انجلترا لها فى ساستها الأوربية أى تتركها تتصرف كيفما تشاء لم يتعرض الصلح لهذا أيضاً.

هكذا لا نجد عند أى من الفريقين ـ حتى قبل جفاف حبر المعاهدة استعداداً للعمل بموجبها. وبدأ كل فريق يوجه الإتهامات للفريق الآخر بأنه ينقض شروط المعاهدة.

فقد اتهم نابليون الإنجليز بأنهم بعدم جلائهم عن مصر، وعن مالطة ينقضون شروط المعاهدة، بينما إتهم الإنجليز نابليون بأنه يتبع سياسة تثير ألمانيا، كما أنه فى ظل معاهدة الصلح بدأ يرسل بعثات فرنسية من ضباطه يجددون العهد مع أصدقائه ويهيىء بذلك الجو لسيادته ـ فقد أرسل مثلا باستيان لمصر واستامبول والشام، وزاد الطين بله حين قام هو ووزيره (تاليران) بعملية توسيع النفوذ الفرنسى فى حوض الراين، وأجرى تعديلاته للوحدات السياسية فى هذه المنطقة ـ منطقة حوض الراين.

وقد بدأت انجلترا منذ ١٨٠٣ تشعر بأن هذا الرجل موضع خطر ولذا بدأت تستعد من جديد للقتال وتألف (التحالف الأوربى الثالث).

وأشير إلى أن نابليون نفسه تنصل من مسئولية الحرب، ويقول إنه كان فى حالة حرب دفاعية دائماً، وبأن الدول التى لم يرقها أن تقوم بفرنسا حكومة قائمة على سلطان الشعب هى التى جرت فرنسا للقتال ـ قد يكون فى هذا القول شىء من الصحة ـ لكن ممالاشك فيه أن نابليون سعى لتكوين نظام أوربى جديد، ولو استطاع وضع حد لأطماعه لنجح فى خلق جو من الأستقرار فى فرنسا وفى أوروبا.

سياسة نابليون الداخلية فى عهد القنصلية:

دراسة أسس الحكم فى عهد القنصلية توضح أنه يختلف عما آل إليه الأمر فيما بعد فى عهد الإمبراطورية، لأنه فى هذا العهد الأخير فقدت النظم بساطتها الأولى وظهرت شوائب الحكم الشخصى، فالحقيقة أن نابليون الذى نشأ فى شبابه من المعجبين بجان جاك رسو سيتحول شيئا فشيئا عن ذلك، سيتحول إلى شخص يؤمن أن حاجة الناس الأولى ليس إلى الحرية بل إلى حكومة قوية ونظام ثابت، ولعل تربيته العسكرية لها دور فى هذا الإتجاه الفكرى.

وفى النظام الداخلى الذى وضعه إختار نابليون شيئاً من الماضى سواء من العهد الملكى بالإضافة لأشياء متسحدثة.

فيما يتعلق بالنظام الإدارى:

أ ـ اتجه لخلق إدارة مركزية تصدر عنها الأوامر للموظفين المعينين الذين يقومون بالتنفيذ وهذا يُشبه الوضع فى العهد الملكى.

ويرجع ذلك لإعتقاده بأنه من العبث أن يعهد للناس بإدارة شئونهم، فهم لا يُجيدون ذلك، فهو يرى إن إدارة الأمة الحقيقية يجب أن تتركز فى فرد واحد تصدر عنه كل التعليمات.

ب ـ مسألة أخرى فى الإدارة ـ إنه وجميع الموظفين تحته اعتبروا أنفهسم خدام الأمة.

جـ ـ الإدارة فى نظره متطورة أى ليست إدارة روتين تتبع خطط سابقة فحسب لكن هناك تفكير بإستمرار فى خلق جديد.

د ـ اختار موظفيه تبعاً للكفاءة.

هـ ـ شجع كل من أراد أن يخدم فى العهد الجديد على العودة لفرنسا مهما كان موقفه الماضى.

دستور القنصلية:

وضعت هذا الدستور لجنة من خمسين عضواً بمقتضى هذا الدستور أصبحت الهيئة التشريعية متمثلة فى أربعة مجالس:

مجلس الدولة: لإقتراح القوانين وصياغتها حتى تعرض على مجلس التربون، وأعضاء هذا المجلس يعينهم القنصل الأول.

مجلس التربيون: من ١٠٠ عضو لايقل سن كل عضو عن ٢٩ سنة لدراسة القوانين التي يعرضها عليه مجلس الدولة ومناقشتها ورفعها للمجلس التشريعي.

المجلس التشريعي: وهو لايناقش القوانين لكن يصوت على قبولها من عدمه.

مجلس السناتو: من ٨٠ عضواً لايقل سن كل عضو عن ٤٠ عاماً وهو مجلس محافظ وغايته إلقاء النظرة الأخيرة على القوانين ليوافق عليها أو يرفضها، ومن إختصاصه تعيين القناصل كل عشر سنوات.

أما السلطة التنفيذية: فكانت فى أيدى قناصل ثلاثة يتجدد تعيينهم كل عشر سنوات، لكن إصدار القارات كان من حق القنصل الأول وحده والقنصل الأول هو اذى يُعين أعضاء مجلس الدولة والقضاة وكبار الموظفين.

مدى اشتراك الشعب فى السياسة القومية:

نلاحظ أن الهيئات التى أوجدها دستور القنصلية لم تخرج سلطتها عن بحث مشروعات القوانين أو إبداء الرأى فيها بالقبول أو الرفض دون بحث، فمعنى هذا أنه لم يسمح لسلطة أخرى بنقد تصرفاته خصوصاً إذا علمنا أنه أضعف جداً من شأن الصحافة وكان طول الوقت يكرس إتجاهه

لوجود عدد قليل جداً من الصحف، وهذه الصحف موجهة توجيهاً قوياً من الحكومة ويكاد يصل به الأمر إلى أن المقالات التى يسمح بنشرها تُكتب فى دوائر الحكومة، وكان يكتب بنفسه أحياناً بعض المقالات يضاف إلى هذا الحد من حرية الإجتماع ومن حرية النشر ومن الخطابة.

إذا علمنا ذلك عرفنا أن الرجل يكره الحرية السياسية ويكره وجود مجالس نيابية لها سلطان فعلى.

على أن هذا لايعنى أنه كان حاكماً بأمره ـ فهو كان يعتبر أن هذه هى رغبة الأمة وهو وكيل هذه الأمة ـ ولذا فقد كان دائماً يستفتى الأمة ليتعرف على رغبتها.

السياسة الدينية فى عهد القنصلية:

١ ـ كان بابليون يعتقد أن الثورة أخطأت فى سياستها الدينية لأنها لم تنتفع بالدين كعنصر من عناصر الأمة إجتماعياً، والدين فى نظره إذاً أشبه ما يكون بالمرسى الذى ترسو عليه السفينة ـ ولذلك قرر وجوب أن يكون للدولة دين رسمى ـ لكن لايعنى ذلك الرجوع للأوضاع السابقة للثورة، ليس معنى ذلك أن تستبد الكنيسة بالدولة ولذا قرر إبقاء حرية العقيدة كما قررتها الثورة.

٢ ـ تنظيم علاقة الكنيسة الفرنسية بالبابوية، عقد إتفاقاً دينياً يعتبر نموذجاً للإتفاقات الدينية فى القرن التاسع عشر أعترف فيه بسلطان البابوية على الكنيسة الفرنسية فى المسائل التى تتصل بالعقيدة بالذات، لكن ليست فى مسائل حكم الكنيسة فى فرنسا، فليس للبابوية حق تعيين رجال الدين، وليس للبابا أن يُرسل منشوراً ويذيعه فى فرنسا إلا بعد إذن الحكومة الفرنسية.

٣ ـ أما من حيث علاقة الكنيسة بالدولة ـ فقد أعترف لها بمركزها الرسمى وأن دين الدولة هو الكاثوليكية ـ لكن لم يرد للكنيسة أملاكها، فالدولة تتكفل بمصاريف الكنيسة ونفقاتهاوتشرف على أعمال الأساقفة بواسطة موظفين، ومن أجل ذلك أوجد وزيرا للشئون الدينية.

ثانياً: عهد الإمبراطورية

(١٨٠٤ ـ ١٨١٤)

الظروف التى تم فيها هذا التطور:

١ ـ لقد كان التغيير للإمبراطورية برغبة الشعب الفرنسى فقد استفتى فيه الشعب ووافق عليه بأغلبية، فالشعب الذى تعلق بالتجربة القنصلية والذى وافق فى ١٨٠٢ على تعيين بونابرت قنصلاً مدى الحياة أراد أن يثبت حكم نابليون ويظاهره ويقوى أسسه فوافق فى مايو ١٨٠٤م على تعيينه إمبراطوراً.

٢ ـ إندلاع نار الحرب من جديد بين فرنسا وبريطانيا ثم بين فرنسا وأعضاء الحلف الأوربى الثالث، ففى مايو ١٨٠٣ نقضت إنجلترا صلح إميان، أضف إلى ذلك أكتشاف مؤامرة لإغتيال نابليون لكنها أكتشفت وأعدم مدبرو المؤامرة.

٣ ـ سبب اخر لهذا التغيير يتعلق بسياسة فرنسا الخارجية بالدول الأخرى المرتبطة بها.

فالرابطة الإمبراطورية رابطة مرنة، فالإمبراطور كرأس للدولة يمكن أن تنضوى تحته كل فتوحات فرنسا فهى رابطة تنجح لاتنجح حيث وسائل الضم والمحالفة، وسنرى أن سياسة نابليون فى عهد الإمبراطورية ستسير على هذه الأسس الثلاثة:

الضم لفرنسا، أو التحالف، أو الإنضواء تحت الإمباطورية.

٤ ـ فى مايو ١٨٠٤ تُوج نابليون إمبراطوراً، توجه البابا فى باريس، وقد تبع ذلك تغيير كبيرفى السياسة الداخلية، فزادت النزعة نحو الحكم المطلق وصار الإمبراطور بعيداً عن الناس يصعب الوصول إليه.

وسنرى أن نابليون عام ١٨١٤ بعد فراره من ألبا (حكم الـ ١٠٠ يوم) يُعيد للشعب الفرنسى بعض حريته، وقد أدعى إنه خطوة كان يُعد لها العدة من مدة ـ الحقيقة غير ذلك، نابليون الثالث سيكرر نفس الوضع سنة ١٨٦٩، وإدعى إنه يقلد إبن أخيه فى ذلك ولازال بفرنسا حزب يشيد بهتين التجربتين، ويدعى أن فرنسا يمكنها أن توفق بين الإمبراطورية والحرية وتنعم بمزايا الأثنين وأن الفشل فى الحالتين السابقتين راجع للتدخل الأجنبى.

التغييرات التى أدخلها بونابرت على خريطة أوروبا:

١ ـ خاض بونابرت سلسلة من الحروب الدامية ـ وقد أثارت هذه السياسة تساؤلاً هو هل كان نابليون يرى فى حروبه هدفاً معيناً يريد الوصول إليه أم أنه كان يحارب بغرض الفتح والغزو وإشباع هذه النزعة.

نابليون نفسه ـ خاصة فى منفاه ـ يركز على أنه كان مضطراً لأن يحارب، الدول هى التى أجبرته على أن يخرج من حرب إلى حرب ـ وقد روج لهذه النظرية فيما بعد إبن أخيه نابليون الثالث، فذكر أن غرضه كان إحياء القومية الأوربية، البعض قال إنه كان يهدف إلى تكوين جبهة أوربية قوية فى وجه التقدم الروسى، فقد كان ينظر إلى روسيا على أنها خطر سياسى وإجتماعى على أوروبا تمثل فى نظره الهمجية الأسيوية، بالطبع يضعف من هذا الإدعاء أنه كان مستعداً للتحالف مع هذا المتبربر الروسى.

ولايعنى هذا إنه كان مجرد مستغل للمركز الجغرافى لبلاده ومواردها للهدم - لاشك فى أنه حاول أن يوجد وحدة أو تنظيماً جديداً.

٢ - حاول بعض المؤرخين دراسة النظام الذى رسمه لأوروبا وحاول تنفيذه فذكروا أن هذا النظام يمكن أن يتمثل فى ثلاثة دوائر:

أ - أرض فرنسية صرفة تتمثل فى فرنسا ذاتها، وما ضمته لها من بلجيكا وأراضى الراين وبيدمونت.

ب - ممالك مرتبطة بفرنسا رابطة قوية عين على عرشها ملوكاً من البيت البونابرتى وأعتبر هذه الممالك حرة من حيث حكمها ونظمها الداخلية - وتتمثل هذه فى مملكة إيطاليا: أخرج منها كل القسم الجنوبى (نابولى، وصقلية، كما أخرج بيدمونت) - تقلد نابليون تاج إيطاليا وأقام نائباً عنه ابن زوجته يوجين، وأما نابلى وصقلية فقد جعلهما مملكة مستقلة أجلس على عرشها أخوه الأكبر (جوزيف) ثم نقله لأسبانيا وأحل محله زوج أخته (مورا Murat).

أسبانيا: جعلها مملكة مستقلة جلس على عرشها أخوه جوزيف.

البرتغال: هربت الأسرة المالكة منها للبرازيل، وأصبحت البرتغال مسرحاً للحروب بين الإنجليز ونابليون.

هولندا: أجلس على عرشها أحد أشقائه لويس (أبو نابليون الثالث).

السويد: أحتفظت بأسرتها المالكة القديمة، لكنه أرسل إليها أحد قواده برنادوت (Bernadot) وصياً على العرش السويدى، وقد أصبح هذا الأخير ملكاً على السويد - وقد اتخذ هذا سياسة قومية ورفض أن يكون فى السويد تابعاً للإمبراطورية الفرنسية واستطاع بذلك أن يكون أسرة مالكة فى السويد مازالت باقية.

جـ ـ أراضى تربطها بفرنسا معاهدات: تتمثل فى بلغاريا، وسكسونيا، ودوقية وارسو، واتحاد الراين.

التحالف الأوروبى الثالث: (١٨٠٥):

١ ـ تكون الحلف الأوروبى الثالث ضد فرنسا وأسبانيا من انجلترا وروسيا والنمسا بهدف رد النفوذ الفرنسى إلى حدود فرنسا قبل التوسع وتشكيل مؤتمر للنظر فى حل المشاكل التى سببتها الحروب المتعددة.

وفى البداية نجح الأسطول البريطانى بقيادة نلسن فى أن يحرز نصراً حاسماً على الأسطول الفرنسى فى موقعه (الطرف الأغر).

٢ ـ فى أول الأمر أوهم نابليون أعداءه بأنه يريد الإغارة على انجلترا، وجمع جيوشه على الساحل الفرنسى المواجه لإنجلترا عند ثغر (بولونى) فى جنوب كاليه، إنما بسرعة غريبة ترك المشروع الإنجليزى ووجه قواته لوسط أوروبا وتحرك فى غاية المهارة دون أن يدرك اعداؤه هدفه الحقيقى فهاجم الجيش النمساوى الذى كان تحت قيادة ماك (Mack) وأوقع به هزيمة فى أولم (Ulm).

٣ ـ اتجه نابليون بعد ذلك لمحاربة الجيوش النمساوية والروسية التى انضمت لها وهزمها هزيمة منكرة فى موقعة أوستلتز (Austerlits)، وترتب على هذا النصر إنسحاب الروس نحو بلادهم ودخل نابليون عاصمة النمسا وأرغمها على عقد الصلح مع فرنسا على أساس:

أ ـ اقتطاع أراضى من النمسا على الإدرياتيك (البندقية) وضمها لملكة إيطاليا.

ب ـ تخلى النمسا عن لقب الإمبراطورية المقدسة وبذلك فقدت النمسا نفوذها فى كل من إيطاليا وألمانيا.

٤ ـ استاءت بروسيا من نابليون خاصة بعد إنشاء (اتحاد الراين) وبسط سلطانه على إيطاليا وجعله هولنده مملكة أقام على عرشها أخاه (لويس) مما هدد مصالح بروسيا ـ لكن نابليون أغراها بأن تضع يدها على (هنوفر) مما أوقعها فى مشاكل مع انجلتراو ولكن لم تلبث بروسيا أن شعرت بأن نابليون يخدعها خاصة بعد أن شاع إنه يفاوض انجلترا لإعادة هنوفر لها، فانضمت بروسيا لأعدائه بعد زيارة قيصر روسيا لبرلين، وتقدمت الجيوش البروسية إلى سكسونية ـ لكن نابليون أوقع بها هزيمة ساحقة فى معركة فيينا (Vena) فى أكتوبر ١٨٠٦ ودخل برلين وإنهار الجيش البروسى تماماً وسقطت الحصون البروسية الواحدة تلو الأخرى.

٥ ـ مراسيم برلين: بعد دخول نابليون برلين أعلن قرارات برلين الخاصة بغلق القارة فى وجه انجلترا، وحذر الدول الأخرى من التعامل معها، وفرض حصاراً قارياً على القارة الأوروبية فى وجه انجلترا وبضائعها.

٦ ـ معاهدة تلست (Tilsit) ١٨٠٧: تردد نابليون بعد هزيمته لبروسيا هل يقضى عليها أم يبقى عليها ويكتفى بإقتطاع جزء كبير منها:

واشترك اسكندر ـ الأول قيصر روسيا مع نابليون فى وضع شروط معاهدة الصلح التى أجبرت بروسيا على قبولها وبمقتضى هذه المعاهدة فقدت بروسيا ما يقرب من نصف أراضيها إذ:

أ ـ تخلت بروسيا عن جزء كبير من أملاكها الواقعة غرب نهر الألب وتكونت منه (مملكة وستفاليا) التى نصب جيروم (Jerome) أخو نابليون الأصغر ملكاً عليها.

ب ـ تنازلت بروسيا عن أملاكها فى بولندا لملك سكسونيا حليف بونابرت.

جـ ـ تعهدت بروسيا بالمساهمة فى تنفيذ نظام الحصار القارى ضد انجلترا.

وضع نابليون بعد معاهدة تلسيت: كان غرض نابليون أن يضمن جناحه الشرقى، وهكذا وجد أن تحالفه مع الروسيا يحقق ذلك بالإضافة إلى تعهدها بضمان عدم قيام النمسا بحرب ضده، وبذا يمكنه أن يتفرغ للغرب ـ لانجلترا بالذات.

وأهم النتائج التى ترتبت على سياسة الحصار القارى:

١ ـ من جهة انجلترا: تأثرت بهذه السياسة ـ فإنتشرت فيها البطالة وكسدت التجارة وأصبح وصول القمح الضرورى لها من العالم الجديد صعباً ولكن خفف وطأة الحصار ـ التقدم الصناعى فى انجلترا فقد عوضها ذلك عن بعض الخسائر فى التجارة.

٢ ـ من جهة الدول الأوروبية الأخرى تأثرت أكثر من هذا الحصار، ولعل الحالة التى وصلت إليها هولندا تدل على ذلك، فقد أضطر لويس بونابرت تحت تأثير الضائقة الإقتصادية الخانقة إلى التنازل عن العرش.

٣ ـ من جهة فرنسا: إزدهرت فيها الزراعة والتجارة ـ لكن أدت سياسة نابليون هذه إلى عدة إجراءات أخرى كانت وبالاً عليه وعلى بلاده فقد اضطر:

أ ـ جزء من الساحل الشمالى الغربى لألمانيا ـ لفرنسا لسد الطريق على التجارة البريطانية.

ب ـ أضطر لبسط نفوذه السياسى على إيطاليا متحدياً الشعور الدينى فى العالم الكاثوليكى كله بسلوكه تجاه البابوية

جـ ـ أثار الشعور القومى فى أسبانيا ببسط نفوذه عليها.

وهكذا أدت سياسة نابليون هذه إلى إثارة الشعور الدينى والشعور القومى فى أوروبا، ويُعتبر عام ١٨٠٨ قمة ما وصل إليه نابليون فقد كان حاكم أوروبا المطلق، وحقق كل أحلامه كما يُعتبر بداية النهاية بالنسبة له.

ما وصل إليه نابليون عام ١٨٠٨ من قمة المجد كان نصراً ظاهراً لأسباب:

١ ـ روسيا ـ لم تكن مستعدة لمجاراته فى مطالبه. فلم تلبث أن أعلنت النمسا عليه الحرب بعد ذلك بدون خوف من روسيا التى أظهرت لها عدم تدخلها بينها وبين نابليون.

٢ ـ ما قام به من نفى البابا فى ١٨٠١ وسجنه فى جرينبل (Grenoble) وضم أملاكه لفرنسا وربطها بالنظام الإدارى الفرنسى ـ أثار العالم الكاثوليكى كله ضده والعجيب أن هذه السياسة عكس سياسته التى سار عليها أثناء حكم حكومة الإدارة وأثناء حملته على إيطاليا فى عام ١٧٩٦.

٣ ـ سياسته تجاه أسبانيا: فقد جرها معه لتغزو البرتغال، ثم لم يلبث أن أجبر ملك أسبانيا وولى عرشه على التنازل عن العرش، وعين أخاه (جوزيف) ملكاً على أسبانيا فى عام ١٨٠٨ وبذا بدأت فى أسبانيا حركة قومية هى أولى الحركات القومية فى التاريخ الحديث، وبدأت منها حرب عصابات عبر عنها البعض بأنها كانت (قرحة فى جسم نابليون)، وأتاحت هذه الثورة الوطنية فى أسبانيا الفرصة للإنجليز لأن ينزلوا جيشاً انجليزياً فى القارة.

وكانت هزيمة الجيوش الفرنسية فى أسبانيا فى يوليو ١٨٠٨ بداية إهتزاز المجد الذى بناه بونابرت.

❁ ❁ ❁

نهاية بونابرت

أولاً ـ حرب النمسا ١٨٠٩ ونتائجها:

شجعت الثورة الأسبانية، وتأكيد الروسيا بأنها غير جادة فى محالفتها مع نابليون ـ النمسا على انتهاز الفرصة لمحاربة نابليون، فأعلنت فى ١٨٠٩ الحرب عليه ـ لكه هزمها فى واقعة واجرام (Wagram).

ورغم هذا النصر فقد كانت لهذه الحرب نتائج غير متوقعة منها:

١ ـ أظهرت الجيوش المساهمة فى الهجوم ضده أساليب جديدة وظهر أنها رغم هزيمتها تحارب بروح جديدة، روح قومية، بل ظهر بوضوح إنها استفادت ونقلت عن الجيوش الفرنسية.

٢ ـ مجرد تفكير النمسا فى محاربة بونابرت وهو فى أوج عظمته دليل على أنها لاتهتم بمظهر قوته الزائف.

٣ ـ بدأت بروسيا حركة نهضة حربية وإصلاحية داخلية كان من أثارها إنشاء جامعة برلين ١٨١٠.

٤ ـ تكتل أعداء نابليون، والطامعون فى ملكه والذين ضاقوا بحروبه ومنهم بعض من كانوا يعملون معه، مثل (تاليران) وزير خارجيته الذى كان يفاوض النمسا من ورائه، وفوشيه (Fouche) وزير الداخلية الذى كان يفاوض الإنجليز من وراء ظهره ومنهم برنادوت قائده الذى أصبح فى عام ١٨١٠ ملكاً للسويد باسم شارل جون (Charles John).

٥ ـ زواج نابليون فى عام ١٨١٠ من (مارى لويز) إبنه إمبراطور النمسا بعد أن طلق جورفين أثار مشاعرالفرنسيين.

٦ ـ شكوكه وارتيابه فى كل من حوله من الفرنسيين أنفسهم حتى أنه زج بالكثيرين فى السجون دون مبرر.

ثانياً ـ الحرب الروسية ونتائجها:

شعر نابليون فى عامى ١٨١١، ١٨١٢ إنه فى مفترق طرق ـ فإما أن يسلم بالأمر الواقع ويضع حداً لأطماعه ويعود بحدوده كما كانت قبل عام ١٨٠٤ أو يسير فى عناده ـ وقد انتهى لإختياره الحل الثانى لأسباب:

١ ـ معرفته أن مركزه ليس كمركز أى ملك أخر من ذوى العروش، فى أوروبا فهو وصل للعرش عن طريق الإنتصارات فأى إرتداد معناه نزوله عن العرش.

٢ ـ انتصاراته السابقة جعلته يعتقد إنه لن يُهزم وإنتهى به التفكير إلى تصميمه على القضاء على روسيا ليخلى له السبيل فى المستقبل لتصريف شئون أوروبا.

وقد مهد للغزو بجيش كبير جمعه من شتى البلدان بحجة إنه يتجه لمحاربة الوحشية الآسيوية (هتلر فيما بعد احتج بمحاربة البلشفية الشيوعية).

واجتمع له نصف مليون جندى تقدم بهم صوب موسكو وتراجع الروس أمامه ولم يمكنوه أبداً من الحرب كما كان ينتظر ـ ودخل موسكو والروس يتقهقرون أمامه ويدمرون كل شىء، وكان حريق موسكو بأيدى الروس أنفسهم ـ وانتظر نابليون فى موسكو ـ لعل القيصر يتقدم لطلب الصلح، لكن القيصر كان مصمماً على القتال، وكان القيصر يدرك أن عامل الزمن فى مصلحته، وأضطر نابليون للتقهقر بعد فوات الفرصة. ولاقى فى تقهقره مصائب جمة، وتحطمت قوة هذا الجيش الضخم وفنى جزء كبير من رجاله نتيجة المواصلات الرديئة التى عطلت تموين الجيش والجليد الروسى، وهجوم العصابات الروسية على الكتائب الفرنسية وكانت نتيجة التقهقر قيام أوروبا وتكتلها ضده وصار يحارب فى كل مكان.

ثالثاً ـ حروب الأمم:

تكتلت الجيوش الأوروبية ضد نابليون فأنضم مستشارالنمسا مترنخ إلى خصومه، ثم انضم الألمان والسويد والإيطاليون ضده وأضطر لأن يقف موقفاً دفاعياً ـ ولم يكن فى دفاعه أقل مهارة منه فى هجومه ـ لكنه انهزم أخيراً فى عام١٨١٣ فى معركة (ليبزج) وخسر ما يقرب من ٥٠و٠٠٠ من جنوده، وانتشرت الأمراض بين الجند، وانسحبت قواته التى كانت فى أسبانيا فأتاحت فرصة للقائد البريطانى ولنجتن (Wellington) ليُنزل جنوده ويزحف على فرنسا من الجنوب ـ وكانت الأمة الفرنسية نفسها قد وصلت إلى درجة كبيرة من الإنهاك وأصبحت غير قادرة على السير وراءه. وعرضعليه اعداؤه فى نوفمبر عام ١٨١٣ الصلح على أن تحتفظ فرنسا بحدودها الطبيعية (الراين، جبال الألب، البرانس) ـ لكنه لم يقبل ذلك.

وتجددت الحروب بينه وبين أعدائه وأضطر لمحاربة الروسيين فى الشمال والنمساويين فى الجنوب، وتعرضت فرنسا ذاتها للغزو، ورغم أنه أظهر براعة فائقة فى مواجهة الأعداء ـ لكنه شعر بأن الأمة الفرنسية ذاتها أصبحت منهكة وغير قادرة على أن تسير وراءه فعزم على التنازل عن العرش ـ فتنازل عن حقه فى عرش الإمبراطورية فى إبريل ١٨١٤ على أن يُعطى مُلك جزيرة البا وهى جزيرة قريبة من ساحل إيطاليا من كورسيكا ليعيش فيها بقية أيامه، وانسحب إلى جزيرة البا (Elba) وأعضاء أسرته ماعدا زوجته النمساوية.

حكم المائة يوم: سمع نابليون وهوفى البا أن ممثلى الدول المجتمعين فى فيينا مختلفون فيما يتعلق بتسوية مشكلات الحرب، وبأن فرنسا مستاءة من عودة البربون للحكم، وأن هناك ظروفاً تسمح بتجربة حظه من جديد ـ فأتفق سراً مع المخلصين من أعوانه، وغادر ألبا التى ثبت

أنها لم تكن محروسة كما يجب ونزل فى الأراضى الفرنسية على ساحل الرفييرا.

ويذكرنا هذا بنزوله لما رجع من مصر بعد أن ترك جيشه سنة ١٧٩٩ وإن اختلف وضعه فى الحالتين فقد عاد لفرنسا عام ١٨١٤ وهو لايعرف المستقبل - هل ستتجمع فرنسا حوله من جديد وهل أوروبا ستسمح له من جديد بمعاودة خطته.

وحين نزل فى الرفييرا كان الترحيب به من الفرنسيين صادقاً وحماسياً خصوصاً من قواته التى كانت الحكومة الجديدة قد شتتها، وأن القوات التى أرسلت للقبض عليه سارت وراءه وأضطر لويس الثامن عشر لمغادرة باريس، ورجع بونابرت لقصره فى باريس - وكان يتمنى أن يستطيع عمل ثغرة فى الجبهة الأوروبية على مسائل التسوية الأوروبية - لكن لسوء حظه قررت الدول ترك خلافاتها مؤقتاً - وأعلنت الجبهة الأوروبية اتحادها فى وجه نابليون - فقد أدركوا إنه خطر دائم على السلام الأوروبى فتجددت الحرب وكان ميدانها فى بلجيكا، وفى هذه الحرب هزم نابليون فى وترلو (Waterloo) فى عام ١٨١٥ بعد ثلاثة شهور من نزوله على ساحل الرفييرا.

وقد أدرك إنه فى هذه المرة لايمكن أن يعامله أعداؤه بنفس المعاملة الماضية فيحتفظ بلقب إمبراطور وتترك له نفس الحرية - أدرك أنه لو وقع فى يد البربون أو أعدائه النمساويين يجوز أن يعدم - فقرر أن يسلم نفسه للحكومة الإنجليزية - عرضت عليه بعد (وترلو) مشروعات للهروب لأمريكا الشمالية أو الجنوبية لكنه أدرك أن أمامه مسألة هامة - لابد أن يحققها.

أدرك أن عودته للعرش مستحيلة، ففرنسا لاتقبل هذا، وأوروبا غير مستعدة لذلك أدرك أن المهمة التى يجب أن يعمل لها هى أن يمهد لخلق

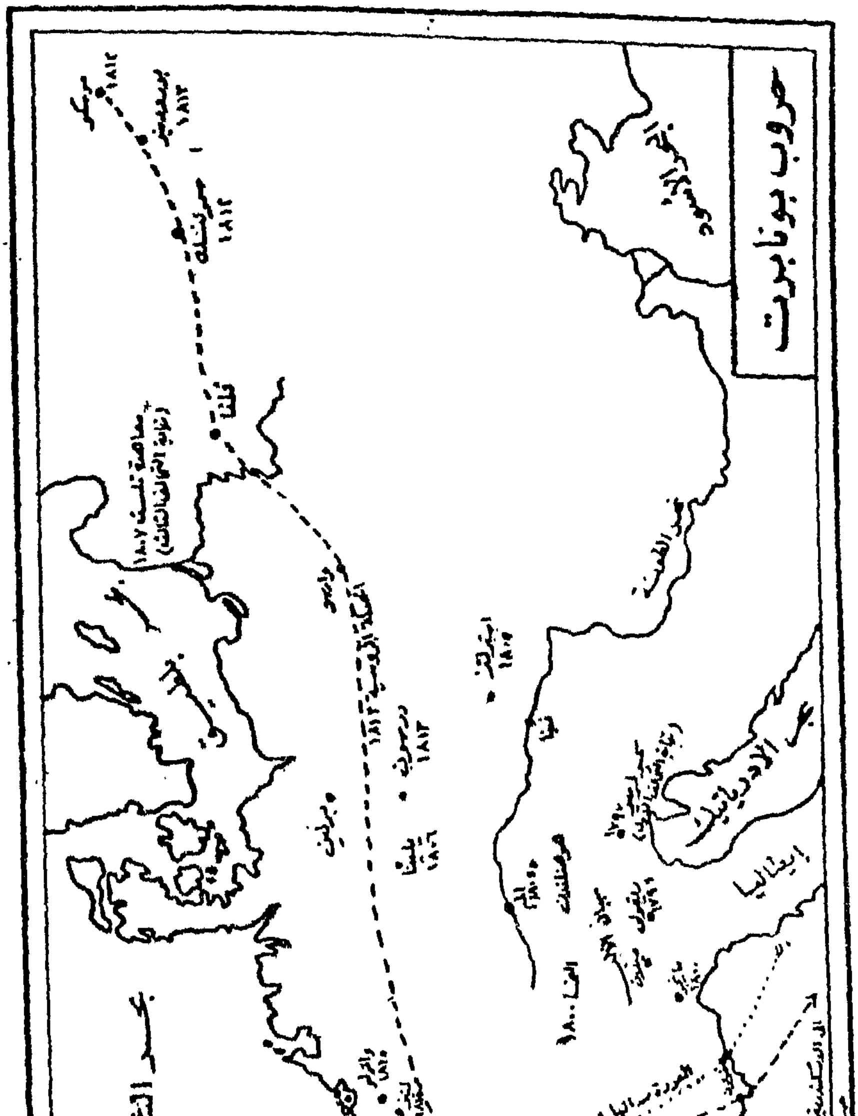
حزب بونابرتى يعمل لجلوس ابنه على العرش يوماً من الأيام ـ فتسليمه نفسه للإنجليز يتيح له الفرصة فى أسره ليحقق هذه الغاية ـ ولكن نقله الإنجليز لجزيرة (سانت هيلينا) حيث أقام أسيراً حتى عام ١٨٢١ وقد حقق فيها إلى حد كبير أهدافه.

انتهت حياة بونابرت بتراجيدية، مأساة كبرى، فقد تحول هذا البطل الذى وصل إلى كل هذا المجد والذى دوخ أوروبا إلى أسير معذب بواسطة حاكم إنجليزى ـ وكان هذا كفيلاً بأن ينسى الناس حتى أعداءه أنه كان سبباً فى إراقة دماء كثيرة من أجل مجده الشخصى، ماتذكره الناس هو الفرق الكبير بين المجد الكبير والبوس الفظيع.

ثم حاول خلق ما عُرف (بالخرافة النابولونية) ـ إيجاد فكرة لاتستند على الواقع يملى بها تاريخيه فى سانت هيلينا، فقد أملى على أصحابه كل تاريخه الماضى بالطريقة التى أراد الناس أن يعرفوه بها، على زساس أنه ابن الشعب وأن حياته كرسها لتحقيق أهداف الثورة وإنه أراد أن يعطى كل شعب فى أوروبا حقه فى البقاء، وأنه لايحب الحرب إلا للضرورة وأن الملوك أرغموه على أن يحارب حروباً مستمرة.

لحد كبير صدق الناس، وصدقت فرنسا ذلك ـ فتكون منذ ١٨١٥ حزب بونابرت فى فرنسا، كان يرى أن أمثل حلٍ هو أن تحكم فرنسا أسرة تجمع بين مزايا الثورة والإستقرار ولغاية الآن يوجد بفرنسا حزب بونابرتى.

انتهت الفكرة بنجاحها فى إجلاس ابن أخيه لويس نابليون على العرش، لأن ابنه مات فى عام ١٨٣١.



حريطة شكل (٣)

مؤتمر فيينا (١٨١٥)

فكرة المؤتمرات فكرة لم تنشأ إلا فى تاريخ أوروبا الحديث، فهى مرتبطة بالمجتمعات المنقسمة إلى وحدات سياسية مستقلة عن بعضها ومتساوية فى نظر القانون ـ حينئذ يمكن أن يجتمع ممثلوها على قدم المساواة فى مؤتمر لبحث المسائل التى تمسها.

فى العصور الوسطى لم تكن هناك وحدات سياسية متساوية فى نظر القانون ولعل المجالس الدينية هى التى شاعت وكثرت فى هذه العصور لحل المشكلات الدينية ـ ولكن فى العصور الحديثة وعلى الأخص فى القرن التاسع عشر تأكد الإنقسام الأوروبى إلى ممالك صاحبة سلطان تام فى نظر القانون.

سبق مؤتمر فيينا مؤتمرات منها مؤتمر وستناليا (١٦٤٨) عقب الجروب الدينية ـ لكن هناك بعض الحقائق عن هذه المؤتمرات لفتت النظر إليها على وجه الخصوص المؤرخ وبستر (Webster) فى كتابه الذى خصصه لمؤتمر فيينا ـ قال:

«إن الناس لديهم صورة غيرصحيحة عن تلك المؤتمرات الكبيرة بما فيها مؤتمرفيينا ـ فهم يتوهمون أن مندوبى الدول يجتمعون إجتماعات منظمة متوالية، وتعرض مسائل البحث والخلاف وتناقش ويدلى كل فريق بحجته وتؤخذ القرارات نتيجة البحث، ويغلب رأى الأغلبية» وقال «إن هذا مجرد وهم فالمؤتمرات لاتجتمع بكامل هيئتها إلا فى أول المؤتمر وفى نهايته، فى الأول عندما يجتمع المندوبون وينتخبون رئيساً للمؤتمر، وعادة ينتخب شخص من الدولة التى يجتمعون فى أرضها صاحبة الضيافة، ثم يبرزون توكيلاتهم القانونية، ثم بعد هذا الإجتماع الرسمى تنفض الإجتماعات الكبرى من هذا النوع، ولايجتمع المؤتمر بكامل هيئته إلا عند

إقرار النتائج التى يضعها المندوبون المختلفون، وما يحدث فى هذه الأثناء من النظر فى المسائل المعروضة واتخاذ قرارات فيها - يكون الرأى فيها لبعض الدول التى لها نفوذ وأهمية فقط بحكم أنها منتصرة فى الحرب التى سبقت عقد المؤتمر، أو بحكم أهميتها السياسية والحربية، فالدول التى من هذا النوع بواسطة مندوبيها تعمل كل شىء فإذا وصلت إلى نتيجة يجمعون كل المندوبين الصغار والكبار للتوقيع على ما أتفق عليه».

مؤتمر فيينا لم تحضره إلا وفود الدول الأوروبية لأن الحرب ضد نابليون كانت بينه وبين الدول الأوربة الكبرى فلم يشترك ممثلون للصين أو اليابان أو الحبشة أو الولايات المتحدة - كذلك الدولة العثمانية لم تشترك فى المؤتمر رغم أنه كانت بينها وبين الروس، والنمساويين حرب، لكنهم لم يسلموا بحقها فى أن تجلس فى مؤتمر أوربى - هم عللوها بأن مسائل التعديل التى ستبحث لاعلاقة لها بتركيا، وخافوا أن يفتحوا مسائل البلقان لأن ذلك يفتح بابا لايوصد، ما حدث فى فيينا هو أن الدول التى انتصرت ضد نابليون - كل بيت ملك، كل دولة أوربية لها مطامع أرسلت ممثلين إلى فيينا لتكسب أرضاً للأمير أوالملك، وإن كان ممن تورط مع نابليون تكون مهمة المندوب تبرير الموقف ودرء العقاب الذى ينتظر المذنب.

مقدمات مؤتمر فيينا:

كانت للمؤتمر مقدمات، تتمثل فى إتفاقات وتسويات سابقة له من حيث الزمن لكنها أصبحت جزء من هذه التسوية.

تلك المقدمات تنقسم إلى نوعين:

أولاً: ما أتفق عليه الحلفاء فيما بينهم قبل أن ينتهوا من الحرب مع نابليون عندما يتحقق لهم النصر، هذه الإتفاقات وضعت فى معاهدة أطلق عليها معاهدة شومون ١٨١٣ (Chaumont).

١ ـ أتفق فيها بصفة عامة على نقض النفوذ الفرنسى فى كل أوروبا وإعادة الحقوق الشرعية فى كل مكان فى أوروبا لأصحابها كما كانت قبل التغييرات الفرنسية ـ وهذا ما يمكن أن نطلق عليه تعبير (مبدأ الشرعية) وهذا المبدأ قديم سابق لفيينا.

٢ ـ اتفق أيضاً على ضم بلجيكا، هولندا لتكونا مملكة واحدة.

٣ ـ اتفق على أن يستمر التحالف بين هذ الدول بعد سقوط نابليون.

ثانياً: ـ صلح باريس الأول (١٨١٤):

حين انتصر الحلفاء على نابليون عام ١٨١٤، ونزل نابليون عن العرش ورجع لويس الثامن عشر ملكاً على فرنسا من أسرة البربون ـ اتفق على إنهاء الحرب القائمة بين الدول وفرنسا، وعقد صلح مع الدول المحاربة لفرنسا.

أهم ما أتفق عليه فى هذا الصلح:

١ ـ عودة فرنسا لحدودها الأصلية الأولى: أى محو ما ترتب على انتصارات جيوش الثورة وجيوش نابليون وإرجاع الحدود القديمة مع تعديل يسير قالوا إنه لمصلحة فرنسا ـ أى خرجت فرنسا من الثورة، ومن حروب نابليون بحدودها القديمة.

فالحلفاء لم يتجهوا لمعاقبة فرنسا بتجريدها من أراضيها القديمة، أخذوا منها أراضى كثيرة جداً لكنها كانت فتوحاً فى أراضى الغير فتوح فرنسا فى بلجيكا وهولندا وشمال إيطاليا وسويسرا وأراضى الراين، فى ألمانيا ـ كل هذه أنتزعت منها ـ لكن لم يسلخوا أرضاً فرنسية قديمة عن فرنسا.

لم يعتبروا فرنسا مسئولة عن الحروب الطويلة، حيث تُعاقب بإقتطاع

أرض منها ولكن تركت لها أرضها الأصلية بل إنه قبل الثورة كان فى فرنسا أراضى على الحدود وفى الداخل تابعة لأفراد إقطاعيين غير فرنسيين لغت الثورة الفرنسية ذلك ـ وقد بقى هذا الإصلاح (أفينون مثلا أبقيت لفرنسا).

٢ ـ لم يطالبوا فرنسا بدفع غرامة حربية: لم يفرضوا على فرنسا مايُفرض على المعتدى من غرامة لكنهم أخذوا على فرنسا عهداً بأن تبقى بمعزل عن كل المفاوضات السياسية المتعلقة بأوروبا.

هذا بلاشك عقاب، أن يحكم على فرنسا بألا تشترك فى أن مسألة من المسائل التى تتفاوض فيها الدول الكبرى ـ وإن كانت فرنسا قد أستطاعت التحلل من هذا القيد.

لعل السبب فى معاملة فرنسا هذه المعاملة المعتدلة رغم أنها جرت أوروبا لحروب دامت نحو ربع قرن يرجع إلى الرغبة فى عدم الإساءة لمركز الأسرة الملكية الشرعية التى عادت للحكم فى فرنسا، فالدول كانت ترغب فى أن تعطى هذه الأسرة فرصة لكسب أنصار، وتوطيد مركزها فى البلاد ويكفيها أنه منظور لها على أنها عادت لفرنسا بفضل الجيوش الأجنبية، فالحلفاء لايريدون الإساءة لموقفها أكثر بحرمانها من أرضها الأصلية لأن هذا بالطبع سيزيد من كُره الشعب الفرنسى لملوكهم القدماء الذين عادوا لفرنسا.

كما أن عوامل الإنتقام والكراهية والأحقاد لم تكن فى ذلك الوقت دفينة فى النفوس سواء نفوس الشعوب أو رجال السياسة كما هو الوضع حالياً.

هناك إشارات لذلك من بعض المؤرخين إن هؤلاء الساسة مثل مترنخ رئيس حكومة النمسا، واسكندر الأول قيصر روسيا ـ كل هؤلاء لم تكن نفوسهم تنطوى على ضغينة وبغض لفرنسا.

صلح باريس نوفمبر ١٨١٥:

كان ملوك الدول المتحالفة ووزرائها مجتمعين فى فيينا حين فاجأتهم فى ٧ مارس ١٨١٥ أخبار نابليون فر من إلبا ونزل الأرض الفرنسية وأستقبل بها إستقبالاً حافلاً من الفرنسيين وترتب على ذلك إنه فى صلح باريس الثانى الذى وقع فى (٢٠ نوفمبر ١٨١٥) كانوا أقسى فى معاملة فرنسا بعد أن جردت الحسام من جديد وسارت خلف نابليون فى مغامرته الثانية هذه.

حدث تعديل - ولو أنه طفيف فى حدود فرنسا، وقد عادت لحدود عام ١٧٩٠، وفرضت فترة إحتلال عسكرى من الحلفاء لبعض مقاطعاتها لتكون ضماناً فى يد الحلفاء ليطمئنوا إلى أن الشعب الفرنسى قد أخلد للسكينة تماماً على أن تكون نفقات الجيش المحتل على حساب فرنسا.

مؤتمر فيينا:

بعد هذه المقدمات التى تعطى صورة عن حقيقة الوضع فى مثل هذه المؤتمرات، وعن المقدمات التى دخلت ضمن التسويات نشير إلى أهم الشخصيات التى اشتركت فى مؤتمر فيينا.

من أهم الشخصيات مترنخ (Metternich) وزير النمسا للشئون الخارجية، والإسكندر الأكبر قيصر روسيا الذى حضر بنفسه، ووزير خارجية انجلترا كاسلرى (Castelregh)، ثم حضر من فرنسا تاليران (Talleyrand) وسنركز على هذا الأخير وموقفه.

تاليران من أشراف فرنسا القدماء، وكان أبوه أسقفاً من كبار رجال الدين بفرنسا لكنه كان متشبعاً بالأفكار الحرة. ففى بداية حوادث الثورة كان فى صف المبادىء الجديدة وحتى القرار الذى أخذ به بالإستيلاء على

أرزاق الكنيسة كان بناءً على اقتراحه هو، فهو كان فى صف التغيير والإصلاح ـ لكن لما أفلت الزمام فى فرنسا وانتقل إلى أيدى اليعاقبة والمتطرفين أضطر لترك فرنسا خوفاً على حياته وأقام مدة فى الولايات المتحدة ولم يعد لفرنسا إلا عقب سقوط حكومة الإرهاب وإنشاء نظام حكومة الإدارة، وباشر السياسة الخارجية لفرنسا، وكان له نصيب فى تقرير الحملة على مصر كما اشترك فى الأحداث التى انتهت بتولية نابليون قنصلاً وكان هو وزير خارجية لنابليون قنصلاً وإمبراطوراً.

لكن بعد المحالفة مع روسيا فى عام (١٨٠٨) بدأ يقف موقفاً معارضاً للإمبراطورية، واستمر يتآمر عليها وكان ممن إشتركوا فى ترتيب عزل نابليون عن السلطة فى عام ١٨١٤، وخدم العهد الجديد فى فرنسا فى إدارة الأمور الخارجية وفى تمثيل بلاده فى الخارج واشترك فيما بعد فى عام ١٨٣٠ فى الأحداث التى أدت لسقوط البربون وإقامة نظام ملكى جديد فى فرنسا وقد مات قبل أن ينتهى أمرهذا النظام.

وقد تعرض تاليران لسلسلة من حملات نقد الكتاب ـ فالبعض نظروا إليه على أنه الشخص الذى يتحول من سياسة لسياسة والذى يوالى نظاماً قائماً ثم يشترك فى نقضه وهكذا ـ تاليران يدافع عن نفسه وينفى ذلك ويقول إنه هو لايتغير وأن النظام الذى ينقضه هوالذى تغير.

فمثلاً يذكر أنه يعتقد أن الإمبراطورية كانت فى البداية جديرة بالتأييد ـ لكن بعد عام ١٨٠٧ خرج نابليون عن الحد وأصبح يعمل بوحى من مطامعه وهذا سيودى بفرنسا إلى الهاوية لأنه يترتب عليه قيام الشعوب ضد فرنسا وتأليف جبهة قوية ضدها لا قبل لفرنسا بها ـ وقد عبر عن ذلك بقوله «إن فرنسا ترمى إلى الوصول لحدودها الطبيعية وأنه يتعين عليها بعد أن وصلت لتلك الحدود أن تكف عن التوسع والفتح وأن تسعى لإيجاد

علاقات مستتبة مع أوروبا وأن تكون عضواً عاملاً مع بقية الدول - إنما ما عدا هذه الحدود الطبيعية فهى فتوح شخصية لنابليون وليست فتوحا قوميه، وإنه أصبح خطراً على فرنسا ذاتها».

فتاليران يعلل خروجه على نابليون بإنه لم يعد يعرف كيف يقف عند حد، كذلك فيما يتعلق بالبربون فإنه يذكر إنه طالما أن الأسرة متبعة سياسة عدم إرجاع الأحقاد القديمة يمكن بأييدها - لكن شارل العاشر - خليفة لويس الثامن عشر نقض ذلك - فتاليران يذكر أن له أهدافاً معينة لاتذبذب فيها وإنه طول حياته إلتزم بها.

موقف تاليران فى فيينا فى عام ١٨١٥ كان دقيقاً جداً وحرجاً - فقد كان ممثلاً لفرنسا التى حاربت الدول الأوروبية هذه المدة كلها، وهو كان يعلم أن أبواب المؤتمر كانت موصدة فى وجهه، فقد كان تقرر - كما أشرنا فى صلح باريس الثانى - ألا تشترك فرنسا فى المفاوضات المتعلقة بأوروبا - كما كان تاليران نفسه - كما رأينا - قد تلطخ لحدما بالثورة ونابليون وحياته الماضية لاتدعو للثقة لكن على الرغم من ذلك إستطاع أن يستغل ظروف المؤتمر وأن يجعل لنفسه فى فيينا منزلة ونفوذاً.

بعض المؤرخين - الفرنسيين بالذات - وعلى رأسهم البرت سوريل (Albert Sorel) يقولون إن تاليران لم ينتصر فى فتح الأبواب التى كانت موصدة فحسب - بل نجح فى أن يكون له صوت فى تسوية ١٨١٥ لايقل عن صوت أية دولة أخرى.. فقد كان محكوماً عليه بألايدخل المؤتمر - لكنه لم يتغلب على العزلة المفروضة على فرنسا فحسب بل شارك مشاركة فعلية فى تسوية شئون أوروبا فى عام ١٨١٥.

وقد يكون هذا صحيحاً لكن ليس إلى الحد الذى يدعيه سوريل.

والحقيقة أن تاليران نجح فى تحطيم الحاجز المفروض على فرنسا ويرجع ذلك إلى:

أ ـ مواهبه الشخصية العظمية ـ فقد كان لبقاً ومرناً وشخصية جذابة.

ب ـ الخطة التى رسمها لفرنسا فى فيينا فقد أدرك ـ ما يجب أن يعمله ـ فلم يُنصب نفسه مُدافعاً عن مطالب فرنسا بالذات إنما نصب نفسه مدافعاً عن القانون الدولى والسلام الأوروبى ووجوب وضع العلاقات الدولية على أسس ثابتة من المعاهدات لاتترك مجالاً لأطماع الطامعين ـ إختار أن تتكلم فرنسا عن أوروبا كلها، وكان لهذا تأثيره فى محو صورة فرنسا المعتدية والمنهزمة من أذهان المجتمعين فى فيينا.

جـ ـ موقف الدول الأخرى الكبرى: لم ترسم هذه الدول لنفسها سياسة واضحة صريحة تطالب بتطبيقها فى المؤتمر ـ كما فعل تاليران ـ وقد أتاح هذا فرصة ذهبية للسياسى الماكر واستطاع أن يجد ثغره ينفذ منها.

وأهم ما أسفرت عنه التسويات فى فيينا:

أولاً: يتعلق بأوروبا الوسطى والشرقية:

كانت الأوضاع فى هذه المنطقة والصراعات كثيرة، واتخذ المؤتمر قاعدة (رد الحقوق الشرعية لأصحابها) بالطبع قصد بذلك حقوق الملوك والأمراء الحاكمين (ليست الشعوب والقوميات).

وقد واجه المؤتمر عند تطبيق هذا المبدأ مشكلات متعددة ـ مثلاً فيما يتعلق بألمانيا كانت فى (١٧٨٩) خليطاً مكوناً من ٣٠٠ حكومة كبيرة وصغيرة تقريباً ـ قرر المؤتمر أن يحتفظ بالتبسيط الذى حدث فى عهد

الثورة وعهد نابليون، فقد نقص عدد هذه الحكومات إلى أقل من ٤٠ حكومة، ولعل ذلك يرجع إلى أن بعض الظروف التى يتم فيها هذا التبسيط على يد فرنسا كانت بإشتراك من النمسا وبروسيا، كما أن النمسا وبروسيا على الأخص كانت لهما مطامع تتوقان لتحقيقهما فى سنة ١٨١٥، وهذا يتعارض مع رد الحقوق لأصحابها، وكذلك فإن الأوضاع الجديدة فى ألمانيا كانت أحسن مما كانت عليه من قبل.

بالطبع ما أسفوا له أن هذا التعديل حدث بواسطة نابليون ـ لكن هذا بالطبع لايبرر هدمه، فالتسويات تمت هنا على أساسين:

أ ـ المحافظة على العدد الجديد للحكومات الألمانية.

ب ـ إرضاء مطامع معينة لروسيا والنمسا فى ألمانيا.

هذا وقد ارتبطت التسويات المتعلقة بألمانيا بالمشكلات فى شرق أوروبا، مسألة حدود سكسونيا المملكة التى كانت موالية لبونابرت.

بولندا:

كان الإسكندر قيصر روسيا يهدف فى عام ١٨١٥ إلى إحياء بولندا القديمة بكل حدودها، وهذا يعنى ضم الأراضى التى استولت عليها النمسا وتؤخذ من بروسيا أراضيها البولندية وتضم كل هذه مع باقى أراضى بولندا الروسية ليتكون منها مملكة بولندية متحدة ـ يحمل الإمبراطور الروسى تاجها.

ومن وجهة نظره أن هذا الحل يحقق آمال البولنديين القومية كما يضمن مصالح روسيا، لأن وجود بولندا المتحدة مع روسيا فى شخص القيصر يضمن الحدود الغربية لروسيا.

لم ترض النمسا عن الحل، كما أن بروسيا أظهرت إستعدادها لقبول هذا الحل على أن تعوض بضم جزء من ألمانيا (سكسونيا) لها.

لكن تحالفت انجلترا والنمسا وفرنسا لمنع بروسيا وروسيا من تحقيق تلك التغييرات فى شرق أوروبا.

وانتهى الوضع بتكوين مملكة بولندا التى تضم جزءً كبيراً من بولندا القديمة التى قُسمت فى القرن الثامن عشر، وهكذا حقق القيصر إلى حد كبير رغبته وتلقب بلقب ملك بولندا ـ لكن بقى إقليم (بوزن) فى يد بروسيا، كما احتفظت النمسا بإقليم (غاليسيا) ثم هناك جزء من بولندا (مقاطعة كراكاو Kraqau) جُعلت جمهورية مستقلة فى وسط هذه الذئاب التى تحوط بها.

بالطبع لا ينتظر إنها تعيش كثيراً (ضاع استقلالها تماماً فى ١٨٤٦ حين ضمتها النمسا لإقليم غاليسيا).

وإذا نظرنا إلى هذا الوضع الذى إرتضته التسوية نلمس أن بروسيا اكتسبت نفوذاً كبيراً فى ألمانيا ونتجت عن ذلك نتائج خطيرة، فقد استولت على جزء كبير من سكسونيا، وعلى كتلة طيبة من الأرض غرب ألمانيا فى حوض الراين وبذا أصبحت بروسيا بحكم هذا الموقع الجغرافى فى مركز الحامية عن حريات وحقوق وإستقلال الإمارات الألمانية واتصلت حدود بروسيا بحدود فرنسا على نهر الراين، وسيترتب على ذلك نتيجة هامة بالنسبة لتقلد بروسيا زعامة حركة الوحدة الألمانية، فما حدث فى تسوية ١٨١٥ مهد لهذا الوضع.

هذا وقد قرر المؤتمر إنشاء ما عُرف (بالإتحاد الألمانى) محققاً لرغبات الشعب الألمانى ـ بالطبع لم يُراع هذا الأمال الألمانية الواسعة لأنه لم توجد حكومة ألمانية واحدة لها هيئة تنفيذية وجيش وسياسة خارجية

تبسط سلطانها على الحكومات المختلفة والأمر لم يخرج فى الواقع عن تحالف بين الحكومات المتعددة بينما تحتفظ كل حكومة بكامل سيادتها.

المظهر الوحيد من مظاهر الإتحاد الذى أصبح للألمان هو الديت (Diet) أى مجلس المتحالفين.

ثانياً: الأراضى المنخفضة:

تحيز المؤتمر لفكرة إنجليزية ظهرت أثناء الحرب ضد نابليون هى فكرة ضم الأراضى المنخفضة التى كان أسبانية ثم نمساوية ثم استولت عليها فرنسا أثناء الثورة ـ فضمت هولندا وبلجيكا فى مملكة واحدة أطلق عليها اسم الأراضى المنخفضة (Nether Iands) وجعل تاجها فى أسرة أورنج الهولندية.

وكان أمام المؤتمر عدة حلول منها ـ إبقاء السواحل البلجيكية بيد فرنسا ـ لكن رفضت انجلترا هذا رفضاً قاطعاً لأنها من عهد لويس الرابع عشر وهى لا تقر ذلك فهى أراضى مواجهة لمصب التيمز.

أو تضم النمسا ـ وقد رفض هذا لأن النمسا ثبت أن اتجاهها نحو الشرق والجنوب وليس للغرب، كذلك لم يقر المؤتمر فكرة إستقلال البلجيك. فالمجتمعون فى عام ١٨١٥ لم يمكن طبعاً أن يدركوا ما ندركه الآن من إمكان وجود أمة بلجيكية تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها وتتقدم فى سبيل العلم والحضارة كما فعلت بلجيكا بعد ذلك.

رجح فكرة المملكة الواحدة هذه الإعتقاد بأنها ستقف فى وجه التقدم الفرنسى لكن ستكون هذه أول ما يسقط من البناء الذى أقيم فى عام ١٨١٥.

ثالـ   إيطاليا:

طبق عليها مبدأ الشرعية ـ فى أيام نابليون كانت هناك مملكة إيطالية إنما لم تكن شاملة لكل شبه الجزيرة رغم وجود الأسم ووجود شيء من التوحيد فى أساليب الحكم، كانت مملكة إيطاليا فى عام ١٨٠٤ تطلق على (سهل لمبارديا والبندقية وأجزاء من إيطاليا الوسطى) وكان مركزها فى ميلان.

لكن كانت ـ تخرج عن هذا الملك أجزاء من إيطاليا الوسطى، كما كانت تتبع فرنسا مباشرة الأراضى التى كانت تتكون من مملكة (سردينيه)، كما ضُمت بيدمونت لفرنسا لما طرد ملكها، ثم ضمت (أراضى البابوية) ـ أما الجزء الجنوبى (مملكة نابلى) فقد جُعلت مملكة قائمة بذاتها أجلس على عرشها جوزيف نابليون ثم مورا ـ هذا هو الوضع أثناء الثورة.

هدم مؤتمر فيينا كل هذا ورجعت إيطاليا لما كانت عليه قبل نابليون، فقد أعيد ملوك بيدمونت لعرشهم من جديد، وضمت لهم (جنوه) التى لم تعد لاستقلالها القديم، وأعطيت النمسا سهل لمباديا والنبدقية وأعيدت إمارات إيطاليا الوسطى لأمرائها، وأعيدت ممتلكات الكنيسة إليها، كما أعيدت مملكة (نابولى) للبربون الذين كانوا يحكمونها قبل الثورة فتكون من نابولى، وصقلية وجزيرة كورسكا مملكة بقيت مع فرنسا، بينما جزيرة سردينية فقد بقيت مع بيدمونت التى كانت تضم أيضاً نيس وسافواى.

ونلاحظ على هذا أن ظاهرة الإنقسام رجعت كما كانت قديماً، كما أن النمسا فضلاً عن إمتلاكها أرض فى الشمال من أغنى الأراضى الإيطالية وأخصبها، فقد ضم لها عدد من الإمارات الصغيرة كان يحكم بعضها أعضاء من البيت المالك النمساوى.

وهكذا أصبحت أمام الإيطاليين عقبة كبيرة فى سبيل الإتحاد فلم

يكن أمامهم فقط التغلب على الأفراد والحكام المتعددين بل لابد من قهر النمسا وإخراجها من شبه جزيرة إيطاليا.

إنجلترا:

خرجت من المؤتمر بتدعيم مركزها فى حوض البحر المتوسط فاحتفظت بسيادتها على مالطة وحصلت على الجزر الأيونية.

رابعاً: اسكنديناوه:

فصلت النرويج عن الدنمارك، وضمت للسويد.

خامساً: أسبانيا والبرتغال:

عادت كل منهما إلى حدودها القديمة.

سادساً: سويسرا:

بقيت دولة مستقلة تتكون من إتحاد عدة ولايات (٢٢ ولاية).

تقييم لمؤتمر فيينا:

١ ـ نلاحظ أن الدول المجتمعة فى فيينا حرصت على تحقيق عدة أهداف:

أ ـ التوازن الدولى ـ بحيث لاتصل دولة إلى درجة من القوة تهدد غيرها. وبحيث تسترد كل دولة ما كان لها من أملاك سابقة ـ وقد طبق هذا المبدأ طالما لم يتعارض مع مصالح الدول الكبرى.

ب ـ إعادة الحقوق الشرعية إلى أصحابها.

جـ ـ إحاطة فرنسا ـ خاصة على حدودها الشرقية ـ بدول قوية.

٢ ـ وفيما يتعلق بهذه المبادىء التى وضعها المؤتمر أمام نظره كان تحقيقها فى حدود مصلحة الدول الكبرى فقد حاد المؤتمر عن مبادئه طالما

أصطدمت بمصالح الدول الكبرى - والأمثلة عل ذلك كثيرة ويمكن تتبعها فيما سبق ذكره.

٣ - من الواضح أن المؤتمر كغيره من المؤتمرات كان يهدف أولاً لتحقيق أطماع الدول الكبرى المنتصرة بينما كانت مشاركة الدول الصغيرة مشاركة إسمية.

٤ - لم يهتم المؤتمر بمطالب الشعوب وأمانيها القومية وبتطبيق المبادىء التى أشاعتها الثورة الفرنسية والتى أصبح لها مكانتها فى نفوس مختلف الشعوب بإعتبارها حقوقاً طبيعية للإنسان.

٥ - كانت ثورة بلجيكا فى ١٨٣٠ - كما ذكرنا - أول نذير على أن ما قصد إليه مؤتمر فيينا لايمكن أن يبقى رغم أنف الشعوب والقوميات - فكانت أول صخرة سقطت من هذا البناء الضخم الذى حاول المجتمعون فى فيينا تشييره لحماية أوروبا من الصراعات كتلك التى شاهدناها فى عهد الثورة ونابليون.

مراجع لمزيد من الإطلاع

١ ـ جرانت وتمبرلى: أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين (ترجمة بهاء فهمى ومراجعة أحمد عزت عبدالكريم).

٢ ـ زينب عصمت راشد: تاريخ أوروبا فى القرن التاسع عشر (١٩٧٦).

٣ ـ عبدالعزيز محمد الشناوى: أوروبا فى مطلع العصور الحديثة (١٩٧٧).

٤ ـ فشر، هربرت: تاريخ أوروبا الحديث (ترجمة أحمد تجيب هاشم، وديع الضبع).

٥ ـ Bainville: Histore de France (1924).

٦ ـ Dickinson, Lowes: Revoltionin France (1982).

٧ ـ Fyffe, GA: History of Modern Europe 1924).

❁ ❁ ❁

أسئلة على الثورة الفرنسية
وفترة حكم نابليون

١ ـ «الأحساس بالظلم وليس الظلم فى حد ذاته هو الدافع للثورة» إشرح ذلك فى ضوء دراستك لدور المفكرين السياسيين والإجتماعيين فى إذكاء نار الثورة فى فرنسا.

٢ ـ إعلان حقوق الإنسان من أهم إنجازات الجمعية الوطنية التأسيسية فى فرنسا ـ إشرح ذلك محللاً أهم مواد هذه الإعلان.

٣ ـ اكتب مذكرات تاريخية عن:

روبسبير ـ ترجو ومحاولاته لإصلاح مالية فرنسا ـ ميرابو.

٤ ـ أشرح أهم الأحداث الخارجية المتعلقة بنشاط فرنسا فى عهد حكومة الإدارة.

٥ ـ ما الظروف التى أصبح فيها بونابرت قنصلاً أول فى فرنسا. إدرس كيف وجه سياسة فرنسا تجاه إنجلترا فى هذه الفترة.

٦ ـ يذهب بعض المؤرخين إلى أن تتويج بونابرت إمبراطوراً تم حسب رغبة الشعب الفرنسى ـ ناقش ذلك، وإدرس النظام الذى رسمه بونابرت لأوروبا وحاول تنفيذه فى هذه الفترة.

٧ ـ عل لما يأتى:

أ ـ كان صلح إميان ١٨٠٢ هدنة فرضتها الظروف على كل من فرنسا وانجلترا.

ب ـ كانت سياسة الحصار القارى التى فرضها نابليون على أوروبا فى عام ١٨٠٧ ـ سيفاً ذات حدين.

٨ - يُعتبر عام ١٨٠٨ قمة المجد الذى وصل إليه نابليون - ناقش ذلك فى ضوء دراستك لأهم الأحداث التى حدثت فى حياته السياسية فى الفترة من عام ١٨٠٨ إلى عام ١٨١٥.

٩ - اشرح الأسباب التى أدت بنابليون لمحاربة روسيا وناقش نتائج هذه الحروب.

١٠ - أعط صورة من أهم الشخصيات التى اشتركت فى مؤتمر فيينا ١٨١٥ وعن الدور الذى لعبه كل منهم.

١١ - اختلف المؤرخون فى تقييمهم للدور الذى لعبه تاليران فى تاريخ فرنسا - وضح بإسهاب الدور الذى لعبه على مسرح الأحداث فى بلاده.

١٢ - اشرح أهم القرارات التى تقررت فى مؤتمر فيينا فيما يتعلق بحدود أوروبا السياسية.

❀ ❀ ❀

الجزء الثالث
تاريخ أوروبا المعاصر

المحتويات:

أولاً: معالم تاريخ أوروبا المعاصر.

ثانياً: نجاح الحركة القومية وتحقيق الوحدة الإيطالية.

ثالثاً: الاتحاد الألمانى وقيام الرايخ.

رابعاً: الثورة الصناعية في أوروبا ونتائجها.

خامساً: المسألة الشرقية.

سادساً: التحالفات الدولية فى الفترة من ١٨٩٠ إلى ١٩٠٧.

سابعاً: الأزمات التى مهدت للحرب العالمية الأولى.

ثامناً: الحرب العالمية الأولي (١٩١٤ ـ ١٩١٨).

تاسعاً: أوروبا بين الحربين العالميتين الأولى والثانى (١٩١٩ ـ ١٩٣٩)

عاشراً: الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥)

حادى عشر: المشكلات الدولية عقب الحرب العالمية الثانية ومحاولات حلها.

❀ ❀ ❀

أولاً: معالم تاريخ أوروبا المعاصر

لايمكن أن نحدد تاريخاً معيناً كبداية لتاريخ أوروبا المعاصر لكن على وجه الإجمال ـ تشمل دراسة تاريخ أوروبا المعاصر أحداث القرن التاسع عشر، وتمتد بعد ذلك إلى القرن العشرين فتغطى أحداث الحرب العالمية الأولى، والفترة ما بين الحربين العالميتين ثم أحداث الحرب العالمية الثانية وما تلتها من أحداث.

ولعل مؤتمر فيينا (١٨١٥) الذى افتتحت به أوروبا صفحة جديدة من تاريخها بعد الحرب البونابرتية يُعتبر فى نظر البعض بداية طيبة لتاريخ أوروبا المعاصر.

وقد تميزت هذه الحقبة من تاريخ أوروبا بمميزات نذكر منها:

١ ـ انتشار الشعور القومى، والسعى للوحدة القومية وقد ترتب على ذلك ظهور دول قوية موحدة، وقد ظهرت الدول الحديثة على الأساس القومى أولاً فى وسط غرب أوروبا، وأدت عوامل سنتعرض لها لتأخر قيام الوحدة فى إيطاليا، وكذلك الوضع فى ألمانيا ـ لكن لم تلبث أن أكتملت الوحدة الإيطالية والإتحاد الألمانى وقيام (الرايخ) بظهور ألمانيا كدولة متحدة قوية ستلعب دوراً هاماً فى تاريخ أوروبا المعاصر.

٢ ـ الإنقلاب الصناعى، وما أدى إليه من تطورات إقتصادية وإجتماعية وسياسية. وفى مقدمتها ظهور الرأسمالية الأوروبية كنتيجة للتغيرات الإقتصادية فى أوروبا، ثم إتجاه الدول الأوروبية للإستعمار كمجال لإستثمار الفائض من رأس المال وللبحث عن مصادر جديدة للمواد الخام ولتصريف الفائض من إنتاجها.

٣ ـ ظهور مبادىء سياسية وإجتماعية جديدة نتيجة للتغيرات سالفة الذكر ـ فى مقدمتها ظهور الإشتراكية.

٤ ـ نهضة عسكرية ضخمة فى كثير من الدول تمثلت فى ضخامة العتاد العسكرى، وفى الفن العسكرى، والتسليح، وقوانين التجنيد الإجبارى وغير ذلك ـ إعتماداً على الثروات التى أتيحت لهذه الدول مما مهد للحرب العالمية الأولى وما سببته من خراب ودمار وما تبعها من محاولة لوضع نظام يصون السلام العالمى ويحول دون إنبدلاع حرب أخرى.

٥ ـ ظهور الدكتاتوريات العسكرية خاصة فى ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية وجر العالم إلى حرب عالمية ثانية أعقبتها محاولة أخرى لوضع نظام يحقق للعالم أسساً أمتن للسلام.

ويمكن أن نوضح بعض هذه المعالم التى ميزت تاريخ أوروبا المعاصر:

١ ـ الشعور القومى والوحدة الوطنية:

مبدأ القومية كان من أظهر القوى الدافعة التى ظلت تشكل الحوادث خلال القرن التاسع عشر، والقومية وثيقة الصلة بمبادىء الحرية التى نادت بها الثورة الفرنسية، فهى تدعو إلى ضرورة تحرير الشعب من كل سيطرة أجنبية عليها حتى يتسنى إنشاء الحكومة الوطنية، وحتى تتمتع الشعوب بحق تقرير نوع الحكم الذى ترتضيه والقومية والديمقراطية مترادفان، فتحرر الشعوب ووحدتها تبعه تحرر الأفراد وتمتعهم بحقوقهم داخل الدولة الموحدة المتحررة من سلطان الأجنبى.

وقيام الثورة الفرنسية ـ كما نعلم ـ كان على أساس تدعيم حقوق الفرد، ولعل من أهم ما أسفرت عنه هذه الثورة (حقوق الإنسان) التى أذاعتها واعتبرتها حقوقاً طبيعية للإنسان دون نظر لجنسه أو وضعه الإجتماعى.

ولايُنقص من ذلك أن رجال الثورة لم يحترموا دائماً هذه الحقوق الدولية أو الفردية مما نجم عنه ظهور حركات المقاومة الوطنية فى أسبانيا وغيرها من البلدان.

وقد ارتبط نمو الحركات القومية فى أوروبا منذ سقوط الإمبراطورية البونابرتية بظهور (الحركات الدستورية) فالملكيات العائدة لأوروبا بعد مؤتمر فيينا٥عام ١٨١٥ لم تُدرك لفترة - أن الملكية المطلقة لم يعد لها مكان وأن التغييرات التى طرأت على المجتمع الفرنسى والمجتمعات الأوروبية نتيجة الثورة الفرنسية وأحداثها لم يكن من الممكن أن تزول بمجرد إنهيار الإمبراطورية البونابرتية.

لذلك فإن تسوية فيينا عام ١٨١٥ التى قامت على أساس التوازن الدولى وإرجاع الأسر القديمة إلى الحكم لم تنجح فى حل جوهر المشكلات الأوروبية رغم محاولة الساسة إنشاء رقابة للمحافظة على أسس التسوية التى وضعوها - ويرجع ذلك قبل كل شىء إلى إغفال رغبات الشعوب - فأنشأوا دولاً لا تدعمها روابط اللغة، والعنصر، والمصالح المشتركة مثال ذلك تقسيم إيطاليا وألمانيا، وبولندا، وسيادة النمسا على مجموعة من الأمم لا رابطة بينها.

وأدى هذا إلى الصراع العنيف بين الشعوب المحكومة التى اتخذت شعاراً لها (القومية، والديمقراطية) وبين الحكام الرجعيين - ولذا تميزت هذه الحقبة من القرن التاسع عشر بالثورات التى أشعلها الوطنيون فى اليونان وإيطاليا والأراضى المنخفضة وألمانيا، بل وغيرها من الدول الأوروبية فى الأعوام من ١٨٢٠ إلى ١٨٧٠.

ونجحت هذه الحركات فى إنشاء (مليكات دستورية) أو نظم أخرى كالنظام الجمهورى تُحترم فيها حقوق الأفراد ومصالحهم.

٢ ـ الإنقلاب الصناعى:

ترتب على تقدم العلوم التطبيقية وغيرها من العلوم التى أخذت تتقدم بخطى سريعة منذ عصر النهضة وكنتيجة التشبث بإحترام المنهج العلمى فى البحث ـ ثورة فى الصناعة، فقامت الصناعة الآلية الحديثة، وأنشئت المصانع الضخمة التى تضم آلاف العمال، وترتب على هذا ضخامة الإنتاج بما يفيض عن حاجة الدولة المنتجة، هذا بالإضافة إلى توفر رؤس الأموال الضخمة وظهور الطبقات الرأسمالية.

وأدى هذا لتغيرات جذرية فى المجتمعات، فقد ظهرت طبقات جديدة وأصبحت ترى من حقها الإشتراك فى توجيه سياسة الحكومات وسن القوانين التى تضمن المحافظة على حقوقها.

وترتب على هذا أيضاً التسابق بين الدول الصناعية للحصول على المستعمرات للوصول إلى المواد الخام اللازمة للصناعة وللسيطرة على الأسواق الضرورية لتصريف الفائض من الإنتاج، وهكذا كان الإستعمار الغربى الحديث بأهدافه وصوره الجديدة ـ وقد عانت قارة آسيا وأفريقيا من ذلك.

وترتب على هذه الثورة تغيرات فى الدول الأوروبية ذاتها فتطورت أعمال المصارف ونظمها وتنوعت نشاطاتها، وأصبحت الأموال الطائلة تُصرف على البحوث والإكتشافات الحديثة فاكتشفت الكهرباء ثم استخدمت فى إدارة لالآت والمصانع ثم تبع ذلك اكتشاف قوى محركة أخرى.

وسنعود لدراسة الثورة الصناعية التى قامت فى بعض الدول ونتائجها.

٣ ـ ظهور الإشتراكية:

أدى التغيير الذى أحدثته الثورة الصناعية فى المجتمع وفى توزيع الثروات إلى ظهور طبقة العمال والصناع، وعلى الرغم من أن هؤلاد العمال والصناع الصغار كانوا الوقود الذى يُدير عجلة المصانع فإن الرأسماليين لم يألوا جهداً فى سبيل حصولهم على أكثر ربح ـ وفى تحديد أقل أجر ممكن للعامل، ومضاعفة ساعات العمل فاتسعت الشقة بين الرأسماليين وبين العمال المأجورين.

وأدى هذا لظهور طبقة من المفكرين ومن الأحرار الإنسانيين تنادى بإنشاء نظام يضمن مصلحة الطبقة العاملة وحقوقها ويكفل لها مشاركة حقيقية فى أرباح الإنتاج الذى تنتجه حتى ينال كل فرد فى المجتمع قسطاً من الثروة يتناسب مع العمل الذى يؤديه.

ومن الذين نادوا بهذه الأفكار هنرى دى سانت سيمون (Henry De Saint Simon) فى فرنسا وروبت أوين (Robert Oien) فى انجلترا، وتطورت الحركة بعد ذلك بسرعة حين ظهر كارل ماركس (Karl Marks)، فردريك انجلس (F. Angles) الألمانيان وأصدرا فى عام ١٨٤٧ ما عُرف (بالبيان الشوعى) طالبا فيه بسيطرة الطبقة العمالية الكادحة وإمساكها بدفة الأمور.

ويشرح ماركس فى كتابه (رأس المال) الذى ألفه فى انجلترا أراءه. فهو يرى أن النظم الإقطاعية التى كانت سائدة فى العصور الوسطى تركت المجال للرأسمالية البرجوازية لتحل محلها، وأن الوقت قد حان للطبقات العمالية الكادحة (البروليتاريا Prolitiaria) التى لا تملك شيئاً وتعيش تحت رحمة أصحاب رأس المال ـ لكى تنتزع السلطة وتقيم حكومات جديدة تخلف دكتاتورية الرأسماليين.

وقد انتشرت هذه الآراء بسرعة بين طبقات العمال فى أوروبا، ودعا ماركس وأعوانه العمال فى جميع أقطار العالم للتكاتف ضد طبقة الرأسماليين لإقامة اشتراكية دولية، ولتحقيق هذا الهدف، دعا فى ١٨٦٤، إلى اجتماع فى لندن حضره مندوبون من عمال إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وبولندا ـ لتوحيد جهود العمال فى مختلف الأقطار، وكان هذا بداية لنشأة (الحركة الشيوعية).

وتطورت هذه النظم والآراء الإشتراكية وتنوعت، فنادى بعضهم (بالإشتراكية الوطنية) وليست الدولية وهدفها أن تستأثر الطبقة العاملة بالسلطة داخل دولتها ليتيسر لها استصدار التشريعات التى تخدم العمال وفى مقدمة من نادى بذلك فرديناند لاسال (F. Lassalle).

وفى انجلترا اتخذت الحركة الإشتراكية صورة أخرى تتمثل فى توسيع حق الإنتخاب ليشمل الطبقة الكادحة وانتهى الأمر بتأسيس حزب العمال فى عام ١٩٠٠، وقد نجح هذا الحزب فى تولى مقاليد الحكم فى انجلترا عام ١٩٢٤، بزعامة رمزى مكادوندالد (Ramsay Mac Donald).

هذا وفى مقابل هذه الحركات الإشتراكية المعتدلة ظهرت حركات اشتراكية أخرى متطرفة سعت لإنشاء ديكتاتورية عمالية تعمد إلى إزالة النظام الرأسمالى وإقامة نظام شيوعى يعمد لتوزيع الثروة، ولقى المبدأ الشيوعى تأييداً من الطبقة الكادحة من العمال والمزارعين.

وقد قامت هذه الحركة على الخصوص فى فرنسا ونجح أتباعها عام ١٩١٧ فى السيطرة على مقاليد الأمور بعد إنتهاء حكم القياصرة بها.

يعد هذا العرض السريع لبعض معالم هذه الفترة من التاريخ الأوروبى المعاصر يحسن أن ننتقل للدراسة التفصيلية للأحداث التاريخية المرتبطة بها.

ثانياً: نجاح الحركة القومية وتحقيق الوحدة الإيطالية

القومية الإيطالية:

ليس صحيحاً ماوصف به مترنيخ إيطاليا من أنها «مجرد مصطلح جغرافى» فهناك مقومات معينة للقومية الإيطالية، فشبه الجزيرة الإيطالية لها حدودها الجغرافية، وتسكنها أجناس لها صفاتها ومقوماتها التى تميزهم عمن حولهم، أما الفروق بين أهل الشمال مثلاً وأهل الجنوب أو بين سكان السواحل وسكان المدن الداخلية فلا تتعدى الإختلافات الإقليمية المحلية المعروفة فى أى بلد ـ فيمكن القول بأن شبه جزيرة إيطاليا يسكنها جنس واحد يدين بدين واحد وله لغته وعاداته المشتركة.

عقبات فى طريق الوحدة الإيطالية:

تأخر تحقيق الوحدة الإيطالية بسبب عوامل سياسية وأخرى إجتماعية.

فمؤتمر فيينا حرص على إحتفاظ الدول التى انتصرت على بونابرت بمصالحها فى إيطاليا ـ حقيقة إن التجزئة التى أقرها المؤتمر كانت الأوضاع قبل نابليون والثورة ـ لكن الدول القوية صاحبة المصلحة فى الأجزاء الخاصة بها كان يهمها بقاء التجزئة ودوامها.

وبمقتضى التقسيم الذى أقره مؤتمر فيينا قامت فى إيطاليا سبع دول منها: مملكة نابولى وتشمل صقلية وعدد سكانها ٧٫٥ مليون نسمة ـ وبدمونت وتشمل سردينيا وعدد سكانها ٤ ملايين نسمة، ولمبارديا وعدد سكانها ٤٫٢٥ مليون نسمة وكانت هذه الأخيرة (لمبارديا) خاضعة خضوعاً مباشراً للنمسا ـ ثم ولايات البابوية وسكانها ٣٫٥ مليون نسمة ـ هذا بالإضافة إلى أقسام أصغر حجماً وأقل سكاناً.

وقد حرص مترنيخ الزعيم النمساوى على أن تكون لبلاده السلطة المباشرة على دول شبه الجزيرة.

وقد لمس الإيطاليون فوائد الوحدة من الناحية الإقتصادية وغيرها فى ظل النظام الذى وضعه نابليون لبلادهم، كما أنهم بلا شك تأثروا بالمبادىء التى نادت بها الثورة الفرنسية من حيث حقوق الإنسان فلم يكن من السهل أن يخضعوا للنظام الرجعى المستبد الذى أرادته النمسا.

وقد ساد إيطاليا بعد مؤتمر فييناجو من الفساد والرشوة والإنحلال وساءت الحالة الإقتصادية، وفرضت ضرائب جمركية على البضائع عند نقلها من إقليم لآخر، ولم تكن فى البلاد عملة نقدية موحدة أو موازين ومكاييل واحدة، واضطراب عمل المصارف وتدهورت الصناعة وكانت الأمراض كالملاريا منتشرة، وتركت مساحات واسعة من الأرض الصالحة للزراعة بوراً وكانت غالبية السكان تعيش حياة بائسة.

ورجعت البابوية لسياستها الرجعية التى تدعم إمتيازات الكنيسة وكبار رجال الدين وتقف فى وجه الأراء والمبادىء الحرة.

على أنه فى وسط هذا الجو وُجدت بارقة أمل فى الجامعات المتعددة التى خرجت أعداداً غفيرة من المتخصصين فى مختلف المجالات من المهندسين والأطباء والقضاة والكتاب وغيرهم.

المراحل التى مرت بها حركة الوحدة الإيطالية:

مرت الوحدة الإيطالية فى مراحل فلم تتحقق دفعة واحدة وأهم هذه المراحل:

١ ـ الحركات المحلية:

بدأت منذ عودة الحكومات الرجعية لإيطاليا بعد مؤتمر فيينا عام

١٨١٥ ـ فقد برزت فى حركات التذمر بين أفراد الطبقة (البرجوازية) من المثقفين وخريجى الجامعات لكنها كانت حركات محلية متناثرة، وإن كانت أهدافها واحدة ـ لكنها تفتقر إلى الوحدة التى تربط بينها وتوحد كفاحها.

٢ ـ الجمعيات السرية:

كن طبيعياً أن تقف السلطات الحاكمة والدول الرجعية موقفاً حازماً من الإضطرابات التى أثارتها العناصر المثقفة الوطنية ولذلك اتجهت هذه العناصر للعمل السرى فى الخفاء.

وقد مقدمة الجمعيات التى عملت فى هذا المجال والتى لعبت فيما بعد دوراً هاماً فى الوحدة الوطنية (جمعية الكاربونارى) . وقد تألفت هذه الجمعية من المشتغلين بحرق الأخشاب لإنتاج الفحم فى غابات كلابريا (calabria) وكان مقرها الرئيسى فى نابولى، ووصل عدد المنضين إليها فى عام ١٨١٦، حوالى ٦٠٫٠٠٠، وانتشرت من نابولى إلى مختلف البلدان الأخرى فى إيطاليا خاصة الخاضعة مباشرة للنمسا، والولايات البابوية، وحددت هذه الجماعات أهدافها فى طرد النمسا وعملائها من شبه الجزيرة، والعمل لتويحد إيطاليا وإقامة حكومة دستورية فيها.

ولم تستطيع هذه الجماعات السرية أن تقوم بعمل جماعى قوى فى كل إيطاليا لكنها قادت ثورتين هامتين إحداهما فى عام ١٨٣٠ والثانية فى عام ١٨٣١، شجعهم على الثورة الأولى ثورة الأسبان فى عام ١٨٢٠، وعلى الثورة الثانية ثورة الفرنسيين فى عام ١٨٣٠ ـ تلك الثورة التى ترتب عليها فى فرنسا تولى (لويس فيليب) العرش كرغبة الشعب، على أن ثورة الإيطاليين لم يترتب عليها أكثر من لفت الأنظار إلى حركة التذمر التى تسود الشعب الإيطالى.

٣ - حركة ماتزينى (Matzini):

ولد يوسف ماتزينى فى جنوه فى عام ١٨٠٥ وكان أبوه طبيباً يعمل بجامعة جنوة، تلقى ماتزينى تعليمه الجامعى فى جامعة جنوة حيث حصل على الدكتوراه فى القانون.

وفى عام ١٨٢٨ بدأ اسمه يلمع حين كتب عدة مقالات فى جريدة (دليل جنوه) تعرض فيها للأوضاع السياسية فى إيطاليا. وحين قامت الثورات فى إيطاليا فى عام ١٨٣٠ أتهم بإشتراكه مع جمعيات الكاربونارى فى إثارة الجماهير فقبض عليه وسُجن لمدة ستة شهور ثم أفرج عنه ووضع تحت المراقبة، ولكنه فر إلى جزيرة كورسيكا ومنها إلى مرسيليا، وهناك أسس جمعية (إيطاليا الفتاة) التى انضم تحت لوائها عدد من رجال القانون والفكر والأطباء وكان من بينهم غريبالدى (Garibaldi) الزعيم الإيطالى الذى ظهر فيما بعد.

وقد طالب ماتزينى بأن يهتم الكتاب والأدباء الإيطاليون بالأدب القومى الذى يدعم الوحدة الوطنية، كما طالب بوضع برامج مفصلة للإصلاحات اللازمة فى التعليم، والتشريع وغير ذلك من مجالات النشاط، والعمل الوطنية، وكان ماتزينى مؤمناً بالعمل الجماهيرى مدركاً لقدرتها على طرد الغزاة الأجانب وتحقيق الوحدة الوطنية - وكانت له فلسفة سامية لفكرة (القومية) و(الوطنية) - لكنه رغم تدينه وإتخاذه «الله والشعب والإنسانية» شعاراً لمبادئه - فقد نظر للكنيسة الإيطالية على أنها عقبة فى طريق تحقيق الوحدة.

وقد قاد هو وأعوانه عدة حركات ثورية من عام ١٨٣٣ إلى عام ١٨٤٥ لكنها باءت بالفشل وإن تركت أثرها فى الحركات المستقبلية التى أدت إلى تحقيق وحدة إيطاليا.

٤ ـ حركة المعتدلين (جيوبرتى، ودازجليو) (Gioberty. Dazgilio):

تتميز هذه الحركة باعتقادها أن فى الإمكان تحقيق الأهداف القومية والوطنية دون اللجوء للعنف أو الثورة، وقد برز فى هذا المجال إثنان هما جيوبرتى، ودازجليو.

كان جيوبرتى من رجال الدين فى بيدمونت، وكانت له فلسفة خاصة، استنكر العمل الثورى ونادى بأن المحبة يجب أن تسود بين جميع الناس، وأصدر فى عام ١٨٤٣ كتاباً بعنوان «زعامة الإيطاليين الخلقية والمدنية»، أبرز فيه دور الرومان قديماً كرواد للعالم فى نشر مبادىء العدل وسيادة القانون فى العالم، ودور روما حين انتشرت فيها المسيحية وأصبحت ديانة الدولة الرسمية في تلقين العالم دروس المحبة والسلام ـ وخرج من ذلك بالدليل على أن الإيطاليين هم واضعوا أسس الحضارة فى العالم ولهم الفضل على البشر ـ ولذا على الإيطاليين أن يوحدوا صفوفهم ليسترجعوا ـ ليس بالقوة والعنف ولكن بالمحبة والأخوة والتعاون ـ مجدهم التالد. ووضع تصوراً لإيطاليا الموحدة فى شكل (اتحاد كونفدرالى) من عدة دول بزعامة البابا لأن الكنيسة من وجهة نظره ـ وهو من رجال الدين كما ذكرنا ـ جديرة بقيادة الإيطاليين فى طريق الوحدة والقوة.

وهكذا تميزت أفكار جيوبرتى وأراؤه بأعتقاده فى قيادة الكنيسة للحركة القومية، وفى رفضه للعمل الثورى والعنف كوسيلة لتحقيق الوحدة، وفى الشكل الكونفدرالى للربط بين الوحدات الإيطالية بدلاً من الوحدة الكاملة.

أما دازجليو ـ فقد كان فناناً أشتهر برسم اللوحات كما كتب عدة قصص ومقالات وله عدة كتب (١٧٩٨ ـ ١٨٧٦)، ومن كتبه الشهيرة كتابه بعنوان (الحوادث الأخيرة فى رومانا) تعرض فيه لأحداث الثورة التى قامت

فى إقليم رومانا (Romagna) من الأقاليم التابعة للبابوية فى عام ١٨٤٥ - فانتقد السياسة التى تتبعها البابوية فى الأقاليم الخاضعة لها وفى موقفها من الثورة، ونصح الإيطاليين بأن يلتفوا حول بيدمونت بإعتبارها القوة الوحيدة القادرة على تحقيق الوحدة.

٥ - حركة الألبرتين:

تنسب هذه الحركة لشارل البرت (Charies Albert) أمير بيدمونت، فقد لقيت أراء دازجليو صدى فى نفوس الكثيرين فتكون حزب الألبرتين أنصار بيدمونت وأيدها شارل البرت، وبدأ يظهر كقوة لها وزنها فى قيادة الحركة القومية والوطنية فى إيطاليا.

وقد دعت الأهمية التى أصبحت لحزب الألبرتين، زعماء الأحزاب الأخرى لمحاولة التوفيق بين حركاتهم والحركة القومية الجديدة فدعا ماتزينى مثلاً الألبرتين للتخلى عن فكرة (الإتحاد الكونفدرالى) التى كانوا ينادون بها للعمل للوحدة الوطنية الكاملة على أن يتخلى هو وأنصاره عن المناداة بالجمهورية.

كما أن البابا بيرس التاسع (Piriusix) الذى خلف البابا جريجورى السادس فى عام ١٨٤٦ راح يعمل لإصلاح الأوضاع فى الإمارات الخاضعة للبابوية فأطلق سراح عدد كبير من المعتقلين السياسيين كما ساوى بين رجال الدين والمدنيين فى الضرائب وانتشر تيار الإصلاح فى كل أنحاء إيطاليا ولجأ الشعب للقوة لإرغام الحكام الذين قاوموا تيار الإصلاح على الإذعان بالقوة.

٦ - بيدمونت تتزعم حركة الوحدة الإيطالية:

كانت سنة ١٨٤٨ سنة فاصلة فى تاريخ الوحدة الإيطالية ففى هذه

النسة نشبت الثورة فى فرنسا وامتدت أثارها إلى النمسا حتى أن مترنيخ أضطر للفرار من بلاده ـ وكانت لهذه الأحداث بالطبع أثازها فى إيطاليا.

فقامت الثورة فى لمبارديا ضد النمسا وأجبر الثوار الحامية النمساوية بميلان على الجلاء، كما اقتفت البندقية أثر ميلان، فطرد المواطنون النمساويين وأعلنوا قيام الجمهورية، وانتشرت الثورة فى مختلف المقاطعات الإيطالية وشجع هذا البرت أمير بيدمونت على إعلان الحرب فى النمسا.

لكن فى اللحظة الحاسمة دب الإنقسام بين الإيطاليين، فمنهم مؤيدون لأمير بيدمونت ومنهم دعاة لجمهورية ماتزينى، كما نادى آخرون من أنصار جيوبرتى بزعامة البابا، وأتاح هذا الإنقسام الفرصة للجيش الغازى فإستعاد مراكزه وأنقض على جيش بيدمونت وأنزل به هزيمة منكرة فى ٢٥ يوليو ١٨٤٨ وأضطر شارل البرت (Charles Albert) لعقد هدنه تعهد بموجبها بإعادة لمبارديا إلى النمسا.

لكن رأى الأمير شارل البرت من العار أن ينفذ ما تعهد به فتنازل لإبنه فيكتور عمانويل الثانى (Victor Emmanuel) وانسحب هو من الميدان تاركاً ابنه ليواجه الموقف.

على أن هذه الأحداث المتتالية أظهرت عدة حقائق وبلورت الموقف كله لصالح بيدمونت فقد:

١ ـ أيقن الوطنيون الإيطاليون أنه لايمكنهم الإنتصار على أعدائهم إلا إذا وحدوا صفوفهم تحت زعامة واحدة تقودهم ضد أعدائهم المتربصين بهم.

٢ ـ أثبتت البابوية بتخليها عن مساندة الثورة أنها لايمكن أن تقوم بهذا الدور القيادى.

٣ ـ رفعت سياسة الأمير البرت وتضحيته بعرشه فى سبيل المصلحة القومية من مركز إبنه وخليفته فيكتور عمانويل فتطلعت له الأنظار ليقود الحركة القومية.

٤ ـ زادت الإصلاحات الدستورية والإقتصادية وماقام به الملك فيكتور عمانويل منذ ولى أمر بيديونت من تكاتف الوطنيين حوله وهكذا أصبح.. المسرح مُعداً لأن تلعب بيدمونت الدور الرئيسى فى قيادة حركة الوحدة الإيطالية.

٧ ـ فيكتور عمانويل، وكافور يحققان وحدة إيطاليا:

بعد أن أصلح فيكتور عمانويل الأوضاع الداخلية فى بلاده وأطمأن إلى قوة جيشه أتجه إلى مواجهة العدو الحقيقى لبلاده وهو النمسا، وقد أتاح له القدر سنداً قوياً فى شخص وزيره الأول كافور (Cavour). وفى عام ١٨٥٨ عقد كافور مع الإمبراطور نابليون الثالث معاهدة سرية اتفق فيها على أن:

١ ـ تُضم لمبارديا والبندقية إلى بيدمونت.

٢ ـ تُضم سافواى ونيس إلى فرنسا.

٣ ـ تبقى الولايات الوسطى والجنوبية وأملاك البابا مستقلة.

٤ ـ يتكون إتحاد إيطالى من كل والولايات تحت زعامة البابا.

٥ ـ تعاون فرنسا وبيدمونت ضد النمسا إذا بدأت النمسا بالعدوان على بيدمونت.

ومع أن هذه الشروط لم تكن تحقق أطماع الإيطاليين وأمالهم إلا أن نقض هذه الشروط جاء من قبيل الإمبراطور الفرنسى نفسه.

فقد عمد كافور بعد عقد هذه المحالفة إلى التحرش بالنمسا مما دفع هذه الأخيرة إلى إعلان الحرب على بيدمونت ومهاجمتها، وتنفيذاً لشروط المعاهدة سالفة الذكر دخلت الجيوش الفرنسية فى صف بيدمونت، وأحرز الإثنان عدة انتصارات على جيوش النمسا، لكن توقف نابليون عن الحرب وعقد مع النمسا صُلحاً منفرداً (صلح زيورخ) فى عام ١٨٥٩ وبموجب هذا الصلح تقرر:

١ ـ تحتفظ بيدمونت بلمبارديا.

٢ ـ تحتفظ النمسا بالبندقية.

٣ ـ يقوم اتحاد فى إيطاليا بزعامة البابا.

٤ ـ يعود للدوقيات الإيطالية الشمالية حكامها السابقون.

ولعل ما دفع الإمبراطور نابليون للتوقف عن الحرب:

١ ـ الخسائر الفادحة التى مُنى بها الجيش الفرنسى.

٢ ـ خوف فرنسا من قيام دولة موحدة فى إيطاليا بزعامة بيدمونت تكون مصدرخطر فى فرنسا ذاتها.

٣ ـ استنجاد النمسا بروسيا.

وقد قبل فيكتور عمانويل صلح زيورخ مضطراً واعتبره خطوة فى طريق الوحدة المنشودة ولكن تنفيذ شروط صلح زيورخ كلها لم يكن متيسراً، فقد ثار الوطنيون فى الدوقيات الشمالية ورفضوا عودة حكامهم السابقين وأعلنوا إنضمامهم إلى بيدمونت.

ولما تأكد كافور من عطف بريطانيا على مطالب الدوقيات الشمالية ومعارضتها لعودة حكامها الرجعيين ـ أجرى إستفتاء فى هذه المقاطعات

الثائرة فى شأن الحكومة التى يرغبون فيها، ولما أعلنت الأغلبية رغبتها فى الإنضمام إلى بيدمونت أعلن فيكتور عمانويل فى ١٨٦٠ نزوله عند رأى الوطنيين وضم هذه المقاطعات، ولم تحرك النمسا ساكناً - وهكذا تحققت وحدة إيطاليا الشمالية.

ولكن كان لابد من ضم نابولى - والبندقية والولايات البابوية لتتم وحدة إيطاليا.

وقد استعان كافور بأحد رجال حزب إيطاليا الفتاة السابقين وهو غريبالدى (Garibaldi) فقدم برجاله من المتطوعين ونزل فى صقلية ثم عبر إلى نابولى ودخل العاصمة واستولى عليها.

ولما أعلن البابا الحرب على بيدمونت - انتهز كافور الفرصة فزحف على أملاك البابوية فأستولى عليها عدا (روما).

وفى ١٨ فبراير ١٨٦١ اجتمع أول برلمان إيطالى فى تورين، ضم نواباً عن سائر أنحاء إيطاليا بإستثناء روما، والبندقية، وفى ١٣ مارس نودى رسمياً بفكتور عمانويل الثانى ملكاً على إيطاليا.

على أن استكمال وحدة إيطاليا لم يتم إلا بضم البندقية فى عام ١٨٦٦ حين قامت الحرب بين النمسا وبروسيا وانهزمت النمسا فى موقعة سادوا (Sadowa) - فرجعت البندقية إلى إيطاليا.

وبالمثل حين قامت الحرب بين بروسيا وفرنسا فى عام ١٨٧٠ - اضطرت فرنسا بعد هزيمتها فى موقعة سيدان (Sedan) لسحب قواتها من روما فدخلتها الجيوش الإيطالية وضمتهالإيطاليا الموحدة وانتقلت عاصمة الدولة الجديدة من تورين إلى روما.

ولم تبق إلا بعض مناطق متطرفة فى الشمال كانت مثار نزاع بين إيطاليا والنمسا (منطقة التيرول) وقد ضمتها إيطاليا بعد الحرب العالمية الأولى أثر هزيمة النمسا، وانضمام إيطاليا لصفوف الحلفاء المنتصرين

وبعد إتمام الوحدة تفرغ الإيطاليون لتنظيم شئونهم الداخلية، وحل المشكلات التى كانوا يُعانون منها.

مشكلات مابعد الوحدة:

كانت إيطاليا تعانى من مشكلات متعددة، فكان على المملكة الجديدة أن تواجه هذه المشكلات وفى مقدمتها التنظيم الإدارى للمملكة الموحدة والمشكلات الإقتصادية والإجتماعية، وعلاقة إيطاليا بالبابوية، وتطلع الإيطاليين لمسايرة الدول الأوروبية الأخرى فى ميدان الإستعمار.

١ ـ فقد واجه النظام الجديد عوامل التفرقة والإنفصال والاختلافات التى كانت سائدة قبل الوحدة، ووضع كافور نظاماً يكفل تقسيم البلاد إلى مديريات على رأس كلّ مدير يخضع لوزارة الداخلية، ومع ذلك فقد بقيت إيطاليا لسنوات تعانى من الفروق ومن تباين المستويات بين الشمال بتقدمه الصناعى والتجارى والجنوب حيث تسود الزراعة ويعيش السكان فى مستوى أقل من سكان الشمال.

٢ ـ واجهت الدولة الجديدة مشكلات إقتصادية ضخمة فكان عليها تدبير ما تحتاجه مشروعات الإدارة والدفاع القومى، وتيسير المواصلات بين أنحاء الدولة المختلفة، والتعليم وغير ذلك من دعائم الدول الحديثة.

لم تستطع موارد الدولة ـ وهى دولة زراعية ـ قبل كل شىء لايتوفر فيها إلا القليل من الفحم ولايتوفر بها الحديد حتى يمكن قيام صناعة ناجحة بها ـ أن تسد كل هذه المطالب واضطرت الإدارة الجديدة لفرض الضرائب المتعددة على المواطنين كما اضطرت للإعتماد على الدول الأخرى مثل فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة لإستيراد الآلات والذخائر والأسلحة اللازمة لجيشها وأسطولها.

٣ ـ وقد قدر عدد سكان إيطاليا فى عام ١٨٦١ ـ وهو عام قيام مملكة إيطاليا الموحدة ـ ٢١ مليون نسمة زاد إلى ٢٦ مليون نسمة بعد إنضمام البندقية فى عام ١٨٦٦ وروما فى عام ١٨٧٠ وكما ذكرنا فإن التباين الإجتماعى بين الشمال والجنوب كان واضحاً وكبيراً ـ حتى قبل إتمام الوحدة.

وبعد نجاح الوحدة اهتمت الحكومة بالنهوض بالزراعة لرفع مستوى المزارعين، كما ازدهرت الصناعة فى شمال إيطاليا، ونتيجة للرعاية الصحية أخذ عدد السكان يتزايد ـ لكن متوسط دخل الفرد فى إيطاليا ظل منخفضاً بالمقارنة بالدول الأوروبية الأخرى.

وأدى إنخفاض مستوى المعيشة وسوء الحالة الإقتصادية والإجتماعية وكثرة العاطلين فى الجنوب إلى إنتشار الجمعيات السرية من قطاع الطرق ومرتكبى جرائم القتل والنهب مثل عصابات المافيا فى صقلية وجنوب شبة الجزيرة.

وقد لجأ عدد كبير من الإيطاليين للهجرة من بلادهم للبلاد الأوروبية الأخرى التى كانت بحاجة للأيدى العاملة أو للأمريكتين وذلك بهدف حل مشكلاتهم الإقتصادية بأنفسهم. ولذا اكتظت بهم المدن الأوروبية والأمريكية وعملوا فى مختلف نواحى النشاط.

٤ ـ من المشكلات الفريدة التى واجهتها الحكومة الإيطالية الجديدة علاقتها بالبابوية، فقد كان للبابوية نفوذها الدينى ومكانتها فى نفوس الإيطاليين وقد وقفت البابوية منذ البداية موقفاً معارضاً لقيام الدولة المدنية الموحدة فكان لابد من حسم الأمر بعد أن تحققت الوحدة.

وفى عام ١٨٧١ أصدر البرلمان الإيطالى تشريعاً يحدد العلاقة بين المملكة الحديثة والبابوية.

وبمقتضى هذا التشريع خُصص للبابا فى روما مكاناً يضم مجموعة الكنائس القديمة كما يضم كنيسة القديس بطرس وقصر البابوية، والمصيف البابوى الواقع شمال روما وأطلق عليه لفظ (الفاتيكان) ومنح البابا السيادة الكاملة على منطقة الفاتيكان بالإضافة لحقوق أخرى تتعلق بإستخدام السكك الحديدية والخدمات البريدية والسلكية واللاسلكية.

لكن البابا بيرس التاسع (Pirus ix) رفض هذا الحل ودعا الكاثوليك المخلصين للكنيسة لعدم تولى الوظائف الحكومية أو مزاولة أى نشاط مرتبط بها ـ وقد اثار هذا الموقف من البابوية استهجان الكثيرين.

على أن البابوية رضخت آخرالأمروعقدت فى عام ١٩٢٩ فى عهد موسولينى إتفاقاً يحدد العلاقة بين الفاتيكان والحكومة الإيطالية فى ضوء التشريع السالف ذكره.

٥ ـ إتجاه إيطاليا للإستعمار:

تأخر دخول إيطاليا ميدان الإستعمار ـ لإنشغال الإيطاليين بتحقيق وحدتهم وبمشاكلهم الداخلية ـ وبعد تحقيق الوحدة كان طبيعياً أن تثار من جديد قضية هل تنحو إيطاليا نحو الدول الأوروبية الأخرى فتدخل ميدان الإستعمار أم من الأفضل أن تركز الجهد لإصلاح أحوالها الداخلية.

وقد انقسم الإيطاليون تجاه هذه القضية إلى قسمين ـ اتجاه يرى الصالح فى تركيز الجهد ـ كل الجهد لحل المشكلات الداخلية، وأخر يرى فى خروج إيطاليا للعالم الخارجى وإشتراكها كباقى الدول الأوروبية الأخرى فى عمليات الإستعمار حلاً للكثير من مشكلاتها الإقتصادية وغيرها.

وكان المجال الطبيعي لنشاط الإيطاليين الإستعماري هو شمال أفريقيا فإيطاليا من دول البحر المتوسط كما أن الإيطاليين لم ينسوا مجدهم التالد ـ يوم شملت الإمبرطورية الرومانية البحر المتوسط والدول الواقعة على شاطئيه فكان بمثابة بحيرة رومانية.

لكن احتلت فرنسا الجزائر في عام ١٨٣٠، ولذا اتجهت أنظار إيطاليا بدورها إلى (تونس) خاصة بعد الهزائم التي حلت بفرنسا في عام ١٨٧١ في حرب السبعين ـ لكن التردد كان طابع السياسة الإيطالية مما شجع فرنسا في عام ١٨٨١ لبسط نفوذها على تونس مما أثار غضب الإيطاليين ـ لكن فرنسا هدأت من روع إيطاليا ولوحت لها بأن اقليم طرابلس الغرب من الممكن أن يعوض إيطاليا عن أطماعها في تونس.

على أن التطورات السياسية وجهت السياسة الإيطالية وجهة أخرى. ففي يوليو عام ١٨٨٢ بعد ضرب الإنجليز للأسكندرية بمدافعهم شجعت إنجلترا إيطاليا للتعاون معهافي قمع الثورة العرابية وتردد وزير الخارجية الإيطالي في قبول هذا العرض، كما أن الدولة العثمانية أسرعت بعد سقوط تونس إلى إرسال تعزيزات منها لطرابلس الولاية العثمانية الأخيرة الباقية في شمال أفريقيا.

وكانت المنافسة بين إنجلترا وفرنسا قد وصلت إلى أشدها مما دعا انجلترا لأن تشجع إيطاليا على الإنضمام إليها في سياستها الإستعمارية والوقوف في وجه الفرنسيين.

ومن ثم شجعت الحكومة البريطانية الحكومة الإيطالية على بسط نفوذ إيطاليا السياسي على الساحل البحرالأحمر الغربي والتوغل منه غرباً في الساحل الأفريقي الشرقي.

وبدأ النفوذ الإيطالى فى شرق أفريقيا بالأستيلاء على (عصب) على ساحل البحر الأحمر وكانت هذه نواة لمستعمرة إرتريا الإيطالية.

وحاولت إيطاليا بعد ذلك الإنقضاض على الحبشة (إثيوبيا) فانتهزت الخلافات والتنازع بين رؤوس الحبشة للوصول للحكم فأيدت أحد المطالبين بالعرش (منليك)، ولما وصل للحكم عقدت معه معاهدة أوتشيالى (Uticialli) فى مايو ١٨٨٩، وقد حاولت إيطاليا أن تستغل هذه المعاهدة التى حُرفت بعض بنودها لبسط نفوذها على الحبشة لكن هزيمة جيوشها فى موقعه عدوة فى عام ١٨٩٦ أوقفت هذه الأطماع الإيطالية.

وكانت إيطاليا قد استطاعت فى عام ١٨٨٥ أن تمد نفوذها لمناطق فى الصومال والإتفاق مع الحكومة البريطانية على ضم ما عرف بالصومال الإيطالى.

وقد عاد الإيطاليون لتحقيق أطماعهم فى شمال أفريقيا وشجعهم على ذلك حالة الضعف التى وصلت إليها الدولة العثمانية فاستولوا على طرابلس فى عام ١٩١١ وأضطرت الدولة العثمانية للتنازل لهم عنها رسمياً بموجب معاهدة لوزان فى أكتوبر ١٩١٢م.

وقد خسرت إيطاليا مستعمراتها الأفريقية بعد الحرب العالمية الثانية حين دخلت الحرب فى صف المحور فكانت هزيمة المحور فى هذه الحرب إيذاناً بتصفية الوجود الإستعمارى الإيطالى فى أفريقيا.

* * *


إتحاد الرين
سويسرة
النمسا
سافوى
لمبارديا
البندقية
فيوم
مملكة سردينيا
كورسيكا
سردينيا
روما
مملكة
نابلى
صقلية
الوحدة الايطالية

خريطة شكل (٤)

ثالثاً: الاتحاد الألمانى وقيام الرايخ

عند قيام الثورة الفرنسية، وحروب بونابرت كانت ألمانيا مقمسة إلى أربعمائة ولاية تقريباً، ضم عدد كبير من هذه الولايات فى عهد الإمبراطورية البونابرتية حتى بلغ عددها ٣٨ ولاية أسس منها ماعُرف (باتحاد الراين).

ولاشك فى أن الألمان تأثروا بالثورة الفرنسية والمبادىء التى أعلنتها ـ لكن ترتب على هزيمة نابليون وتسوية فيينا (١٨١٥) أن عادت النمسا لتسيطر على مجريات الأمور بسياساتها الرجعية، وعلى ذلك فقد تقرر إقامة اتحاد عديم القيمة قوامه مجلس يسمى الديت (Diet) يتألف من مندوبين عن أمراء الولايات الـ ٣٨ للبحث فيما بينهم فى شئون دول الإتحاد، وكانت رئاسة المجلس للنمسا، وأتخذ الديت (فرانكفورت) مقراً له.

وكان طبيعياً أن تقوم فى ألمانيا مقاومة لهذا الحكم الرجعى تمثلت أول الأمر فى المثقفين وخاصة فى طلبة الجامعات الذين كونوا أندية الشباب التى عرفت باسم برشنشافت (Burochenschaft) وأصبحت هذه الأندية مراكز النشاط فى ألمانيا فى السنوات التى تلت تسوية فيينا.

لكن حين بدأ نشاط هذه الأندية يظهر اجتمع مترنيخ بأمراء ألمانيا واتخذوا ما عُرف بقرارات كارلسباد سنة ١٨١٩ وهى تقضى:

١ ـ بتقييد حرية الصحافة.

٢ ـ تشديد الرقابة على الجامعات.

٣ ـ منع الإجتماعات السياسية.

٤ ـ منع تكوين الجمعيات السياسية.

دور بروسيا فى تحقيق الأتحاد الألمانى:

لعبت بروسيا دوراً هاماً فى تحقيق الاتحاد الألمانى يشبه إلى حد كبير دور بيدمونت فى تحقيق الوحدة الإيطالية. وقد تحقق ذلك على مراحل:

١ ـ كانت الخطوة الأولى فى هذا المجال هى إعادة تنظيم بروسيا لشئونها الداخلية بعد الأحداث التى ترتبت على السيطرة الفرنسية المباشرة على هذه البلاد وذلك بقيادة ملك بروسيا (فردريك وليم).

٢ ـ تبع ذلك دعوة بروسيا عام ١٨١٨ لتكوين الإتحاد الجمركى. الزولفرين (Zolevrein) وتقوم فكرته على إلغاء الحواجز الجمركية بين الولايات الألمانية الداخله فيه، بحيث تحصل الرسوم الجمركية فقط عند دخول السائح حدود هذه الولايات لأول مرة. وتقسم الرسوم بين الولايات المنضمة للإتحاد بنسبة عدد سكان كل ولاية، وقد انضمت الولايات الألمانية بالتدريج إلى هذا الإتحاد حتى بلغ عدد أعضائه فى عام ١٨٣٦ ـ ٢٥ ولاية، وكانت هذه بلاشك خطوة هامة فى سبيل الإتحاد السياسى ـ فقد ترتب على هذا الإتحاد إدماج المصالح الإقتصادية للولايات الألمانية كلها، كما أن استبعاد النمسا من الإتحاد أدى فى النهاية لعزلتها السياسية، وساعد ذلك على ظهور بروسيا أكثر فمهد للدور الرئيسى الذى ستقوم به مستقبلاً.

٣ ـ مؤتمر فرانكفورت:

كان لثورة سنة ١٨٤٨ فى فرنسا صداها فى ألمانيا، فقد دعا الأحرار فيها لعقد مؤتمر فى فرانكفورت يحضره ممثلون لجميع المجالس النيابية، وقرر هذا المؤتمر إقامة (إمبراطورية اتحادية) على رأسها إمبراطور ألمانى يتولى الحكم بنظام الوراثة، تعاونه وزارة مسؤلة أمام مجلس نيابى يُنتخب

بالتصويت العام وعرض عرش الأمبراطورية على ملك بروسيا (فردريك وليم الرابع) بعد موافقة ٢٨ ولاية على ذلك ـ لكن الملك رفض هذا العرض لعدم إجماع كل الولايات عليه، كما أن النمسا التى أستبعدت من الجمعية بحكم أنها من أجناس مختلفة غير الجنس الزلمانى وضعت العراقيل فى سبيل نجاح المؤتمر، على أن أخفاق هذه المحاولة لم يعن إنسحاب بروسيا من الميدان فقد رتب القدر لها شخصية قوية لا تقل كفاءة عن شخصية كافور رئيس وزراء إيطاليا هو بسمارك الذى خطط بحكمه وكفاءة لتوحيد ألمانيا.

٤ ـ دور بسمارك فى تحقيق الأتحاد الألمانى:

رسم بسمارك سياسته على أساس:

أ ـ إعداد الجيش البروسى للحرب والإعتماد الكلى عليه.

ب ـ العمل على كسب الدول المجاورة إلى جانبه فى نضاله مع النمسا أو على الأقل وقوفها على الحياد فى هذا الصراع.

ولتحقيق هذا الهدف ساند روسيا فى إخماد الثورة البولندية فكسب وقوفها على الحياد فى النزاع المقبل مع النمسا، كما أتصل بالإمبراطور نابليون واتفق معه على وقوف فرنساعلى الحياد فى النزاع المقبل مع النمسا مقابل حصول فرنسا وبلجيكا أو لكسمبرج، وكذل اتصل بإيطاليا لنفس الهدف مقابل حصولها على البندقية.

وتفرغ بسمارك بعد ذلك لتحقيق اتحاد المانيا، وقد تم ذلك كما ذكر هو «بالحديد والدم» وعلى مراحل.

مراحل تحقيق الإتحاد الإلمانى:

١ ـ مشكلة شلزويج ـ هولشتين (الحرب ضد الدانمرك):

شلزويج، وهولشتين مقاطعتان المانيتان لكنهما كانتا خاضعتين من زمن للتاج الدانمركي، فلما توفي ملك الدانمركي فردريك السابع عام ١٨٦٣ طالب الألمان باستعادة الولايتين، واضطرت بروسيا والنمسا إلى انتزاعهما بالقوة ونجحا في ذلك فقامت بروسيا بإدارة شلزويج، بينما قامت النمسا بإدارة هولشتين ـ لكن النمسا شجعت أحد الأمراء الألمان للمطالبة بعرش الولايتين فانتهزت بروسيا الفرصة وأعلنت الحرب على النمسا عام ١٨٦٦ وانتصر الجيش البروسي في موقعة سادوا (١٨٦٦).

لكن بسمارك أسرع بحكمته بعقد (صلح براغ) مع النمسا، وأعقب ذلك إنضمام الولايات الألمانية في الشمال إلى بروسيا، ولم يشأ بسمارك أن يُرغم الولايات الجنوبية لتسلك نفس السبيل ـ لكنه سلك سبيلاً آخراً، فقد عمد إلى نشر المراسلات السابقة بينه وبين نابليون الثالث إمبراطور فرنسا والتي توضح أطماع الأمبراطور الفرنسي في الولايات الجنوبية مما دفع هذه الولايات للترحيب بالدخول في تحالف عسكري مع بروسيا للتعاون في حالة حدوث اعتداء فرنسي على أي من الطرفين.

٢ ـ الحرب السبعينية (مع فرنسا):

كان بسمارك يدرك أن فرنسا لن ترتاح لتكوين إتحاد قوى على حدودها ولذلك فإن الحرب معها لا محالة قادمة ـ لكنه كان يتحين الوقت المناسب لذلك ـ وقد حانت الفرصة المناسبة فعلاً في عام ١٨٦٩ حين قامت ثورة في أسبانيا، واختار الثوار أخذ الأفراد من الأسرة الحاكمة في بروسيا ليتولى العرش مما أثار مخاوف فرنسا إذ سيترتب على هذا أن تصبح الأسرة الألمانية صاحبة النفوذ على الحدود الشرقية والحدود الجنوبية لفرنسا، ولذلك كلف السفير الفرنسي بأن يحصل من ملك بروسيا

على وعد بألا يقر قبول الأمير البروسى للعرش الأسبانى ـ وانتهز بسمارك هذه الفرصة لإثارة مشاعر الفرنسيين فأذاع أخبار البرقيات المتبادلة فى هذا الشأن بشكل يوحى بأن السفير الفرنسى تلقى رداً مهيناً من الملك البروسى فأسرع الإمبراطور نابليون الثالث بإعلان الحرب على بروسيا.

وكان هدف بسمارك ـ وقد تحقق فعلاً ـ أن تنفذ الولايات الجنوبية شروط تحالفها مع بروسيا بإعتبار فرنسا مبتدئة بالعدوان على بروسيا وانتهى الأمر بهزيمة الجيش الفرنسى وعلى رأسه الإمبراطور نفسه فى معركة سيدان (Sedan) ١٨٧٠، كما هزم جيش فرنسى آخركان متحصناً فى ميتز (Metz) ـ وفى يناير ١٨٧١ اضطرت فرنسا للتسليم وعقد (صلح فرانكفورت) مع بروسيا فى مايو ١٨٧١ ـ ويقضى:

أ ـ تأخذ بروسيا ميتز واستراسبورج، والألزاس اللورين من فرنسا (مناطق على الحدود الفرنسية الألمانية تسكنها عناصر يتكلم بعضها الألمانية).

ب ـ فرضت على فرنسا غرامة حربية.

٣ ـ إعلان قيام الإتحاد الألمانى ـ وتأسيس الرايخ:

فى ١٨ يناير ١٨٧١ وقبل توقيع (معاهدة فرانكفورت) أعلن فى بهو المرايا بقصر فرساى بفرنسا قيام الرايخ الألمانى، وقدم ملك بافاريا وهى كبرى الولايات الألمانية الجنوبية ـ التاج الأمبراطورى إلى ملك بروسيا ـ ويقضى هذا الإعلان:

أ ـ بقيام إمبراطورية اتحادية تضم ولايات المانيا المختلفة.

ب ـ تتمتع كل من هذه الولايات بحكم محلى.

جـ ـ تقوم حكومة مركزية اتحادية فى العاصمة ـ تختص بالمصالح السياسية والحربية والإقتصادية المشتركة للولايات.

د ـ تتكون الحكومة المركزية من سلطة تنفيذية على رأسها الإمبراطور والمستشار الألمانى، وسلطة تشريعية تضم مجلسين ـ مجلس الريشيستاج (Reichistag) وينتخب أعضاؤه بالأقتراع العام، مجلس البندسرات (Bundessrath) وهو يضم ممثلين من الأمراء عن الولايات المختلفة.

وهكذا يمكن أن نجد بعض أوجه الشبه وبعض أوجه الخلاف بين حركة الوحدة الإيطالية والإتحاد الألمانى منها:

أ ـ لعل بيدمونت زعيمة الوحدة الإيطالية تُشبه بروسيا زعيمة الوحدة الألمانية.

كما أن كافور يشبه بسمارك، كما أن النمسا كانت العدو الرئيس فى الحالتين.

ب ـ لكن هناك إختلافات رئيسية ـ فبينما كانت قوة بروسيا العسكرية كبيرة، لكن بيدمونت لم تتوفر لهامثل هذه القوة، وأضطرت للإستعانة بجيوش أجنبية (الجيوش الفرنسية) لمعاونتها ضد النمسا.

لكن بروسيا ـ اكتفت بموقف الحياد بين الدول المجاورة فى نضالها ضد النمسا.

جـ ـ كذلك اختلفت النتيجة فى كل من الحركتين فقد انتهت حركة الوحدة الإيطالية إلى قيام وحدات ذابت فيها شخصية الوحدات السياسية الأخرى ـ أما فى ألمانيا فقد أدت الحركة فى النهاية إلى قيام اتحاد بحيث احتفظت كل ولاية بحكمها المحلى مع ايجاد حكومة مركزية للإتحاد تتمثل فى الإمبراطور والمستشار الإمبراطورى والمجالس الإتحادية.

٤ ـ مشكلات ما بعد الإتحاد:

أ ـ مع فرنسا:

رغم أن بسمارك نجح فى تحقيق الإتحاد عن طريق الحرب ـ لكنه اتجه بعد ذلك إلى (السلام) فقد أدرك أن ألمانيا فى حاجة ماسه إلى السلام للإحتفاظ بما حققته من نصر والتفرغ بعد ذلك لإصلاح الأحوال الداخلية ـ لكن أدرك بسمارك أنه ليس من السهل على الفرنسيين بالذات أن ينسوا الهزيمة التى مُنيت بها جيوشهم ـ لذلك كان لابد أن يفكروا فى الثأر والإنتقام ـ ولكى يصرف بسمارك أنظار الفرنسيين عن الإنتقام ـ شجع فرنسا على الإنغماس فى حروب إستعمارية خارج أوروبا، كما سعى لعزل فرنسا سياسياً عن سائر الدول الأوروبية فحال دون دخولها فى أحلاف بينما سعى هو لتكوين أحلاف مع الدول الأخرى لتأمين وتقوية مركز ألمانيا ـ وقد أدت هذه السياسة فى النهاية إلى إنقسام أوروبا إلى معسكرين متعادين، وظهر ذلك بوضوح فى الحرب العالمية الأولى كما سنوضح بعد.

ب ـ المسألة الشرقية ومؤتمر برلين (١٨٧٨):

لعب بسمارك دوراً هاماً حين برزت من جديد المسألة الشرقية فى عام ١٨٧٥ بسبب علاقات تركيا بالولايات الخاضعة لها فى البلقان، فحين ثارت هذه الولايات ضد الأتراك وتدخلت روسيا فى جانب تركيا بينما ساندت بريطانيا تركيا ـ دعا بسمارك لعقد مؤتمر فى برلين فى يونيو ١٨٧٨ للبحث فى المسألة الشرقية وانتهى المؤتمر بمعاهدة برلين فى يوليو ١٨٧٨.

جـ ـ سياسة الأحلاف:

اتجه بسمارك لتقوية ألمانيا ـ كما ذكرنا ـ عن طريق دخولها فى

أحلاف مع دول ترتبط معها بسياسة موحدة، ففى عام ١٨٧٩ تألف الحلف الثنائى الألمانى اليسارى، وفى عام ١٨٨١ تجدد ما عرف «بتحالف الأباطرة الثلاثة» ـ إمبراطور المانيا ـ وإمبراطور النمسا ـ وقيصر روسيا ـ فقد اتفق ثلاثتهم على أنه فى حالة اشتباك إحدى الدول الثلاث (المانيا، روسيا، النمسا) فى حرب مع دولة رابعة تعمل الدولتان الأخريان على حصر النزاع فى أضيق نطاق.

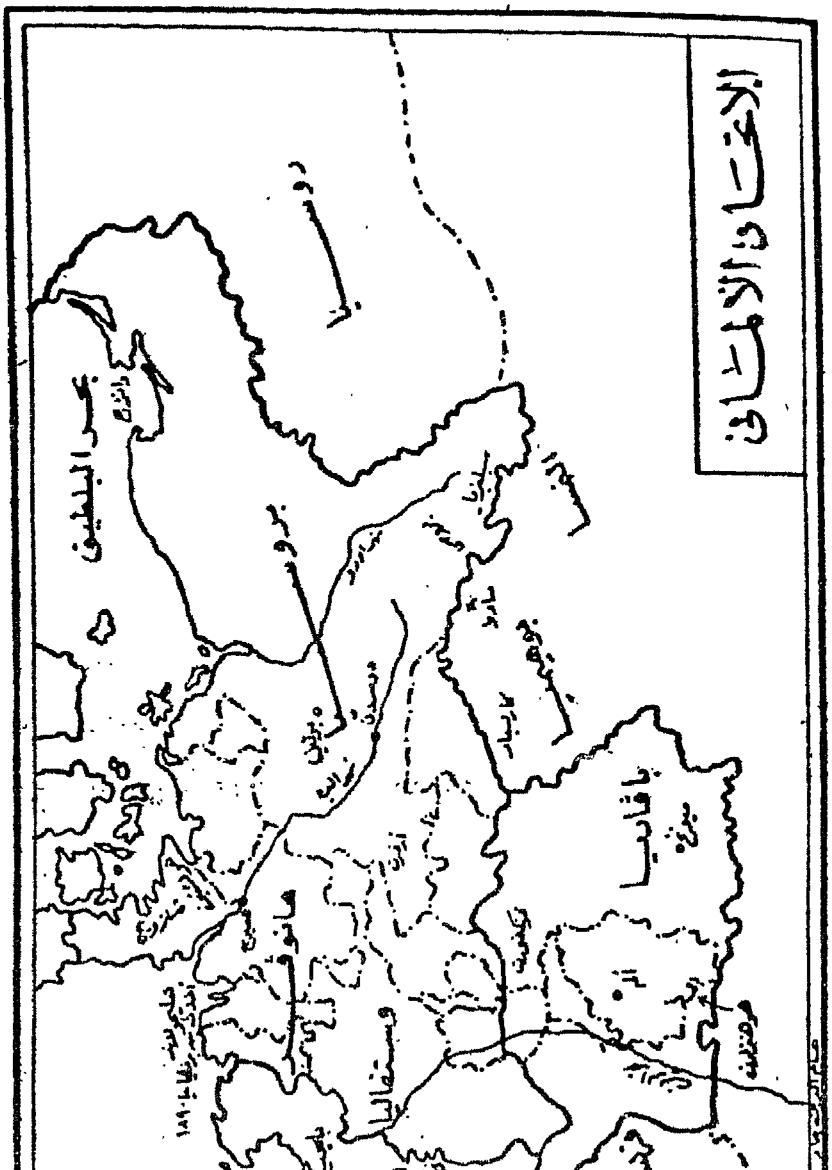
هذا وفى ١٨٨٢ دخلت المانيا والنمسا وإيطاليا فى حلف ثلاثى وأبرمت الدول الثلاث معاهدة تقضى بأن تقدم كل دولة يد المساعدة إلى حليفتها إذا هوجمت من دولة أخرى.

د ـ بسمارك والإستعمار:

ظل بسمارك حتى عام ١٨٨٤ وهو يرفض نداءات التجار والرحالة والمستكشفين للمشاركة فى الإستعمار فى أفريقيا بالذات ـ لكن لم يلبث أن تغير الوضع وكان بسمارك هو الذى دعا لمؤتمر برلين (١٨٨٤ ـ ١٨٨٥) الذى أشعل نار التطاحن الإستعمارى فى القارة الأفريقية.

ويختلف المؤرخون فى تفسير هذا التغيير الذى طرأ على سياسة بمسارك والذى انهى بتكوين مستعمرات ألمانيا فى شرق أفريقيا، وفى جنوب غرب القارة، وفى غربها (الكاميرون، وتوجولاند).

هكذا حقق بسمارك بسياسته الأوروبية هدفه فى تقوية مركز ألمانيا وفرض العزلة على غريمتها فرنسا ـ كما أدت سياسته فى أفريقيا فى النهاية لمولد الإمبراطورية الألمانية ـ على أن دور هذا السياسى البارع انتهى حين أقاله الإمبراطور الألمانى ولهلم الثانى فى عام ١٨٩٠ ـ وبافول نجمه السياسى تطوى صفحة فى تاريخ ألمانيت بل أوروبا السياسى.



خريطة شكل رقم (٥)

رابعاً ـ الثورة الصناعية فى أوروبا ونتائجها

بدأت الثورة الصناعية فى أوروبا فى القرن الثامن عشر، وتطورت بعد ذلك طوال هذا القرن والقرون التالية، وتبع هذا تطور فى معدلات الإنتاج الأوروبية ذاتها بل وعلى علاقات الدول الأوروبية بالدول الأخرى. ولم يبدأ هذا الإنقلاب فى كل الدول الأوروبية فى وقت واحد فقد سبقت إنجلترا دول أخرى ـ وسنحاول أن نعطى صورة عن هذا التطور فى بعض الدول الأوروبية الهامة ونتائجه.

الثورة الصناعية فى إنجلترا

كانت إنجلترا أسبق دول أوروبا فى النهضة الصناعية، ولعل سبق إنجلترا فى ميدان الصناعة يرجع لأسباب عدة منها:

١ ـ موقعها الجغرافى:

فبعد كشف أمريكا سنة ١٤٩٢، وكشف طريق رأس رجاء الصالح سنة ١٤٩٨ أصبحت لإنجلترا أهمية خاصة بحكم موقعها الممتاز فى طريق التجارة مع أمريكا والشرق.

٢ ـ الفتح والإستعمار:

استولت انجلترا على المستعمرات الفرنسية والأسبانية خلال القرنين السابع عشر، والثامن عشر، فاتسع نطاق تجارتها، وأصبحت تستحوذ على خيرات هذه البلاد من المواد الخام، كما استحوذت على أسواقها التى تصرف فيها الفائض من إنتاجها.

٣ ـ توفر رؤوس الأموال:

تجمع لدى الإنجليز رصيد من المال نتيجة هذا النشاط التجارى

والإستعماري فأمكن إنشاء البنوك، فأنشيء بنك إنجلترا عام ١٨٩٤ وتطورت أعمال هذه البنوك وتشعبت فأصبحت تُشجع الأعمال الإقتصادية وتمول المشروعات الإنتاجية الكبرى.

٤ ـ العمالة المدربه:

تدربت طبقة من العمال المهرة في انجلترا بسبب تفرغ الإنجليز الطويل للصناعة، ولبعد انجلترا عن مخاطر الحروب، بالإضافة إلى هجرة كثير من العناصر المضطهدة في أوروبا ـ إبان الحروب الدينية ـ إلى إنجلترا فهاجر إليها عدد من الهجونوت الفرنسيين وغيرهم.

٥ ـ التطور الذى طرأ على أدوات الإنتاج في إنجلترا:

لقد ضعفت قبضة النقابات المهنية فى إنجلترا ـ إذا قيست بغيرها من الدول، وساعد على تطوير أدوات الإنتاج ووسائله فتقدمت الصناعات الإنجليزية تقدماً ملحوظاً وأصبحت مطلوبة فى الأسواق العالمية.

٦ ـ تشجيع الإختراع والتطوير فى مجال الصناعة:

ظهر عدد من الصناع ساهموا فى تطوير الصناعة وكان الرواج الإقتصادى حافزاً لمزيد من التفوق والتقدم.

٧ ـ تطوير الآلات:

كان قوة إكتشاف البخار وإستخدامه فى إدارة الآلات فاتحة عهد جديد فى الصناعة الإنجليزية ـ فقد اخترع توماس نيومان (Thomas Newman) الطلمبه البخارية الكابسة، ثم أستخدمها بعد ذلك جيمس وات (James Watt) فى إدارة الآت الغزل والنسيج التى كانت من قبل تعتمد عل الجُهد البشرى أو قوة الخيل.

وهكذا عُرفت الآلة الميكانيكية البخارية وطورت عد ذلك، فحين أخترعت الكهرباء حلت المحركات الكهربائية محل الآلا البخارية.

٨ ـ زيادة إنتاج الفحم:

كانت الحاجة ماسة لإستخراج الفحم اللازم لصهر الحديد، وقد ابتكرت عدة طرق لإستخراج الفحم فزاد إنتاجه زيادة كبيرة فانخفضت أسعاره وساعد ذلك على مضاعفة الإنتاج.

وحل البترول بعد ذلك محل الفحم فى إدارة الآلات، وظل ذلك حتى عُرفت القوة الذرية وأفستخدمت فى الصناعة ـ مما أدى لتطوير سريع فى الصناعة.

٩ ـ تطوير وسائل النقل:

كانت وسائل النقل فى إنجلترا حتى القرن الثامن عشر بطيئة ومتأخرة ـ بدأت حركة لإنشاء مئات من الطرق البرية، والقنوات المائية.

ولما تقدمت صناعة الحديد صُنعت قضبان حديدية لجر عربات النقل عليها بواسطة الخيول.

وتدرجت الفكرة إلى إستخدام قوة البخار، وكان اختراع ستفنسن للقاطرة البخارية فاتحة عهد جديد فُشيدت بين ليفربول ومنشستر فى عام ١٨٣٠ أول سكة حديدية فى العالم.

وانتشر بعد ذلك إستخدام السكك الحديدية بفضل تقدم العلوم الهندسية فأنشئت الكبارى فوق الأنهار، والأنفاق الطويلة فى جوف الأرض، وتطورت الفكرة بعد ذلك إلى إستخدام البخار فى النقل البحرى وأدى ذلك لتطور كبير فى طرق النقل.

الإنتاج الصناعى فى إنجلترا:

١ ـ من أهم الصناعات التى برزت فيها إنجلترا المنسوجات الصوفية حتى أصبحت تنتج منها كميات كبيرة وتنافس فى ذلك الدول الأخرى فى هذا المجال، ساعد على ذلك وفرة المادة الخام (الصوف)، وهجرة العمال المهرة فى مجال هذه الصناعات من فرنسا والأراضى المنخفضة وغيرها من البلاد الأوروبية.

٢ ـ تقدمت صناعة المنسوجات القطنية بعد تطوير آلات الغزل والنسيج وإستخدام الآلات البخارية لتحريك الآت الغزل والنسيج وغيرها من الآلات المستخدمة فى الصناعة.

٣ ـ كذلك تقدمت صناعات أخرى كالمنسوجات الحريرية وصناعة الزجاج والورق والدنتلا.

٤ ـ التعدين: نجح الإنجليز فى تحسين صناعة الحديد حتى أمكنها أن تفى بالحاجة الملحة فى صناعة الآلات. ثم عرفوا طريقة تحويل الحديد إلى صُلب بنفقات قليلة، وأدى التطور الذى حدث فى إستخراج الفحم اللازم لصهر الحديد ثم استخدم البترول تدريجياً مع الفحم وفيما بعد إستخدام الذرة كقوة محركة ـ إلى قفزة جديدة ميدان الصناعة.

النتائج التى ترتبت على الثورة الصناعية فى إنجلترا:

١ ـ أدت الثورة الصناعية إلى تغيرات تجوهرية فقد تتابع إنشاء المصانع الكبرى التى تقوم بالإنتاج الكمى (Mass Production)، وتطلبت سرعة الإنتاج وضخامته إستخدام عدد كبير من العمال للعمل فى هذه المصانع الكبيرة، وتركزت الصناعات الجديدة فى مناطق معينة خاصة فى مناطق الفحم أو غيرها كالمناطق القريبة من الموانى.

٢ ـ هجرة السكان: هاجر عدد كبير من الفلاحين وغيرهم إلى المدن الصناعية الجديدة ليعملوا فى المصانع التى تُدار بالآلات وترتب على هذا أن خسرت الزراعة عدداً كبيراً من الأيدى العاملة التى كانت تعمل بها فارتفعت أثمان المحصولات الزراعى.

٣ ـ مشاكل السكن: أدى التكدس فى المدن الجديدة إلى وجود مشكلة السكن وترتبت عليها عدة مشكلات فقد أصبح الآلاف من العمال ينامون فى حجرات أرضية لا تتوفر فيها الشروط الصحية وتتابعت المشكلات المتعلقة بهده الظاهرة.

٤ ـ مشاكل الأجور والعمالة: أدى تكالب العمال على العمل فى المصانع إلى إتجاه أصحاب المصانع ورؤوس الأموال لاستغلال الموقف للحصول على مزيد من المكاسب سواء عن طريق زيادة ساعات العمل أوالأجور المخفضة أو تفضيل إستخدام الأطفال والنساء بسبب إنخفاض أجورهم بالنسبة إلى أجور الرجال خاصة أن الآلات الجديدة جعلت الأمر لايستلزم العضلات القوية وأدى هذا للبطالة بين الرجال والصراغ الطويل بين العمال وأصحاب المصانع.

٥ ـ النظام الرأسمالى: لما كانت المصانع الضخمة تحتاج لرؤوس أموال كبيرة ـ فقد ترتب على هذه الثورة الصناعية تدعيم للنظامى الرأسمالى.

٦ ـ ظهور نقابات العمال: أدرك العمال ألا أمل لتحسن أحوالهم ومواجهة جشع أصحاب الأعمال إلا بتنظيم صفوفهم فى نقابات تجمع شملهم وتُساندهم وتطالب بحقوقهم فى تحديد ساعات العمل وزيادة الأجور، ومكافحة البطالة، ووضع أساس عادل لإستفادة العمال إلى جانب أصحاب المصانع من المكاسب التى تحققها المصانع ـ ورغم مقاومة

أصحاب المصانع فى البداية فقد انتهى الأمر بالإعتراف الرسمى بنقابات العمال.

٧ ـ انتشار المذاهب الإشتراكية: ترتب على زيادة قوة الطبقات الكادحة والصراع بينها وبين الرأسمالية ـ ظهور مبادىء تنادى بضرورة تأميم موارد الثروة وإستخدامها جميعها لمصلحة الشعب عامة والعمال بصفة خاصة، وتختلف المبادىء الإشتراكية بين متطرفة تنادى بإلغاء الملكية الفردية للإنتاج تماماً، ومعتدلة تنادى بالسماح بالملكية الفردية على أن تحصل الدولة على نصيب كبير من الأرباح وتشرف فى نفس الوقت على إنتاج المواد الضرورية للحياة اليومية.

٨ ـ التسابق إلى الإستعمار: أدى الإنقلاب الصناعى إلى ظهور الحاجة الماسة للمواد الخام وللاسواق لتصريف الفائض من الإنتاج وكان المجال مفتوحاً فى أفريقيا بالذات وآسيا بالإضافة للعالم الجديد لتحقيق ذلك، وتنافست الدول الأوروبية ـ وانجلترا فى مقدمتها فى الميدان الإستعمارى وظهر ما أطلق عليه بالإستعمار الإقتصادى (Economic Imperialism) أى الإستعمار من أجل المواد الخام والأسواق.

٩ ـ الحركة الفكرية: ترتبت على إزدياد الثروة والمنافسة فى طريق الدعاية والنشر ـ إلى ظهور الجرائد اليومية والمجلات والكتب وتفتحت عيون الناس للمفاضلة بين الأنظمة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية المختلفة وإدى ذلك لحركة فكرية نشطة.

١٠ ـ إنشاء الشركات والمصارف: تكونت شركات كبرى لمزاولة أنواع مختلفة من الأنشطة ـ كشركات النقل والشركات الملاحية المختلفة كما تنوعت المصارف وأصبحت تزاول نشاطات متعددة ومختلفة لم يكن العمل المصرفى يمارسها ويغطيها من قبل.

١١ ـ الإصلاح النيابى: أدى تغير مناطق وكثافة السكان إلى خلق تجمعات سكانيــة جـديدة وبالتــالى تخلخلت مــدن كــانت فى الماضى مكتظة بالسكان، كما ظهرت أحزاب عمالية وغيرها، وأدى هذا إلى تدعيم دعائم الحكم الديمقراطى فى إنجلترا فى القرن التاسع عشر وتأهيل النظام البرلمانى الدستورى.

❀ ❀ ❀

الثورة الصناعية فى فرنسا

تأخرت فرنسا عن انجلترا فى مضمار التقدم الصناعى ويرجع ذلك لعدة أسباب:

١ ـ لم تلق الصناعة فى فرنسا ما لقيته فى انجلترا من الظروف المساعدة على قيامها كالسبق فى الإختراع، وتوفر رؤوس الأموال، والأيدى العاملة والأسواق التجارية فى المستعمرات.

٢ ـ تعرضت فرنسا فيما بين سنة ١٧٨٩، ١٨١٥ لثورات وحروب طاحنة شغلتها عن الإلتفات للنهضة الصناعية، على أن فرنسا بدأت بعد أن استقرت الأمور فيها منذ القرن التاسع عشر تهتم بالنهضة الصناعية بها.

قد تميزت النهضة الصناعية فى فرنسا بالتركيز على الصناعات المنزلية كصناعات العطور وأدوات التجميل وغيرها.

كذلك تميزت نهضتها الصناعية بأن أرباحها لم تتركز فى أيدى قلة من أصحاب رؤوس الأموال، بل عمت فائدتها فشملت أعداداً كبيرة من السكان، وإلى جانب ذلك فقد وجدت فى فرنسا الشركات الكبرى ـ كشركات السيارات، والأسلحة وغيرها وأصبحت تنافس الشركات الإنجليزية، والألمانية والأمريكية وغيرها.

خامساً ـ المسألة الشرقية

أطلق المؤرخون هذا التعبير على المشكلات المتعلقة بالدولة العثمانية وكان المقصود به فى البداية المشكلات المتعلقة بتهديد العثمانيين لأوروبا حين بدأ توسع العثمانيين فى أوروبا فأخذوا يطرقون أبواب أوروبا الشرقية ـ لكن توقف التوسع العثمانى بعد أن سقطت القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية فى أيديهم فى عام ١٤٥٣، كما بسطوا نفوذهم على شبه جزيرة القرم والبلقان وكانوا فى ذلك الوقت يطرقون أبواب فيينا.

واتجه العثمانيون بعد ذلك للشرق العربى ففتحوا الشام، ومصر وبلاد الحجاز واليمن والعراق كما مدوا نفوذهم لبلاد المغرب العربى باستثناء المغرب الأقصى (مراكش).

لكن دب الضعف فى الدولة الثعمانية فأصبحت أملاكها مطمع أنظار الدول الأوروبية الواقعة على حدود هذه الأمبراطورية، كما أن الحركة القومية التى اجتاحت أوروبا فى ذلك الوقت أدت إلى ثورة شعوب البلقان وغيرها من الشعوب الخاضعة للدولة مما فتح الباب لتدخل دول أخرى فى هذاالنزاع.

وهكذا أصبحت المسألة الشرقية فى هذه الفترة من تاريخ أوروبا المعاصر تعنى المشكلات المترتبة على أطماع الدول الأوروبية فى أملاك الدول العثمانية الضعيفة التى أطلق عليها تعبير (رجل أوروبا المريض).

وهكذا يمكن أن نرجع المسألة الشرقية ـ فى فترة دراستنا إلى ثلاثة عوامل:

١ ـ ضعف الدولة العثمانية رغم أملاكها الشاسعة فى ثلاث قارات هامة.

٢ ـ أطماع بعض الدول الأوروبية خاصة (روسيا، النمسا) فى أملاك هذه الدولة.

٣ ـ وقوف دول أوربية أخرى خاصة (إنجلترا، وفرنسا) فى وجه هذه الأطماع لاحرصاً على مصالح الأتراك لكن للرغبة فى عدم مشاركة أية

دولة أخرى منافسة بنصيب من أملاك الدول العثمانية إذا تعرضت هذه الإمبراطورية للتقسيم ـ ومن ثم كانت سياسة هذه الدول ٠ (الإبقاء عل يالوضع كما هو).

لكن لم تنجح سياسة إنجلترا وفرنسا فى المحافظة على الإمبراطورية العثمانية كما هى أمام أطماع النمسا فى أملاك الدولة فى البلقان، وأطماع روسيا فى مناطق القرم والمناطق المحيطة بالبحر الأسود ـ هذا بالإضافة إلى ظهور الحركات القومية بين الشعوب الخاضعة للعثمانيين.

فقد قامت ثورات فى الصرب فى عام ١٨٠٤ ومابعدها أضطر العثمانيون على أثرها لمنحها حكماً ذاتياً.

كما قامت ثورات فى اليونان عام ١٨٢٠ واستنجدت الدولة العثمانية بمحمد على والى مصر للمشاركة فى إخمادها ـ وأدى هذا لتدخل الدول الأوروبية وتحطيم الأسطول المصرى والعثمانى فى موقعة (نفارين) البحرية فى عام ١٨٢٧م.

وانتهزت روسيا هذه الفرصة لتحقيق أطماعها فشنت الحرب على العثمانيين وانتهى الأمر بعقد (معاهدة أدرنه) فى سبتمير عام ١٨٢٩ وبموجبها حصل اليونانيون على استقلال ذاتى، كما حصلت روسيا على مركز خاص فى اليونان.

كما انتهزت فرصة أخرى للتدخل فى شئون العثمانيين حين قامت حروب الشام بين محمد على والى مصر والسلطان العثمانى وحققت جيوش محمد على انتصارات باهرة على جيوش السلطان مما دعاه للإستنجاد بروسيا إثر تلكؤ انجلترا وفرنسا عن نجدته.

وإن كانت إنجلترا وفرنسا أسرعتا للتدخل حتى لاتنفرد روسيا وحدها بالعمل، وإن كانت القوات الروسية قد إضطرت للإنسحاب من الأراضى والمياه العثمانية بعد إنتهاء هذه الأزمة ـ لكن روسيا تقاضت ثمناً باهظاً لمساعدتها للسلطان.

فعقد العثمانيون مع تركيا فى يوليو ١٨٣٣ معاهدة للتحالف الدفاعى لمدة ثمانى سنوات هى هكيار سكلرسى (Unkiar Sklersi). ومن أهم ما تضمنته التزام العثمانيين بإقفال المضايق فى وجه السفن الحربية المعادية لروسيا.

على أن إنجلترا إتخذت خطوات مضادة حين وصلت لعلمها أخبار هذه المعاهدة بتقديم المساعدات العسكرية لتركيا للعمل على تقوية جيشها حتى لاتجد نفسها مضطرة لمساعدة روسيا ولضمان عدم تجديد معاهدة الدفاع الروسية التركية.

وكان موقف انجلترا إلى جانب تركيا حين تجدد النزاع بينهما وبين والى مصر محمد على فى عام ١٨٣٩ نابعاً من هذه السياسة، وانتهى الأمر بمعاهدة لندن عام ١٨٤٠ لتسوية المشاكل بين محمد على والسلطان وتلتها إتفاقية عام ١٨٤١ التى قضت بعدم سماح تركيا للسفن الأجنبة الحربية بإجتياز المضايق.

على أن المشكلات المتعلقة بالدولة العثمانية وإن كانت قد هدأت بعد ذلك لفترة منالزمن ـ لكن لم تلبث أن ثارت المشكلة من جديد وكان تحريكها من جانب روسيا التى لم تنس أطماعها فى أملاك الإمبراطورية العثمانية، والتى كانت تتحين الفرصة لمحاولة تحقيقها من جديد ـ وأدى هذا لقيام حرب القرم إذ كان ميدانها شبه جزيرة القرم.

حرب القرم:

فى أوائل عام ١٨٥٣ زثارت روسيا مشكلة تقسيم الإمبراطورية العثمانية من جديد، وعرضت على إنجلترا أن تأخذ من أملاك هذه الدولة مصر وكريت، وتترك للروس فرصة السيطرة على البلقان والمضايق - ولم توافق إنجلترا بالطبع على هذا العرض عملاً بسياستها ومراعاة لمصالحها.

وقد لجأت روسيا لأثارة المشاكل مع الدول العثمانية عن طريق آخر فطالبت تركيا بإمتيازات بشأن الأماكن المسيحية المقدسة فى القدس، وبحق رعاية مصالح المسيحيين الأرثوذكس فى الدولة العثمانية - ورفضت تركيا هذا التدخل فى شئونها.

وردت روسيا على هذا بإحتلال ولايتى موادافيا وولاشيا (البغدان والإفلاق) فى يوليو ١٨٥٣، وتدخلت إنجلترا وفرنسا فأرسلتا أسطولها فأجتاز الدردنيل فى الوقت الذى حطمت فيه روسيا قوة بحرية تركية فى البحر الأسود - مما دعا إنجلترا وفرنسا فى مارس ١٨٥٤م لإعلان الحرب على روسيا.

وأضطرت روسيا لإخلاء مقاطعتى مولدافيا، وولاشيا حتى لاتثير النمسا ضدها - وكانت للنمسا مطامع فى الولايتين - ولتحول دون إنضمامهاللحلفاء (إنجلترا، وفرنسا، وتركيا).

ونقل الحلفاء ميدان القتال لشبه الجزيرة القرم وتركزت المعارك حول قاعدة (سبستبول) البحرية، وطال حصار أساطيل الحلفاء لها وضغطت انجلترا وفرنسا على بيدمونت ووعدتها بمعاونتها على تحقيق الوحدة الإيطالية كما اشتد الضغط على النمسا وكانت أطماعها فى البلقان تتعارض مع أطماع روسيا.

والحقيقة أن النمسا لم تتدخل حربياً فى المعارك ـ لكن كان تهديدها لروسيا فى ديسمبر ١٨٥٥ بأنها ستتدخل إذا لم تجنح للصلح، بالإضافة إلى أن نجاح الحلفاء فى إقتحام قاعدة سبستبول كان كفيلاً بإنهاء الحرب.

شروط صلح باريس (١٨٥٦):

١ ـ تخلى روسيا عن المطالبة بحق حماية الرعايا العثمانيين الكاثوليك.

٢ ـ إلغاء الحماية الروسية على مولدافيا وولاشيا (التى قررتها معاهدة أدرنة ١٨٢٩).

٣ ـ حياد البحر الأسود.

٤ ـ حرية الملاحة فى الدانوب (وهذا الشرط كان لصالح إقتصاد النمسا).

ظهور المسألة الشرقية من جديد:

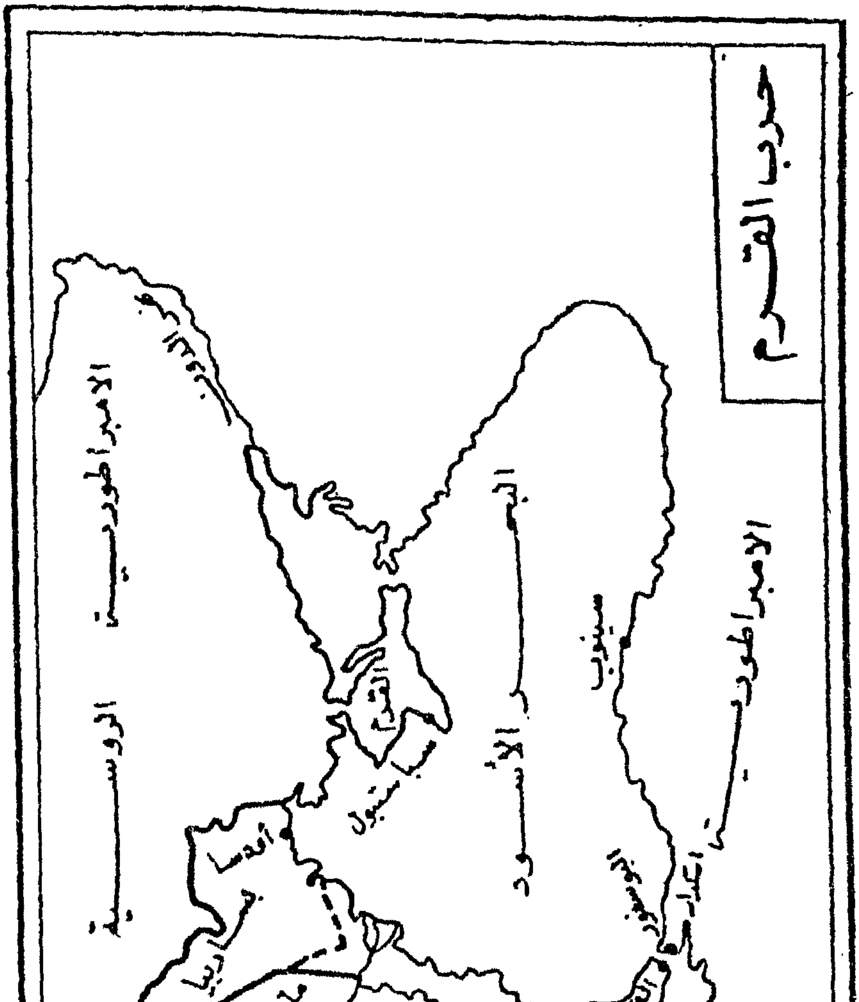
بدأت المشاكل مرة أخرى فقد ظهر أن معاهدة باريس (١٨٥٦) لم تنجح فى حل المشاكل المتعلقة بالبلقان ويرجع ذلك لعدة أسباب منها:

١ ـ نمو الحركة القومية فى دول البلقان التى حصلت على إستقلالها الذاتى وهى مولدافيا، وولاشيا (اتحدتا فيمابعد باسم رومانيا) والبحر الأسود.

٢ ـ تشجيع روسيا والمجر لهذه الحركات.

٣ ـ ظهور الصرب كدولة قوية وعملها لجمع العناصر الصربية فى البلقان تحت لوائها.

٤ ـ قيام الثورات فى ولايتى البوسنة والهرسك عام ١٨٧٥ بسبب ثقل الضرائب وسوء المحاصيل الزراعية (السبب المباشر للحرب).


حرب القرم
الإمبراطورية الروسية
البحر الأسود
سينوب
الإمبراطورية العثمانية
القرم
سباستبول
أوديسا
بسارابيا
ملدافيا
ولاشيا
البوسفور
القسطنطينية
الصرب

خريطة شكل (٦)

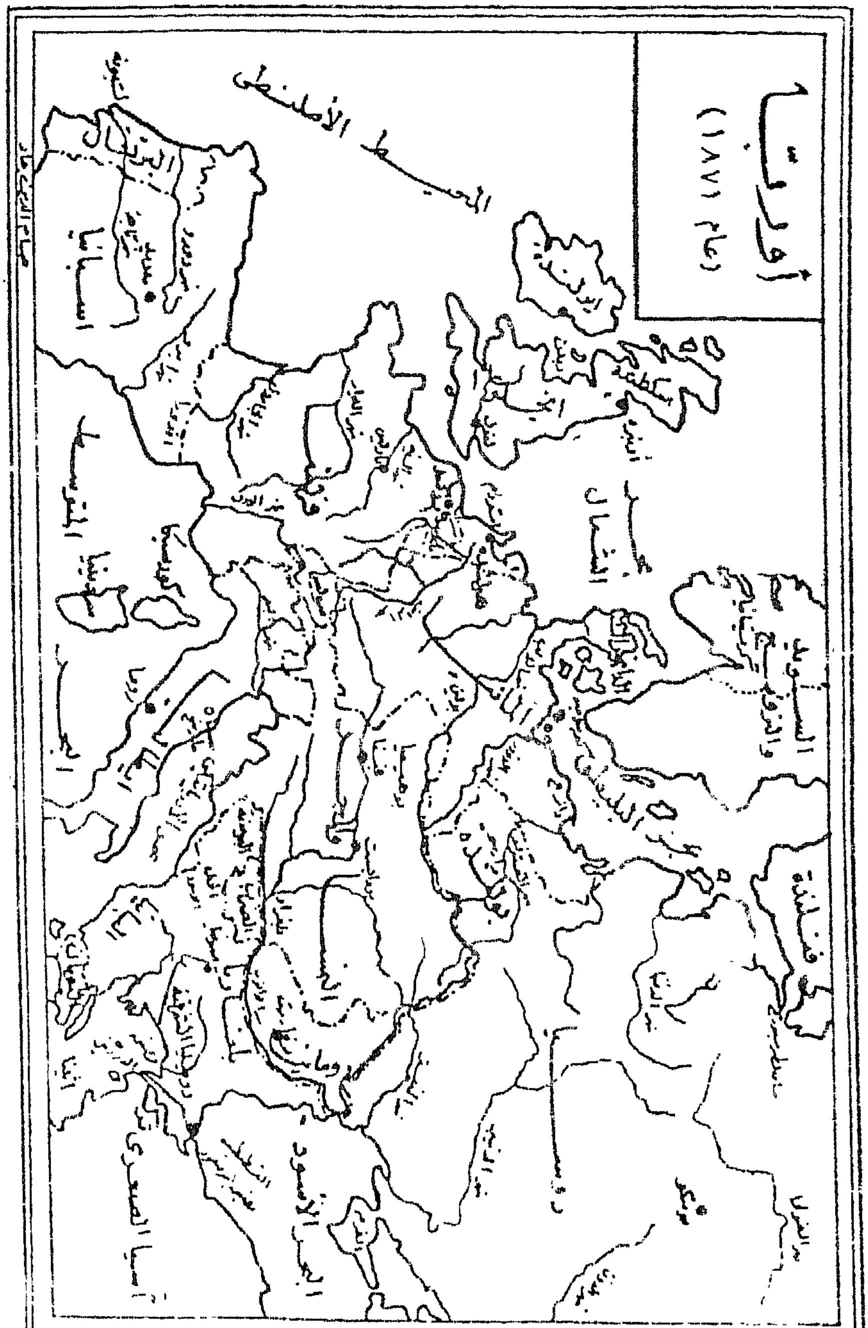
وانتهزت روسيا هذا الوضع فأعلنت أنها ستتدخل بمفردها إذا لم تتدخل الدول لتحقيق مطالب شعوب البلقان. كما أن النمسا وجدت فى هذه الثورات ثغرة لتحقيق أطماعها فى البلقان وفى مقدمتها أن تضع يدها على طريق يؤدى بها لبحر إيجة بالإضافة إلى أن إمبرطوريتها كانت تضم العديد من العناصر السلافية.

وكانت إنجلترا ترى أن مصلحتها أن تبقى الإمبراطورية العثمانية محتفظة بوحدتها حتى لاتعطى الفرصة لروسيا للوصول إلى المضايق.

وأمام تهديد روسيا بالتدخل بمفردها إذا لم تدخل الدول لتجبر السلطان العثمانى على تحقيق مطالب دول البلقان الخاضعة لسلطانه ـ عقد سفراء الدول فى أسطنبول مؤتمراً أصدروا إثره توصيات تقضى بإعطاء الولايات الثائرة الحكم الذاتى ـ وقبل السلطان هذه التوصيات ووعد بالعمل على تنفيذها.

لكن روسيا أرسلت قواتها عبر الأراضى الرومانية بموافقة حكومتها ووصلت هذه القوات فى أوائل عام ١٨٧٨ إلى سهل (أدرنه) وزحفت قرب أسطنبول.

وتدخلت الدول فأنذرت إنجلترا روسيا بإعلان الحرب ضدها إذا دخلت قواتها اسطنبول ـ وتحت ضغط هذه الظروف وقعت روسيا وتركيا معاهدة سان إيستيفانو فى مارس ١٨٧٨.



خريطة شكل رقم (٧)

وبمقتضى معاهدة سان استيفانو تقرر:

١ ـ تأخذ روسيا قارص، وباطوم من أراضى تركيا الأسيوية.

٢ ـ تمنح الصرب والجبل الأسود ورومانيا إستقلالها.

٣ ـ تمنح البوسنة والهرسك، وبلغاريا استقلالاً ذاتياً مع تعديل فى حدودها.

وهكذا لم يبق لتركيا فى البلقان بموجب هذه الإتفاقية سوى نفوذ بسيط فى بعض الجيوب المتباعدة، ولكى لاتنفرد روسيا بصلح منفرد طلب انجلترا والنمسا عقد مؤتمر دولى لبحث مشكلات البلقان.

وعُقد هذا المؤتمر فعلاً فى برلين فى الفترة من ١٥ يونيو إلى ١٥ يوليو ١٨٧٨.

وكانت أهم قرارات مؤتمر برلين ١٨٧٨:

١ ـ تأخذ روسيا قارص، وباطوم من تركيا.

٢ ـ تتولى النمسا إدارة البوسنة والهرسك.

٣ ـ تستقل رومانيا، والصرب، والجبل الأسدود.

٤ ـ تحترم شروط معاهدة باريس بشأن المضايق، وحرية الملاحة فى نهر الطونة، والبحر الأسود.

وقد انتهزت انجلترا هذه الفرصة فقعدت مع تركيا إتفاقاً سرياً يقضى بأن تساعد انجلترا تركيا فى حماية ممتلكاتها الأسيوية، على أن تعطى الأسطول البريطانى قاعدة فى جزيرة قبرص ليمكن تقديم هذه المعاونة لتركيا.

هذا على أن أطماع روسيا، وأطماع النمسا فى البلقان لم تنته بصلح برلين ١٨٧٨ وظل الوضع فى هذه المنطقة قلقاً حتى قيام الحرب العظمى الأولى.

❋ ❋ ❋

سادساً ـ التحالفات الدولية فى الفترة من ١٨٩٠ ـ ١٩٠٧

تميزت هذه الفترة التى تلت عزل بسمارك وإبعاده من ميدان السياسة الدولية بسلسلة من التحالفات الدولية ودفع إليها جو الريبة والخوف الذى ساد العلاقات الدولية ـ ومن أهم هذه التحالفات:

١ ـ التحالف الفرنسى الروسى (١٨٩٣):

رغم الإختلافات بين فرنسا بنظامها الديمقراطى الجمهورى وروسيا بنظامها القيصرى الإستبدادى ـ فإن المصالح المشتركة هى التى قادت فى عام ١٨٩٣ إلى تحالف الدولتين فقد كانت فرنسا تحتاج إلى حليف يخرجها من عزلتها التى فرضها عليها بسمارك، بينماكانت روسيا بحاجة إلى رؤوس الأموال الفرنسية للإستعانة بها فى تدعيم مشروعاتها وعلى الأخص شبكة مواصلاتها الحديدية (خط حديد سيبيريا)، هذا بالإضافة إلى أن روسيا نظرت للتحالف الألمانى النمساوى على أنه خطر على مصالحها فى البلقان، كما أن العلاقات الروسية البريطانية لم تكن طيبة خاصة بسبب تضارب مصالح الدولتين فى الشرق الأقصى ومنطقة آسيا الوسطى، كما أن الإمبراطور الألمانى ولهلم الثانى رفض تجديد المعاهدة التى سعى بسمارك لعقدها بين البلدين عام ١٨٨٧ بهدف تحقيق عزلة فرنساكما رفض تقديم القروض التى طلبتها روسيا.

لهذه الأسباب كلها لم يكن غريباً أن تنشد روسيا فى فرنسا حليفاً، وكانت المفاوضات قد بدأت بين البلدين من مدة حتى أمكن التوصل فى ديسمبر ١٨٩٣ إلى إتفاق يقضى بأن تقدم كل منهما المساعدة العسكرية للأخرى إذا تعرضت لهجوم من ألمانيا ـ وأعقب هذا الإتفاق زيارات متبادلة بين رؤساء كل من البلدين.

٢ ـ التحالف الإنجليزى اليابانى (١٩٠٢):

أدت سياسة المحالفات التى بدأها بسمارك والتى استمرت بعد إبعاده عن السلطة ـ إلى إنقسام أوروبا إلى معسكرين كبيرين روسيا وفرنسا وحلفائهما من جهة، وألمانيا وحلفائها من جهة أخرى ـ وشعرت إنجلترا بالذات بعزلتها وسط هذا التيار من المصالح والمحالفات، كما شعرت بخطر ظهور ألمانيا كقوة بحرية كبيرة منافسة لها فى بحر الشمال بالذات.

وكانت لإنجلترا مصالح فى الشرق الأقصى وكانت مضطرة للاحتفاظ بجزء كبير من أسطولها البحرى للدفاع عن هذه المصالح فى شرق أسيا.

فلما ظهرت اليابان كدولة قوية واستطاعت أن تنهض بسرعة لتجارى الدول الأوروبية الكبرى، وحققت انتصارات باهرة على الصين ووقفت فى وجه أطماع روسيا التوسعية فى شرق أسيا ـ تهيأت الظروف لعقد تحالف بين بريطانيا واليابان.

وفى عام ١٩٠٢ عقدت معاهدة بين الدولتين نصت على تبادل المساعدة العسكرية فى حالة مهاجمة دولة أوربية أخرى لإحدى الدولتين.

وقد قررت هذه المعاهدة موقف اليابان فى الحرب المرتقبة بينها وبين روسيا، كما أن هذه المعاهدة أخرجت بريطانيا من العزلة التى كانت تشعر بها وأتاحت لها فرصة سحب قواتها البحرية من مياه الشرق الأقصى لمواجهة المنافسة البحرية الألمانية فى بحر الشمال.

وعقب هذه المعاهدة نشبت الحرب بين روسيا واليابان أثر إستيلاء روسيا على منشوريا وتهديدها كوريا، وحققت اليابان فى الحرب

إنتصارات باهرة بينما لم تجد روسيا من حليفتها فرنسا معاونة رغم معاهدة ١٨٩٣ بين البلدين.

وتدخلت الولايات المتحدة الأمريكية لإنهاء الحرب الروسية اليابانية فعقدت معاهدة بين الطرفين فى عام ١٩٠٥ أعيد بموجبها ميناء (بورت أرثر) (Port Arthar) لليابان، وانسحبت روسيا من منشوريا التى أعيدت إلى الصين.

وكانت نتائج الإنتصار اليابانى على روسيا عديدة منها:

١ ـ وضح بجلاء ضعف روسيا، وقد هزت هذه الهزيمة سلطة القيصر الروسى فى بلاده فاندلعت الثورات فى كل مكان ضد هذا الحكم الإستبدادى.

٢ ـ إطمأنت بريطانيا على مستعمراتها فى الهند وتفرغت لمواجهة الخطر الألمانى.

٣ ـ اتضح لفرنسا ضعف روسيا، وعدم جدوى الإعتماد عليها كحليف فاتجهت لكسب ود بريطانيا، ومهد هذا لعقد الوفاق الودى بين الدولتين.

٣ ـ الوفاق الودى بين بريطانيا وفرنسا (١٩٠٤):

بعد التحالف الإنجليزى اليابانى عام ١٩٠٢ وإنتصار اليابان على روسيا فى حربها ـ تهيأ الجو لتصفية المشاكل المتعددة والمعقدة بين انجلترا وفرنسا والتى كشفت عن نفسها فى العديد من المواقف، منها حادث فاشوده (١٨٩٨) حين أرسلت فرنسا أحد ضباطها مارشان (Marchand) من مستعمراتها فى غرب أفريقيا.

وذلك لإتخاذ نقطة إرتكاز للفرنسيين على النيل، فأستقر فى فاشودة على النيل الأبيض فأسرعت انجلترا بإرسال أوامرها لكتشنر (Kitchener) القائد البريطانى للتقدم جنوباً وإجبار مارشان على الإنسحاب وتم هذا فعلاً مما اعتبرته فرنسا إهانة موجهة إليها.

لكن بعد أن وضح لفرنسا ضعف روسيا - أصبحت بحاجة لحليف قوى ، كما أن إنجلترا بدأت تخشى قوة ألمانيا البحرية، وروح العداء التى أبدتها ضد إنجلترا أثناء حرب البوير - ورأت هى الأخرى أن مصلحتها تقضى الوصول للإتفاق مع فرنسا عدوة ألمانيا فى ذلك الوقت.

وفى ظل هذا الجو من الشعور بحاجة الدولتين لتصفية ما بنيهما من مشاكل إجتمع ساسة الدولتين وانتهى الأمر بماعُرف بالوفاق الودى وبموجبه سويت الكثير من المشاكل بينْ إنجلترا وفرنسا فى آسيا وفى أفريقيا والأمريكتين.

وأهم ما نص عليه هذا الوفاق أن تمتنع كل من الدولتين عن إثارة المشاكل للدولة الأخرى فى مصر ومراكش فتترك فرنسا يد انجلترا حرة فى مصر بينما تترك انجانرا يد فرنسا حرة فى مراكش، وكانت فرنسا تعمل جادة فى ذلك الوقت لمد نفوذها للمغرب وهكذا كما قال أحد المؤرخين «تبودلت مصر والمغرب بين الدولتين كما تُتبادل السلع» - واشترطت إنجلترا ألا تقام فى المنطقة الشمالية المواجهة لجبل طارق أى حصون تهدد سلطة انجلترا فى جبل طارق.

هذا وكان هذا الوفاق بداية للتقارب الذى ساد العلاقات بين الدولتين فيما بعد خلال النصف الأول من القرن العشرين.

٤ ـ الوفاق البريطانى الروسى (١٩٠٧) :

بعد نجاح الوفاق الودى بين بريطانيا وفرنسا تهيأ الجو أيضاً لتصفية المشاكل بين بريطانيا وروسيا.

وكان هناك تحالف ـ كما رأينا بين روسيا وفرنسا، وشعرت روسيا بعد هزيمتها من اليابان بحاجتها للتعاون مع دولة أخرى فى الشرق الأقصى، وكان الخلاف بين انجلترا وروسيا على وجه الخصوص يرجع لتنازع الدولتين على النفوذ فى إيران وكانت انجلترا تُعلق على إيران أهمية بحكم قربها من مستعمرات بريطانيا فى الهند ولتوفر زيت البترول فى أقاليمها الجنوبية وحاجة انجلترا له كوقود لإسطولها.

وفى عام ١٩٠٧ وصلت الدولتان لإتفاق بمقتضاه تركت انجلترا شمال إيران مفتوحاً للنفوذ الروسى بينما كان الجنوب منطقة نفوذ بريطانية.

❀ ❀ ❀

سابعاً ـ الأزمات التى مهدت للحرب العالمية الأولى

تميزت السنوات التى سبقت نشوب الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤ ببروز بعض المشكلات الدولية، وكان فى الإمكان حل هذ الأزمات لولا العقلية العسكرية التى كانت تسيطر على سياسة الدول الأوروبية الكبرى، فقد شهدت هذه الفترة اندفاع الدول الأوروبية للتسلح، وحشد الجيوش خاصة بعد الدرس الذى تعملته هذه الدول من الحرب البروسية الفرنسية عام ١٨٧٠.

فقد كان انتصار بروسيا راجعاً قبل كل شىء للنظام العسكرى والقوة الحربية التى أعدت لمواجهة العدو الفرنسى.

هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه عن قيام التكتلات والأحلاف الدولية ـ ولذا فقد كان ساسة الدول وهم يتناولون المشكلات والأزمات التى برزت يدركون أن وراءهم جيوشاً مستعدة للقتال وتحقيق الأهداف بقوة السلاح، كما أن معهم حلفاء تربطهم اتفاقات ومعاهدات تلزمهم بتقديم العون والمساعدة عند اللزوم.

وأبرز الأزمات التى سبقت الحرب العالمية الأولى:

١ ـ أزمة مراكش عام (١٩٠٥):

ترجع هذه الأزمة لأطماع الفرنسيين فى المغرب الأقصى بعد أن مدوا نفوذهم إلى الجزائر فى عام ١٨٣٠ وتونس فى عام ١٨٨١.

وكانت فرنسا تمهد لمد نفوذها إلى مراكش عن طريق تدخلها فى شئون هذه البلاد بحجة المساهمة فى بعض الإصلاحات فى الجيش أو فى الميادين المدنية، وقد أطلق الوفاق الودى مع بريطانيا يد فرنسا فى هذه البلاد (مراكش) فأخذت تعمل عل تقوية نفوذها فيها.

وأثار هذا التقارب الإنجليزى الفرنسى وهذا الاتجاه الفرنسى - لتدعيم مركز فرنسا فى المغرب - ألمانيا.

وجاء رد الفعل الألمانى فى زيارة الإمبراطور وليم الثانى لميناء طنجه المغربى وأعلن الإمبراطور وهو على ظهر يخته مسانده المانيا للسلطان المغرب للإحتفاظ باستقلال بلاده بحيث لا تكون لأية دولة إمتيازات فى المغرب تهدد إستقلاله أو تهدد مصالح الدول الأخرى.

لكن لم تلبث أن تعقدت الأمور أكثر حين شاع أمر الإتفاق الفرنسى الأسبانى الذى عُقد بين فرنسا وأسبانيا أثر الوفاق الودى الإنجليزى الفرنسى والذى اتفقت فيه أسبانيا وفرنسا على مناطق نفوذ كل منهما فى المغرب فسمحت فرنسا لأسبانيا بإحتلال الجزء الشمالى من المغرب بينما إحتفظت هى لنفسها بالعمل فى الجنوب.

ولحل المشكلة اقترحت المانيا فى عام ١٩٠٥ عقد مؤتمر فى الجزيرة الخضراء (Algesiras) فى أسبانيا - ورغم معارضة فرنسا الشديدة فقد أضطرت للرضوخ وعُقد المؤتمر فى الفترة من ١٢ يناير إلى ٧ إبريل عام ١٩٠٦.

وكانت نتائج المؤتمر غير ما توقعته المانيا والمغرب - فقد تكتلت فرنسا وحليفاتها ولم تجد ألمانيا بجانبها إلا النمسا - وكانت قرارات المؤتمر - كما قال بعض المؤرخين آخر (مسمار فى نعش إستقلال المغرب) فقد قرر المؤتمر رغم ما جاء فى مقدمة قراراته من الإعتراف بإستقلال المغرب أن يعهد لفرنسا بالإشراف على البوليس والجمارك فى المناطق المطلة على المحيط الأطلسى بينما عُهد للبوليس الأسبانى يمثل هذا العمل فى المنطقة المطلة على البحر المتوسط - وهكذا حققت الدولتان بإعتراف الدول المجتمعة فى المؤتمر أهدافهما.

٢ ـ أزمة البوسنة والهرسك (١٩٠٨):.

ترجع هذه الأزمة إلى أن النمسا انتهزت فرصة ضعف تركيا، وإنشغالها بمشاكلها الداخلية نتيجة ثورة حزب الإتحاد والترقى على السلطان عبد الحميد، فأعلنت عام ١٩٠٨ ضم ولايتى البوسنة، والهرسك، وهما ولايتان تابعتان لتركيا عهد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ للنمسا بإدارتها.

وقد أثار هذا العمل الصرب فقد كان عدد كبير من سكان الولايتين من الصرب يطمعون فى معاونة روسيا وانجترا لهم ضد النمسا التى كانت تساندها ألمانيا فى موقفها هذا ـ لكن روسيا لم تكن فى موقف ملائم للمعاونة بعد حربها مع اليابان عام ١٩٠٥،كما أن انجلترا لم تشأ أن تدخل فى حرب مع النمسا أو ألمانيا من أجل هذه المشكلة ـ ولذا تمكنت النمسا من تحقيق أغراضها ـ لكن لم يحل هذا الإجراء الحربى الأزمة فقد أدى لإشتعال الروح القومية بين الوطنيين ـ كما أدى لزيادة التوتر الدولى.

٣ ـ أزمة مراكش الثانية (١٩١١):

انتهزت فرنسا بعض الإضطرابات التى حدثت بالمغرب عام ١٩١١ واستنجاد السلطان عبدالحميد بفرنسا لإخمادها ـ فأعدت العدة لبسط نفوذها على المغرب.

لكن ألمانيا لم تقف مكتوفة الأيدى فأرسلت طراداً حربياً إلى ميناء أغادير المغربى على المحيط الأطلسى بحجة حماية أرواح الألمان ومصالحهم فى هذه البلاد، وكان رد الفعل لهذه المظاهرة البحرية قوياً فى كل من فرنسا وإنجلترا وروسيا ـ وأضطرت ألمانيا فى النهاية لقبول العرض الفرنسى بأن تضم جزءً صغيراً من الكونغو الفرنسى إلى مستعمراتها فى الكاميرون فى مقابل عدم وضع العراقيل أمام فرنسا فى المغرب ـ وأعقب ذلك أن أجبر سلطان المغرب مولاى عبدالحفيظ على التوقيع فى ٣٠ مارس ١٩١٢ على معاهدة الحماية مع فرنسا.

٤ ـ أزمة سيراجيفو (Seragevo) (١٩١٤):

سبقت هذه الأزمة حروب البلقان بسبب إشتعال الروح القومية بين دول البلقان ومطالبتها بالإنفصال عن تركيا ـ وأدت هذه الحروب التى اشتعلت فى السنوات ١٩١٢، ١٩١٣، ١٩١٤، إلى أن أصبح البلقان مستودعاً للبارود، قابلاً للإنفجار فى أية لحظة نتيجة لتعارض مصالح الدول الكبرى فى هذه المنطقة.

وفى ٢٨ يونيو ١٩١٤ أغتيل الأرشيدق فرانتزفردينتد ولى عهد النمسا وزوجته أثناء زيارة رسمية لسرايبفو عاصمة البوسنة ـ اغتالهما طالبان من أهل البوسنة.

وبعد مضى أربعة أسابيع على الحادث أرسلت النمسا إنذاراً شديد اللهجة إلى حكومة الصرب ـ حملت فيه الحكومة الصربية مسئولية الجريمة.

وأرسل الإمبراطور النمساوى إلى الإمبراطور وليم الثانى إمبراطور المانيا ـ حليفه النمسا فى ذلك الوقت ـ يخبره بما اعتزمت النمسا القيام به للقصاص من صربيا، وكان رد الإمبراطور الألمانى بأنه يؤيد النمسا فى كل ما تزمع القيام به، وأنه يمكنها الاعتماد على مساعدة ألمانيا، وأنه على استعداد لخضوع غمار الحرب مع روسيا ذاتها إذا أقدمت على معاونة صربيا.

وقد عرضت حكومة بلغراد أن تعرض الأمر على محكمة لاهاى الدولية أو على مؤتمر للفصل فيها، لكن النمسا لم تترك مجالاً للتفاهم.

كما اقترح وزير خارجية انجلترا السير ادوارد جراى (E. Grey) الوساطة الدولية لحل المشاكل التى برزت على أن تتوقف العمليات العسكرية لإتاحة الفرصة للتوصل إلى تسوية ـ لكن لم تجد اقتراحات جراى أذاناً صاغية.

وفى ٢٨ يوليو ١٩١٤ أعلنت النمسا والمجر رسمياً الحرب على صربيا.

وبدأت الدول المختلفة تعلن الواحدة تلو الأخرى التعبئة العامة لجيوشها - وهكذا أفلت زمام الأمور من يد المعتدلين وانتقل إلى زمام العسكريين.

وبعد مضى أسبوع واحد على إعلان النمسا والمجر الحرب على صربيا كانت أربع دول فى حالة حرب هى المانيا - والنمسا - والمجرد ضد روسيا وفرنسا - وفى أغسطس ١٩١٤ أعلنت بريطانيا الحرب إلى جانب حليفتيها فرنسا وروسيا بينما أعلنت إيطالياورومانيا وتركيا فى البداية حيادها.

على أن موقف إيطاليا تحول من الحياد إلى الإنضمام للحلفاء فى مايو ١٩١٥ بعد أن وعُدت بأن تحصل بعد إنتهاء الحرب على أقاليم إيطاليا غير المنضمة لها، وعلى جزر الدوديكانيز فى بحر إيجه.

وقد دخلت تركيا الحرب متأخرة إلى جانب دول الوسط (المانيا وحلفائها).

أما اليابان فبمقتضى معاهدة التحالف بينها وبين انجلترا منذ ١٩٠٢ - شاركت فى تحمل عبء الدفاع عن المصالح البريطانية فى جنوب شرق آسيا مما أتاح لربيطانيا أن تركز قواتها البحرية تجاه غرب أوربا لمواجهة البحريةَ الألمانية.

وقد دخلت بلغاريا فى عام ١٩١٥ فى صف دول الوسط بينما دخلت رومانيا عام ١٩١٦ فى صف الحلفاء.

❋ ❋ ❋

ثامناً - الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)

(أحداثها ومعاهدات الصلح التى تلتها)

● **مسئولية الحرب:**

كان طبيعياً وقد تكبد العالم كل هذه الخسائر البشرة والمادية بسبب هذه الحرب الطاحنة التى زهقت فيها الآلاف من الأنفس وتحولت العديد من المبانى إلى خرائب وضاعت الملايين من الثروات هباءً - أن يثور التساؤل! على من تقع مسئولية الحرب؟

وقد وضع البعض مسئولية قيام الحرب على عاتق الصرب والمتطرفيين من الوطنيين فيها.

ويرى البعض الآخر أن على النمسا ووزير حارجيتها بالذات الكونت برشالو (Berchtold) الذى اتسم بضيق الأفق وقاد الإمبراطور النمساوى إلى أن يسلك مسلك العنف والإصرار على الحرب - تقع مسئولية الحرب.

ويرى البعض أن ألمانيا بتشجيعها للنمسا على المضى فى سياستها العدوانية هى مسئولة عن قيام الحرب، ولذلك اتهموها باقتراف هذه الجريمة - جريمة الحرب - ولذا فقد اتخذوا من هذه التهمة بعد هزيمة ألمانيا ذريعة لأن يفرضوا عليها ما شاءوا من شروط عند عقد الصلح فى فرساى.

أما البعض فيرى أن روسيا بتشجيعها مشروعات الصرب فى البلقان ومساندتها فى الأزمة الأخيرة أدت لاشتباكها مع النمسا.

وعلى الرغم من جهود السير إدوارد جراى وزير خارجية بريطانيا بمساعيه فى سبيل السلم فالبعض يرى أنه مسئول عن الحرب فلو أنه وضح بصراحة موقف انجلترا وأنها سوف تدخل الحرب ضد ألمانيا - إذا شتبكت هذه الأخيرة فى قتال ضد فرنسا أو روسيا - لربما ترددت ألمانيا عن الإستمرار فى غيها.

على كل تصعب بالطبع حصر المسئولية فى دولة بعينها فهناك عوامل متعددة ومصالح متضاربة تجعل مسئواية الحرب تقع على معظم الدول التى شاركت فيها.

● **أحداث الحرب:**

يمكن أن نقسم الحرب إلى فترتين

الفترة الأولى (١٩١٤ - ١٩١٦):

وضعت المانيا خطتها على أساس أن تقوم بهجوم خاطف ضد فرنسا فى الجبهة الغربية تنهى به الحرب فى هذه الجبهة لتتفرغ للجبهة الشرقية.

رتحاشت المانيا الإصطدام مباشرة بالتحصينات الفرنسية، وفضلت إختراق بلجيكا ومهاجمة فرنسا نفسها - لكن صمود بلجيكا لبعض الوقت أعطى الحلفاء فرصة الإستعداد والقيام بهجوم مضاد ضد الألمان فى معركة المارن (Marne) فى سبتمبر ١٩١٤ وأدى ذلك إلى تحول الحرب فى الجبهة الغربية إلى حرب خنادق، أما فى الجبهة الشرقية - فقد أنتصر الألمان على الروس فى موقعة تننبرج (Tannenberg) وصدوا الغزو الروسى. ولما دخلت تركيا الحرب إلى جانب دول الوسط فى أكتوبر ١٩١٤ شددت الضغط على الروس فى (جبهة القوقاز).

وفى عام ١٩١٥م قام الحلفاء بحملة الدردنيل المشهورة بقيادة ونستون تشرشل (W. Tcechurchill) بهدف تخفيف الضغط التركى على الروس ومنع الأتراك من الأستيلاء على قناة السويس، والضغط على دول البلقان لتنضم للحلفاء، لكن الحملة لم تنجح وإن كانت تركيا قد فقدت فى هذ الحروب عدد كبير من خيرة رجلها.

وفى عام ١٩١٦ قامت ألمانيا بهجوم عنيف فى منطقة فردن (Verdun) لتنشط الجبهة الفرنسية لكن ظل هذا الحصن الفرنسى فترة طويلة يقاوم، وحاول الحلفاء القيام بهجوم مضاد - لكنهم بدورهم تكبدوا خسائر فادحة فى موقعة نهر السوم (Somme) - وأعلنت رومانيا الحرب على دول الوسط وتمكنت هذه الدول من هزيمتها واحتلالها وبذلك وقعت فى أيديهم حقول بترول رومانيا الغنية.

وهكذا انتهت فترة الحرب الأولى لصالح دول الوسط.

الفترة الثانية (من ١٩١٧ إلى نهاية الحرب ١٩١٨):

١ - فرضت أساطيل الحلفاء حصاراً على شواطىء ألمانيا، مما أدى إلى أزمة فى المواد الغذائية فيها.

وقد ردت ألمانيا على ذلك بمحاولة فرض حصار على بريطانيا بواسطة غواصاتها، كما تعقبت المراكب التجارية لدول الحلفاء، وقد ردت بريطانيا على ذلك بإتباع نظام القوافل فقلل ذلك من خسائرها.

٢ - اتجهت ألمانيا فى عام ١٩١٧ إلى شن حرب الغواصات بدون قيود فأغرقت العديد من مراكب الدول المحايدة التى كانت تتعامل تجاريا مع الحلفاء، وقد أدى ذلك لإستيلاء الدول المحايدة، ودخول (الولايات المتحدة الأمريكية) الحرب فأعلنت الحرب على ألمانيا فى مارس ١٩١٧ وعلى النمسا فى ديسمبر من نفس العام.

٣ - وكان دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب نقطة تحول حاسمة فيها، فقد أمدت الحلفاء بقوة مادية وبشرية كبيرة، ورفعت من معنوياتها.

٤ ـ أصاب الحلفاء نجاحاً فى جبهة الشرق الأدنى، فقد بدأت بريطانيا غزو العراق، وقامت ثورة العرب الكبرى فى شبه الجزيرة العربية بزعامة الشريف حسين الذى أعلن استقلال الحجاز عن تركيا، وبدأ الهجوم البريطانى من مصر على فلسطين ودخلت جيوش اللنبى القدس فى ديسمبر ١٩١٧م.

٥ ـ قامت فى أكتوبر ١٩١٧ الثورة الإشتراكية فى روسيا بزعامة لينين، وتروتسكى وأدى إنشغال زعماء الثورة بإعادة تنظيم البلاد الداخلية إلى إنسحاب روسيا من الحرب وعقد معاهدة برست ليتوفسك (Brestltovesk) فى مارس ١٩١٨ مع الألمان.

وأدى خروج الروس من الحرب إلى تفرغ الألمان للحرب فى الجبهة الغربية ـ لكن دخول الولايات المتحدة بثقلها الميدان إلى جانب الحلفاء عوضهم عن هذه الخسارة.

٦ ـ بدأ الألمان فى مارس ١٩١٨ هجومهم الفاصل لوضع حد للحرب ـ لكن نجح الجنرال الفرنسى فوش (Foch) الذى توحدت قيادة الحلفاء فى شخصه فى الجبهة الغربية فى أن يبدأ معركة المارن الثانية فى ١٨ يونيو ١٩١٨ وأن يكسر حدة الهجوم الألمانى، وبدأ هجوماً مضاداً، وتوالت هزائم ألمانيا وتقهقرها، وفى ٢٦ سبتمبر ١٩١٨ تحطم خط التحصينات الألمانية المعروف (بخط هندنبرج) الذى قضى الألمان السنين فى تشييد قلاعه وأضطروا للإنسحاب من بلجيكا إلى داخل ألمانيا ذاتها بعد هجوم ساحق من قوات الحلفاء.

٧ ـ وبالمثل أصيبت دول الوسط بالعديد من الهزائم، وأخذت النمسا تُعانى من ثورات القوميات المتعددة التى كانت تبسط سلطانها عليها (التشيك، السلاف، المجر) واستطاعت إيطاليا أن تستأنف الهجوم ضدها فأضطرت لطلب الهدنة.

وفى نوفمبر ١٩١٨ كانت ألمانيا تقف فى مواجهة دول الحلفاء وحيدة مهزومة بعد أن استنزفت إحتياطها، وكانت مهددة هى نفسها بالغزو كما كانت الجبهة الداخلية قد إنهارت - ولم يكن أمامها هى الأخرى إلا طلب الهدنة.

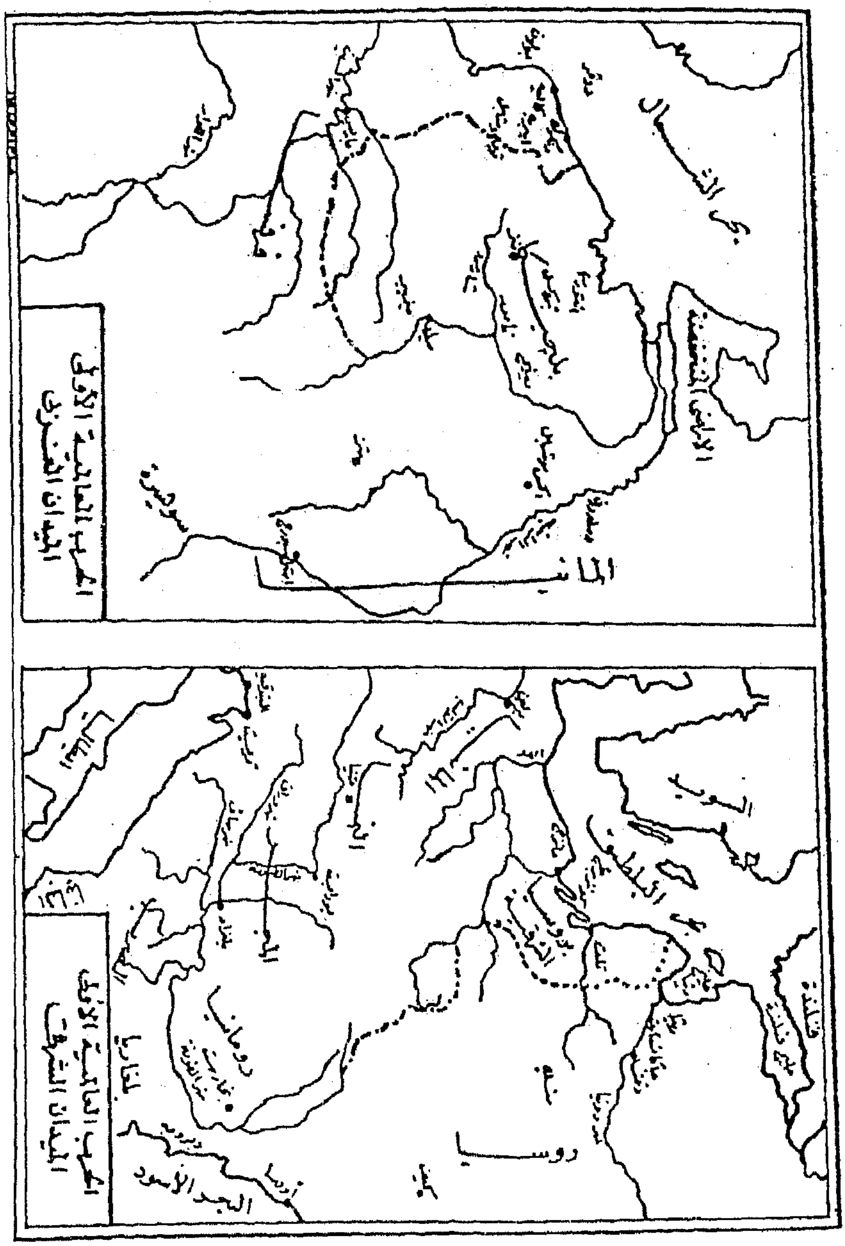
ويمكن أن نرجع النتائج التى إنتهت إليها الحرب إلى مايلى:

١ - أرهقت موارد ألمانيا الحربية والبشرية والمادية نتيجة لطول مدة الحرب والحصار البحرى الذى فرضته أساطيل الحلفاء على ألمانيا.

٢ - انهيار الروح المعنوية للألمان وحلفائهم وفقدان أى أمل فى النصر نتيجة ما أصاب الموارد المتعددة من إرهاق بينما استطاع الحلفاء تجديد مواردهم البشرية والإقتصادية خاصة بعد دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانبهم.

٣ - حركة العصيان والثورات وإنهيار الجبهة الداخلية نتيجة الأراء الثورية الجديدة التى عاد بها الأسرى الألمان من الجبهة الروسية بالإضافة إلى المبادىء الإشتراكية التى كانت قد أخذت تنتشر فعلاً داخل البلاد المساندة لألمانيا.

وهكذا حين طلب المسئولون الألمان الهدنة والصلح كان التمرد والثورة قد اندلعت فى برلين، بين بحارة الأسطول الألمانى وأفراد الجيش، وفى ٨ نوفمبر ١٩١٨ أعلن الأمبراطور الألمانى التنازل عن العرش وأعلن مستشار الدولة فردريك إبرت (F. Ebert) قيام الجمهورية فى ألمانيا - وفى ١١ نوفمبر ١٩١٨ أعلن قبول الهدنة ووقف القتال.



خريطة شكل (٨)

مؤتمر الصلح عام ١٩١٩

١ ـ مساعى الصلح:

بذلت جهود متعددة منذ اللحظات الأولى لإندلاع الحرب للسعى للصلح بين الأطراف المتنازعة ـ نذكر من هذه المساعى:

أ ـ مساعى الرئيس ويلسون (T. Wilson) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩١٤ للتوسط بين المحاربين ـ لكن هذه المساعى لم تأت فى البداية بثمارها لأن كلاً من الطرفين كان يريد أن يُملى شروطه من موقف القوة، ولم تكن الأطراف المتحاربة قد وصلت بعد إلى درجة من الإعياء تضطرها للإصغاء لعروض الصلح المقترحة.

ب ـ مساعى البابا بندكيت الخامس عشر (Bendictxv) فى عام ١٩١٤ لكنها لم تثمر.

جـ ـ فى ديسمبر ١٩١٦ تقدمت المانيا بمذكرة للولايات المتحدة تُبدى رغبتها فى حقن الدماء ـ وكانت ألمانيا فى ذلك الوقت قد حققت إنتصارات حاسمة فى كل الميادين، ولما لم تتضمن مذكرتها أية شروط محددة فلم ينظر إليها الحلفاء بعين الجد وأعتبروها مجرد محاول للتضليل وللتأثير على سير الحرب.

د ـ وفى ٨ يناير ١٩١٨ تقدم الرئيس الأمريكى ويلسون لمجلس الكونجرس الأمريكى بمبادئه الأربعة عشر للسلام وهى تقضى:

١ ـ علنية الاتفاقات والمعاهدات ورفض المعاهدات السرية.

٢ ـ الحرية الكاملة للملاحة فى البحار خارج المياه الإقليمية فى حالتى الحرب والسلم.

٣ ـ إزالة جميع الحواجز الإقتصادية وفتح باب التجارة لجميع الدول على قدم المساواة.

٤ ـ خفض التسلح إلى الحد الذى يكفل فقط الأمن داخل كل دولة.

٥ ـ تسوية المشاكل الإستعمارية للدول وفقاً لمصالح وحقوق سكان المستعمرات.

٦ ـ إخلاء الأراضى الروسية جميعها وإعطائها الفرصة للتقدم والنمو.

٧ ـ الجلاء عن بلجيكا وإعادة السيادة الكاملة لها.

٨ ـ الجلاء عن جميع الأراضى الفرنسية، وإعادة الألزاس واللورين لها.

٩ ـ تعديل الحدود الإيطالية بما يتفق والمطالب القومية.

١٠ ـ إعطاد حق تقرير المصير لشعوب النمسا والمجر.

١١ ـ الجلاء عن رومانيا، والصرب، والجبل الأسود، ومنح الصرب منفذاً على بحر الإدرياتيك، وتسوية العلاقات بين دول البلقان على أساس احترام الشعور القومى.

١٢ ـ منح الشعوب غير التركية الخاضعة للإمبراطورية العثمانية حق تقرير المصير، وفتح البسفور والدردنيل لجميع السفن.

١٣ ـ إقامة دولة بولندية مستقلة ومنحها منفذاً على البحر.

١٤ ـ إنشاء عصبة الأمم، تشترك فيها جميع الدول، لتعاون الحكومات على إقرار السلام، وحل المشكلات التى تطرأ بين الدول.

هـ ـ رغم قبول الحلفاء هذه المبادىء كأساس لمفاوضات الصلح ـ فقد رفضت المانيا الصلح على أساس ما تضمنته من الجلاء عن بلجيكا وإعادة الألزاس واللورين إلى فرنسا ـ ولذا انتهزت

فرصة إنسحاب روسيا من الحرب فى عام ١٩١٧ وشنت هجومها الكبير فى مارس ١٩١٨ لكن فشل هذا الهجوم وسقط خط دفاعها (خط هندينبرج)، وانسحب حلفاؤها الواحد بعد الآخر من الحرب - فاضطر الألمان لطلب الهدنة.

ولتهيئة جو صالح للمفاوضات تشكلت فى ألمانيا حكومة ديمقراطية جديدة برئاسة البرنس ماكس (Max)، وطلبت هذه الحكومة من الرئيس ويلسون العمل لإعاد السلام وتردد الألمان بعد ذلك حين علموا أن مطالب الحلفاء ليست قاصرة على وقف القتال لكنهم يشترطون إخلاء كل من بلجيكا وفرنسا، والألزاس واللورين، ولكسمبرج وإخلاء الضفة اليسرى للراين، كما يطلبون أن تسلم المانيا جزءاً كبيراً من عتادها الحربى، وتطلق سراح الأسرى من جنود الحلفاء، وأن تغير الأسرة الحاكمة بها فتستبعد عن العرش أسرة الهوهنزلون، وأن يستمر الحلفاء فى حصارهم البحرى لالمانيا.

لكن طلب كل من النمسا، وتركيا الصلح منفرداً - أجبر ألمانيا على الخضوع للأمر الواقع - فقبلوا الهدنة التى تحدد لها ٣٦ يوماً يعقبها عقد المؤتمرات لتحديد شروط الصلح.

٢ - مؤتمر الصلح:

بدأ مؤتمر الصلح أعماله فى باريس فى ١٢ يناير ١٩١٩ بحضور رؤساء حكومات، ووزراء خارجية الدول الأربعة العظمى المنتصرة فى الحرب وهى الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، وبريطانيا، وإيطاليا وأُنتخب كلمنضو (Clemenceau) رئيس وزراء فرنسا رئيساً للمؤتمر.

وتكونت عدة لجان ومجلس فرعية لدراسة القضايا أو المشاكل المتعددة التى كانت تواجه المؤتمر.

وأهم هذه المجالس:

أ ـ مجلس العشرة ـ ويتألف من رؤساء حكومات ووزراء خارجية الدول الأربعة العظمى، وقد قام هذا المجلس بإنجاز جزء كبير من معاهدة الصلح.

ب ـ مجلس الأربعة الكبار (الرئيس الأمريكى ويلسون، ورئيس وزراء بريطانيا لويد جورج، ورئيس وزراء فرنسا كلمنصو، ورئيس وزراء إيطاليا أورلندو) ـ وقد أتم هذا المجلس الصيغة النهائية لمعاهدة الصلح (معاهدة فرساى) التى وقعت عليها ألمانيا فى ٢٨ يونيو ١٩١٩م.

أما المؤتمر ا م يعقد قبل توقيع المعاهدة سوى ست جلسات ولذا فأعمال المجلسين السابق ذكرهما تعتبر أهم ما أنجز فى ذلك الوقت.

وقد واجهت المؤتمر عدة مشكلات منها:

إعادة تشكيل خريطة أوربا بعد الحرب، ومشكلة المستعمرات التى كانت خاضعة للدول المهزومة، ونظام الانتداب الذى اقترح لحل هذه المشكلة، ومشكلة عصبة الأمم المقترح إنشاؤها لحماية السلام العالمى، ومشاكل تتعلق بأستسلام ألمانيا والتعويضات المطلوبة منها عن خسائر الحرب التى تسببت فيها، ومشاكل تتعلق ببعض المناطق المتنازع عليها أو التى كانت دول الحلفاء والدول التى ساندتهم تتطلع إلى ضمها.

وقد انتهى الأمر بحل هذه المشكلات ـ كما تضمنتها معاهدة فرساى وذلك بالطبع بمحاولة تحقيق رغبات الدول المنتصرة.

٣ ـ معاهدات الصلح

توصلت دول الحلفاء إلى عقد عدة معاهدات مع الدول التى حاربت فى صف المانيا من أهمها:

معاهدة فرساى (Trealy of Versailles):

فى ٢٨ يونيو ١٩١٩ أضطر الألمان للتوقيع على معاهدة الصلح بشروطها التى أتفق عليها الحلفاء رغم احتجاجهم بأن هذه الشروط لم يسبق لها مثيل فى قسوتها وعدم عدالتها وفى فداحة الثمن الذى فرض على الألمان باعتبار مسئوليتهم عن قيام الحرب.

وأهم ما أشتملت عليه المعاهدة:

أ ـ تأسيس عصبة الأمم وميثاقها ووظائفها ـ فقد تضمنت هذه المعاهدة مبادىء إنشاء هذه المنظمة الدولية.

ب ـ رسم حدود المانيا ـ مع جيرانها ـ وتشكيل خريطة أوربا بعد الحرب.

جـ ـ وضع المستعمرات التى كانت خاضعة لألمانيا.

د ـ نزع السلاح الألمانى والضمانات التى اتخذت ضدها فى هذا السبيل.

هـ ـ محاكم الأفراد المتهمين بخرق القوانين والمعاهدات الدولية أو بإرتكاب جرائم ضد قوانين الحرب.

و ـ التعويضات:

وفيما يتعلق بعصبة الأمم (The League of Nations):

ترجع فكرتها للرئيس الأمريكى ويلسون الذى أصر على أن تتضمن التسوية إنشاء هذه المنظمة الدولية لصيانة السلام العالمى فى المسقبل.

وتقرر أن تتكون العصبة من :

أ ـ مجلس العصبة: من ١٥ عضواً منهم ثلاثة دائمون هم ممثلو بريطانيا، وفرنسا، وروسيا والباقون تنتخبهم الدول الأخرى بالتناوب ـ ومجلس العصبة هو اليهئة التنفيذية للعصبة ويجتمع أربع مرات فى السنة على الأقل، ومقره (جنيف) ويبحث المجلس فى أى نزاع قد يؤدى إلى أزمة دولية.

ب ـ الجمعية العمومية للعصبة: تتألف من ممثلين للحكومات المشتركة فى العصبة على ألا يزيد ممثلو كل حكومة عن ثلاثة أعضاء وهى بمثابة الهيئة التشريعية العليا للعصبة ولايصدر قانون إلا بعد إقرارها له ـ وتجتمع فى (جنيف) فى سبتمبر من كل سنة ولمدة شهر.

جـ ـ السكرتارية: وهم الموظفون الدائمون بالعصبة ويُشرف على أعمالهم السكرتير العام ـ ومقر السكرتارية أيضا جنيف.

د ـ اللجان الفنية: تشكل من فنيين متخصصين فى مختلف المجالات لتقديم المشورة الفنية.

هـ ـ هيئة العمل الدولية: تتألف من ممثلين عن كل حكومة بالإضافة للممثلين للعمال وأصحاب المصانع وذلك لبحث وسائل تحسين أحوال العمال فيما يتعلق بقوانين العمل، وساعات العمل والأجور، والتأمينات وغير ذلك.

و ـ محكمة العدل الدولية: هى استمرار ليهئة العدل الدولية التى أنشئت عام ١٨٩٩، ومهمتها فض المنازعات حسب القانون الدولى، وينتخب مجلس العصبة قضاتها، ومقرها (لاهاى).

تشكيل خريطة أوربا بعد الحرب

إعتبر الحلفاء المانيا - كما ذكرنا - مسئولة عن قيام الحرب فتقاضوا منها ثمناً باهظاً لذلك فيما انتزع منها من أراضى فى أوربا ومستعمراتها وما فرض عليها من تعويضات وضمانات حتى لاتعيد تسليح جيشها.

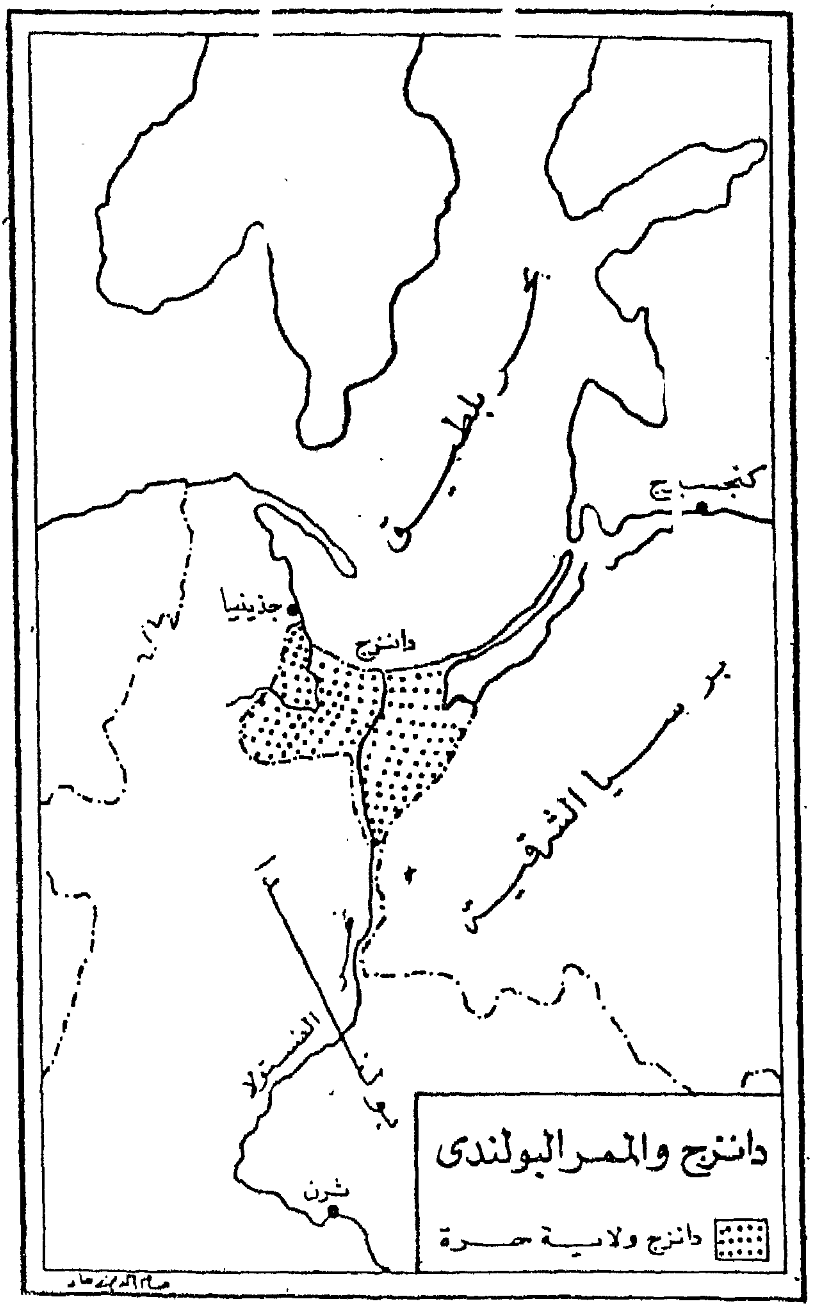
ففى الشمال - ضم شمال شلزويج التى كانت بروسياقد انتزعتها من الدانمرك إلى الدانمرك، كما أجريت تعديلات فى الحدود لصالح بلجيكا.

وفى الغرب - أعيدت الأليزاس واللورين الى فرنسا - كتعويض لفرنسا عما أصاب مناجم الفحم فى شمالها من خراب.

وتقرر أن تتنازل ألمانيا لفرنسا عن مناجم الفحم فى إقليم السار، وأما إقليم السار ذاته فقد أسندت إدارته إلى لجنة شكلتهاعصبة الأمم على أن يستفتى أهل الأقليم بعد ذلك لتقرير مصيرهم بأنفسهم ليقرروا الإنضمام لألمانيا أو إلى فرنسا أو بقاء النظام القائم فإذا قرر الأهالى الإنضمام لألمانيا عليها أن تشترى من فرنسا مناجم الفحم.

وفى الشرق - أجرى إستفتاء ضمت بموجبه سيليزيا العليا لبولندة وانتزعت بروسيا الغربية واقليم بوزن (Posen) وضم لبولنده لتنال بولنده ذلك الممر الذى يمكنها من الوصول إلى بحر الشمال (الممر البولندى) (The Polish Corridore)، وقد ترتب على ذلك فصل بروسيا الشرقية عن ألمانيا - وجعلت مدنية دانزيج (Danzig) عند نهاية الممر والمنطقة المحيطة بها مدينة حرة تحت حماية عصبة الأمم مع ارتباطها إدارياً مع بولندة - كما انتزع عن المانيا إقليم ميمل (Meml) وضم لدولة جديدة هى لتوانيا.

وأعترفت المانيا باستقلال تشيكوسلوفاكيا بالحدود التى تعينها الدول المتحالفة.



خريطة شكل رقم (٩)

وفيما يتعلق بالمستعمرات:

تقرر أن تحرم ألمانيا من جميع مستعمراتها، ولذلك بحث المؤتمر عدة مشروعات مقترحة لتقسيم هذه المستعمرات ـ لكن الرئيس ويلسون عارض مقترحات التقسيم واتفق فى النهاية على فكرة (الإنتداب).

وقد نصت المادة «٢٢» من ميثاق عصبة الأمم على أن يكون الإنتداب من ثلاثة أنواع تبعاً لدرجة تقدم السكان:

أ ـ انتداب من الدرجة الأولى ـ شمل الأقطار ـ التى كانت جزء من الدولة العثمانية ـ وواجب الدولة التى تتولى الإنتداب عليها مقصور على الإرشاد والمساعدة إلى أن تبلغ تلك الأمم مرتبة النضج السياسى الكامل وتتمتع بالإستقلال التام، فكانت العراق وشرق الأردن وفلسطين من نصيب انجلترا وسوريا ولبنان من نصيب فرنسا.

ب ـ انتداب من الدرجة الثانية ـ شمل المستعمرات الألمانية فى غرب وشرق أفريقيا فكانت أفرقيا الشرقية الألمانية (تنجانيقا) من نصيب بريطانيا، بينما قسمت توجو والكاميرون بين بريطانيا وفرنسا.

جـ ـ انتداب من الدرجة الثالثة ـ هذا النوع من الإنتداب لايختلف كثيراً عن النظام الإستعمارى القديم، وقد طبق على أفريقية الجنوبية الغربية التى عهد بإدارتها لإتحاد جنوب أفريقيا، وكذلك شمل جزر المحيط الهادى التى كانت تابعة لألمانيا التى وزعت بين اليابان، ونيوزيلندا واستراليا.

وفيما يتعلق بنزع سلاح ألمانيا:

نصت معاهدة فرساى على ألا يزيد الجيش الألمانى عن ١٠٠٫٠٠٠ جندى ورجال البحرية عن ١٥٫٠٠٠، وألغيت الخدمة العسكرية الإجبارية

العامة فى ألمانيا، وأغلقت جميع المدارس والمعاهد العسكرية، وحرم الإشتغال بالشئون العسكرية، وتقرر هدم جميع التحصينات، وحددت قوة ألمانيا البحرية بـ ٦ بوارج، ٦ طرادات خفيفة، ٧ كسحات ألغام، ١٢ زورق طوربيد، وحرمت ألمانيا من أن تكون لها قوات جوية، وتألفت لجان مراقبة من الحلفاء للإشراف على تنفيذ هذه المواد الخاصة بخفض التسليح.

كما تقرر أن يحتل الحلفاء الأراضى الألمانية غرب نهر الراين لمدة ١٥ عاماً لضمان تنفيذ بنود المعاهدة، على أن تخلى هذه الأراضى على مراحل، وفيما يختص بمحاكمة الأفراد المتهمين، بخرق القوانين والمعاهدات الدولية فقد أتهم الإمبراطور وليم الثانى إمبراطور ألمانيا السابق بعدم إحترام المعاهدات.

وطلب الحلفاء من هولندا تسليمه للمحاكمة ـ لكن رفضت هولندا ذلك، واقتصر الأمر على محاكمة بعض الأفراد على إرتكاب جرائم تتعارض وقوانين الحرب.

أما عن التعويضات:

فقد أعتبرت ألمانيا مسئولة عن الحرب وعن الأضرار الجسيمة التى نتجت عنها وتشكلت لجنة لتقدير هذه التعويضات وتقرر أن تدفع ألمانيا ٢٠ مليوناً من الماركات الذهب بصفة مبدئية إلى أن تصل اللجنة إلى قرار، وأن تسلم فرنسا سنوياً ولمدة عشر سنوات سبعة ملايين طن من الفحم، وتسلم بلجيكا ثمانية ملايين طن من الفحم سنوياً لمدة عشر سنوات أيضاً، وتسلم إيطاليا أربعة ونصف مليون طن.

معاهدات الصلح الأخرى:

وقع الحلفاء معاهدات صلح مع الدول الأخرى التى حاربت إلى جانب ألمانيا ـ وهى النمسا والمجر، وبلغاريا، وتركيا.

١ ـ معاهدة سان جرمان (Saint Germains):

عُقدت مع النمسا فى ١٠ سبتمبر ١٩١٩، وبها انكمشت إمبراطورية النمسا وتحولت إلى جمهورية صغيرة لايزيد عدد سكانها على ٦ مليون نسمة بعد أن فصلت عنها الأجناس المختلفة من ألمان، ومجر، وتشكيين وسلوفاك، وبولنديين، وصرب، ورومانيين، وإيطاليين.

فقد ترتب على هذه المعاهدة:

أ ـ استقلال المجر فأصبحت جمهورية مستقلة

ب ـ تكونت يوغوسلافيا من صقالبة (البوسنة، والهرسك، وساحل دلماشيا)، والصرب.

جـ ـ تكونت تشيكوسلوفاكيا من صقالبة الشمال (بوهيميا، ومورافيا، وسيليزيا).

د ـ ضُمت تريستا إلى إيطاليا.

هـ ـ إنضمت فاليسيا إلى بولندا.

٢ ـ معاهدة تريانون (Trianon):

وُقعت مع المجر فى ٤ يونيه ١٩٢٠ وترتب عليها أن فقدت المجر حوالى نصف مساحتها، وضمت رومانيا أقليم ترانسلفانيا الغنى بمناجمه وغاباته.

٣ ـ معاهدة نويلى (Neuilly):

وقعت مع بلغاريا فى ٢٧ نوفمبر عام ١٩١٩. وفقدت بلغاريا بموجبها سواحلها على بحر إيجه الذى ضم لليونان كما عدلت حدودها الغربية لصالح يوغوسلافيا.

٤ ـ معاهدة سيفر (Sevre) **ـ ثم معاهدة لوزان:**

عُقدت معاهدة سيفر مع تركيا فى ١٠ أغسطس ١٩٢٠.

وفقد الأتراك بموجبها إمبراطوريتهم فى أوروبا ماعدا القسطنطينية وشاطىء بحر مرمرة، وشبه جزيرة غاليبولى كما فقدواممتلكاتهم فى أسيا، وأستقلت الحجاز ووضعت سورياوفلسطين والعراق تحت الإنتداب.

وعهد إلى اليونان بإدارة إقليم أزمير لمدة خمس سنوات كما أعطيت كردستان استقلالاً ذاتياً.

أما معاهدة لوزان: عقدت فى يونيو ١٩٢٣ وبموجها تعدلت حدود تركيا الأوروبية، كما احتفظت تركيا ببعض جزر الدردنيل، وتنازلت تركيا عن حقوقها فى مصر وليبيا والسودان وعن جزر بحر إيجه لإيطاليا واليونان، وعن قبرص لبريطانيا ـ وتقررت حرية الملاحة فى المضايق على أن تشرف عليها لجنة تحت رعاية عصبة الأمم.

نظرة على تسويات الصلح:

١ ـ لقد انهارت نتيجة التسويات التى تلت الحرب العظمى الأول ثلاث إمبراطوريات:

ألمانيا، والإمبراطورية العثمانية، والإمبراطورية الثنائية (النمسا/ المجر)، كما تكونت دول جديدة تماماً هى تشيكوسلوفاكيا، ولتوانيا، وبولنده وكونت روسيا ـ نتيجة للتطورات الداخلية التى تمت أثناء الحرب ـ اتحاداً فيدرالياً من نوع جديد.

٢ ـ وكانت التسويات التى وضعت ـ قائمة على مبدأ إحترام القوميات وحق الشعوب فى تقرير مصيرها، وفى هذا تختلف معاهدات الصلح التى أعقبت الحرب العالمية الأولى عن تسوية فيينا التى تلت سقوط نابليون، فقد استهدفت هذه الأخيرة إعادة الحقوق الشرعية إلى أصحابها، وإعادة النظم الرجعية القديمة متجاهلة نمو الشعور القومى.

٣ ـ انفردت معاهدة فرساى بإقامة تنظيم دولى جديد هو (عصبة الأمم) لتنظيم العلاقات الدولية ـ لكن السؤال الذى يفرض نفسه هو:

إلى أى مدى نجحت العصبة فى تحقيق الأهداف التى وجدت من أجلها؟

لقد واجهت عصبة الأمم من البداية العديد من المشاكل التى ترتبت على تسويات الصلح وعلى الحرب ذاتها.

لكن منذ البداية كانت هناك نقطة ضعف رئيسية فى العصبة إذ أن الولايات المتحدة الأمريكية التى ساندت الفكرة وتحمست لها من البداية لم تشترك فى العصبة بسبب عدم إقتناع الرئيس ولسن الرغبة الجارفة التى ظهرت عند بعض الدول المنتصرة للإنتقام العنيف من أعدائهم المنهزمين، ولذا حرمت العصبة منذ البداية من مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا السوفيتية (دخلت المانيا العصبة عام ١٩٢٦، ثم تلتها روسيا السوفيتية) ـ وكانت سيطرة إنجلترا وفرنسا بالذات على العصبة من العوامل التى أضعفت الثقة فيها ولذا حين وصل النازيون للسلطة فى ألمانيا، والفاشيون فى إيطاليا لم يكترثوا بالعصبة ولقرارتها ـ ووصل الأمر إلى تحديها دون مبالاة.

هذا وكانت على العصبة مهتمة بحكم شروط تسويات الصلح ـ فقد وضع على عاتقها مهمة إدارة إقليم السار، وميناء دانزج الحرة، كما كان علهيا الإشراف على تنفيذ نظام الإنتداب.

كما كان عليها قبل كل شىء رعاية الضمانات التى وضعت لحفظ السلام، فهذا هو واجبها الأول والهدف من إنشائها وهذايعنى تحديد التسلح بحيث لا يتجاوز الحد اللازم لحفظ الأمن داخل كل دولة.

وإن كان هذا التحديد قد اقتصر فى معاهدات الصلح على الدول المنهزمة باعتبارها الدول التى سبق أن استخدمت قوتها فى إثارة هذه الحروب فكان من الطبيعى الحد من هذه القوات - لكن كان الهدف الأساسى من نشأة عصبة الأمم أن تعمل لصيانة ودوام السلام العالمى بوضع قيود على التسابق للتسلح والسهر على عدم تجاوز اية دولة لهذه الحدود.

❋ ❋ ❋

تاسعاً ـ أووربا بين الحربين العالمتين الأولى والثانية (١٩١٩ ـ ١٩٣٩)

نظرة على الدول الأوروبية فى فترة ما بين الحربين:

لعله من الأفضل أن نقف لحظة لنلقى نظرة على الأوضاع فى الدول الأوروبية الكبرى فى هذه الفترة.

١ ـ **ففى روسيا** أنهار النظام القيصرى ومهد ذلك (للثورة البلشفية)، وكان رئيسها هو لينين (Lenen) وكان شخصاً مغموراً قضى شطراً كبيراً من حياته فى سجون سيبيريا، أو مقيماً فى الأحياء الرخيصة بلندن وسويسرا، وانتقل عام ١٩١٧ من سويسرا إلى روسيا، وقبل أن ينقضى عاماً واحداً نصب نفسه قيصراً على روسيا وكان أكبر سلطاناً من (بطرس الأكبر) ذاته.

وقد رسم برنامجه على أساس (الشيوعية) لروسيا أولاً، ثم لسائر أرجاء العالم فيما بعد، وكانت الأدوات التى استخدمها ليحقق أهدافه.

أ ـ حزب شيوعى دقيق التنظيم.

ب ـ شرطة سرية تسهر على القضاء على أعداء النظام الشيوعى.

جـ ـ الجيش الأحمر.

وحكم لينين روسيا ستة أعوام (١٩١٧ ـ ١٩٢٤) حول فى خلالها حياة الشعب وبدل نظمه ومؤسساته، وخلفه ترتسكى (Trotsky) ونجح فى إخماد الثورة الداخلية وثبت أركان الثورة البلشفية ـ ولم يقتصر الأمر على قيام هذا النظام السابق فى روسيا ـ دولة جماعية تكتم فى عنف وبأس شديدين أنفاس الحرية تؤيدها قوة السيف ـ ولكن مبدأ الشيوعية الصارم وجد له أنصاراً وأتباعاً فى جهات أخرى من أوروبا ـ وإن أتخذ فى بعض

هذه الجهات أشكالاً أخرى ومبادىء مغايرة، فالبلشفية والفاشية والنازية تشترك ثلاثتها فى معارضتها للحرية الإنسانية وفى نبذها لفكرة أن المسائل الساسية التى يمكن حلها وحسمها عن طريق المناقشة الحرة.

٢ ـ **وفى إيطاليا** برز بنيتو موسولينى (Mussolini, Benito) ـ ذلك الشاب المغمور ابن الحداد الذى بدأ حياته مدرساً ـ لكنه سئم هذه المهنة وبعد أن قضى فترة الخدمة العسكرية اتجه للعمل فى الصحافة ـ لكن كانت الأوضاع فى إيطاليا بعد أن استتب السلام فى العالم فى عام ١٩١٩ ـ غير مستقرة فقد ارتفعت أثمان الأغذية، وندر الوقود، وتملكت نفوس المواطنين روح الإستياء وتساءلوا عما جنوه من ويلات الحروب، وحملوا اوزرات الضعيفة التى أمسكت بزمام الأمور الوزر، وفى هذا الجو ظهر موسولينى وكان أول عمل من أعماله تأليف الحزب الذى دعاه الحزب الفاشستى (Fascis, Party) وهى كلمة رومانية ومعناها العصى التى كانت ترمز للسيطرة والسلطان ـ ووضع لحزبه نظاماً دقيقاً قائماً على الخشونة والتضحية.

وازدهر حزبه هذا الذى بدأ نشاطه فى ٢٣ مارس سنة ١٩١٩ فى مقر جريدة كان يصدرها فى ميلان وانضم إليه عدد كبير من الشبان والدهماء، الذين ـ كانوا يرتدون قمصاناً تميزاً لهم، ووجد فى عدد من جنود الحرب القدامى الساخطين وفى العديد من الشبان العاطلين أنصاراً، وفى أكتوبر ١٩٢٢ زحف موسولينى على روما وقبض على زمام الدولة واحتفظ للملك بسلطانه الأسمى.

وسار الحزب ينمو، وقبض الدوتشى (Duci) بيد من حديد على زمام الأمور فى إيطاليا وعارض بشدة المبادىء الحرة وكتم حرية الجامعات، وألزم الصحافة بالخضوع لإرادته وألغى قاعدة التمثيل النسبى فى البرلمان وقسم إيطاليا إلى ١٥ دائرة انتخابية.

وهكذا بدأ الدوتشى فى وسط المشكلات التى كان يشكو منها المجتمع الإيطالى رجلاً - وإن كان مستبداً لكنه من طراز قيصر يستطيع أن يقود الجماهير إلى طريق العظمة والمجد.

٣ - أما المانيا:

فقد خرجت من الحرب العالمية الأولى مثخنة بجراح الحرب مثقلة بمافرض عليها الحلفاء فى فرساى كثمن لجريمة الحرب التى أعتبرت مسئولة عنها وكضريبة للهزيمة، وكان الثمن فادحاً لاتحتمله أكثر الشعوب خضوعاً وذلة فما بالك بالشعب الألمانى بعظمته وزهوه بنفسه.

وفى وسط هذا الجو ظهر جاويش من فرقة المشاه السادسة عشر كان أبوه نقاشاً بسيطاً - اشترك أدولف هتلر فى عام ١٩٢٠ فى إنشاء حزب الإشتراكيين الوطنيين (النازى Nazi).

وحدد الحزب مطالبه فى البداية فى اتحاد جميع الألمان فى دولة ألمانية مركزية، وإبطال معاهدات الصلح، وإرجاع المستعمرات الألمانية وإلغاء حقوق اليهود الإنتخابية فقد اعتبرهم مسئولين عن هزيمة المانيا فى الحرب، وتأسيس جيش وطنى، وهيمنة الدولة على الأعمال التجارية الكبرى وهاجموا مبادىء المسالمة والنظام الرأسمالى.

وأتاحت الأزمة الرقتصادية التى ألمت بألمانيا عام ١٩٢١- والتى ترتب عليها تعطيل ملايين العمال - الفرصة للمبادىء النازية للإنتشار - وحاول هتلر عام١٩٢٣ الوصول إلى السلطة عن طريق فتنة عسكرية لكنه فشل.

ومع ذلك فقد نجح بعد ذلك فى السيطرة على رعاع الشوارع ودهماء الشعب بكتائبه المؤلفة من الإرهابين ذوى القمصان السوداء - وتمكن أن ينصب نفسه مستشاراً للرايخ فى يناير ١٩٣٣، ومنذ ذلك الوقت عمل إلى

تحقيق مبادئه فى تكوين مجتمع قوى فى ألمانيا يحقق سعادة الجنس الجرمانى، وتمكن أدولف هتلر بمعاونة جيرنج (Goering) والطيار جيبيز (Goebeis) من الوصول للسلطة وساعدته عدة عوامل:

أ ـ معاهدات الصلح فى فرساى وقسوتها على الألمان وتطلعهم لحكومة قوية تستطيع نبذ هذه المعاهدات وأن تسير بألمانيا مرة أخرى فى طريق المجد، فقد أنضم للحركة أعداد غفيرة من الجنود القدماء الذين بعد أن خدموا بلادهم فى ساحات الحروب وقاسوا أو حال الخنادق ـ كان عليهم أن يكابدوا شظف العيش والفقر.

ب ـ الفزع الشديد الذى ساد المانيا من الشيوعية وبعض الألمان وازدرائهم لأثرياء الحرب.

جـ ـ الخلافات التى نشبت بين الحلفاء أنفسهم وتعذر الوصول لإتفاق فيما بينهم خاصة فيما يتعلق بتحديد التسلح.

د ـ التردد وروح الخوف من الموت والنزوع للسلم بأى ثمن، تلك التى سادت دول الحلفاء.

وتقوم فلسفة النازية على أساس أن تنشأ دولة موحدة مركزية تتألف كلها من نازيين يرتدون قمصاناً من لون واحد، ويحيون بعضهم بشكل واحد من التحية ويؤمنون بدين واحد ـ وبزعيم واحد.

وفى أغسطس ١٩٣٤ انتهز هتلر فرصة موت الرئيس هندنبرج (Hindenburg) فتسلم منصبه فى رئاسة الجمهورية إلى جانب منصب مستشارية الرايخ.

وكان قد تسبب سراً فى إحراق الريشستاغ فى ٢٧ فبراير ١٩٣٣، كما اشترك فى (حمام الدم) الذى راح ضحيته فى ٣٠ يونيو ١٩٣٤ العديد من زعماء حزبه، وذلك ليبث الخوف فى نفوس مواطنيه.

ومنذ ذلك التاريخ أخذ هتلر يعمل بأقدام ثابتة لتحقيق برنامجه الذى رسمه مستغلاً روح المهادنة والخوف من الحرب التى سيطرت على أعداء المانيا من الانجليز والفرنسيين وغيرهم.

٤ ـ أما فرنسا:

فقد كان يعوزها الحكومة القوية الحازمة فقد تقلب على الوزارة فى فرنسا بين عامى ١٩١٩، ١٩٣٤ العديد من الوزارات وكان متوسط عمركل منها لا يتجاوز ثمانية شهور، فعجزت هذه الوزارات عن تحقيق ما كانت تحتاجه فرنسا من إستقرار وإصلاح ومجابهة قوية للمشكلات.

٥ ـ أما بريطانيا:

فكانت تتمتع بحكومة ملكية مستقرة رغم أن الأزمات الإقتصادية وزيادة عدد العاطلين عقب الحرب أرهق ميزانيتها.

وقد نهض فى هذه الآونة (حزب العمال البريطانى) مما أدى لتضاؤل قوة حزب الأحرار- ورغم إنشغال بريطانيا بعد الحرب بشئون إمبراطوريتها وما تتطلبه البلاد داخلياً من إصلاحات إجتماعية وعمرانية وإقتصادية لعلاج ما خلفته الحرب ـ فقد كان من المتعذر أن تنفض يدها كلية من الشئون والأوضاع الإقتصادية العالمية والشئون السياسية للقارة الأوروبية ـ لكن انجلترا كان يهمها قبل كل شىء ـ أن يسود السلام القارة وهذا يتيح لها ـ كدولة قوية تجارية ـ الإستقرار والرخاء.

هذا بالإضافة إلى الدول الأوروبية سالفة الذكر لابد من الإشارة إلى أنه على الجانب المقابل من مياه المحيط الأطلنطى كانت قد برزت قوة أخرى هى:

٦ ـ الولايات المتحدة الأمريكية:

كان دخولها الحرب العظمى الأولى إلى جانب الحلفاء مرجحاً

لكفتـهم، كمـا أن المبادىء التى تبناها رئيسـها وليسن والتى أعلنهـا فى (النقط الأربع عشـرة) والدور الذى لعبه لإيجاد نظام دولى يحمى السـلام ويجنب البشـرية مصـائب حـرب ثانية ـ كل هذا جعل للولايات المتـحدة الأمريكية شأنها ووزنها ـ رغم أنها ليست دولة أوربية.

التطورات السياسية فى أوروبا خلال هذه الفترة

كان إهتمام عصبـة الأمم منذ نشـأتها مركزاً على وضع ضـمانات فعالة للحد من التسلح وللتحكم فى القوة العسكرية لمختلف الدول كوسيلة للحيلولة دون وقوع إعتداء من أى منها على غيرها من الدول.

وقد تعددت المحاولات للوصول لإتفاق بشأن عدم التسلح دون جدوى فلم تصل الدول إلى اتفاق عام فى هذا الشأن وأدى ذلك لسعى كل منها إلى الإتفاق أو عقد معاهدات تحالف مع غيرها لتحقق لنفسها القوة إذا ما تعرضت لهجوم دولة أخرى أو لضمان المساعدات فى حالة قيام خلاف بينها وبين غيرها من الدول.

ومن هذه الإتفاقـات ـ اتفاق لوكارنو (Locarno Pact) بين فرنسا والمانيا، وبلجيكا، وبولندا وتشكوسلوفاكيا فى عام ١٩٢٥ وكان من أهم ما تضـمنه نزع السـلاح من الحدود لمسافة ٥٠ كيلو متراً شرق نهر الراين لضمان الحدود بين هده الدول لتطمئن على عدم تعرضها لعدوان جديد.

على أن الخـلافات بين الدول وعدم وصـولها لإتفاق ينظم عملية التسلح أتاح الفرصة لبعض الأنظمة الجديدة للسيطرة على مجريات الأمور فى دولها فكما رأينا استولى الفاشيون على الحكم فى إيطاليا، كما استولى النازيون على السلطة فى ألمانيا وكان ذلك بمثابة أجراس الخطر تدق من جديد محذرة من وقوع حرب عالمية ثانية.

وقد أعلن هتلر منذ وصـوله للسلطة فى ألمانيا فى ٣٠ يناير ١٩٣٣ صراحة عزمه على تمزيق معاهدة فرساى، واسترداد المانيا لمكانتها كدولة عظمى، ومما أثير عنه قوله «إن الريخ الأول هو دولة بسمارك، والريخ الثانى هو جمهورية فرساى ـ أما الريخ الثالث فهو دولتى».

ويمكن أن نقسم الفترة من وصول هتلر إلى السلطة (فى يناير ١٩٣٣) إلى قيام الحرب العالمية الثانية (فى أغسطس ١٩٣٩) إلى فترتين من حيث الأحداث العالمية المتتالية :

إحداث الفترة الأولى (١٩٣٣ - ١٩٣٧):

١ - إنسحاب المانيا فى أكتوبر ١٩٣٣ من مؤتمر تخفيض السلاح، وخروجها من عصبة الأمم.

٢ - اتجاهها من ذلك الحين للتسلح علانية ووقوف الدول الغربية مكتوفة الأيدى أمام استحقاق النازيين بقرارات مؤتمر الصلح فى فرساى، كما وقفوا مكتوفى الأيدى أيضاً إزاء عدوان اليابان فى عام ١٩٣٤ على منشوريا وتوسعها على حساب الصين متحدية عصبة الأمم.

٣ - قيام هتلر بحركة تطهير واسعة فى المانيا ذاتها قضى فيها على المعتدلين من أعضاء حزبه تمهيداً للسياسة المتطرفة التى كان يزمع انتهاجها.

٤ - فى عام ١٩٣٥ أتخذت الأجراءات للبت فى مصير إقليم السار والعجيب أن فرنسا أحجمت عن مساعدة الجماعات المعارضة للنازية فى الإقليم ولذا حصل النازيون فى ١٧ يناير ١٩٣٥ على أكثرية ساحقة عند التصويت على مصير الإقليم وأقدمت المانيا فى مارس من نفس العام على إدماج السار فى ألمانيا.

٥ - عقب ذلك مباشرة أعلن هتلر صراحة أن المانيا ترفض المواد العسكرية فى معاهدات فرساى الخاصة بعدم تسلحها، فأدخل التجنيد الإجبارى فى البلاد وعجزت الدول الغربية عن الوقوف فى وجهه، ووصل الأمر إلى أن انجلترا عقدت معه إتفاقاً فى عام ١٩٣٥ يقضى بتحديد بناء السفن فى ألمانيا بحيث لا يتجاوز أسوطلها ٣٥٪ من قوة الأسطول البريطانى وبناء أسطول من الغواصات مساو لأسطول

الغواصات البريطانى ـ وهكذا أقرته على أن يرمى بقرارات مؤتمر فرساى عرض الحائط.

٦ ـ فى عام ١٩٣٥ بدأت إيطاليا غزو الحبشة، وهى دولة عضو فى العصبة وذلك لمحو عار هزيمة عدوة ١٨٩٦ ـ ولم تجد صرخات الأحباش ـ وشكواهم للعصبة، ووقفت العصبة مكتوفة الأيدى أمام هذا العدوان فكانت هذه صفعة هزت نهائياً مكانة العصبة ودلت على عدم فاعليتها وأن الدول أن تركن إليها لحفظ السلام ومنع القوى من التعدى على الضعيف.. ووجد هتلر فى إيطاليا الفاشية حليفاً يمكن أن يسير معه فى مخططاته التى يهدف لتحقيقها.

٧ ـ وفى مارس ١٩٣٦ أقدم الزعيم الألمانى على مغامرة أخرى لتحطيم معاهدات الصلح فأرسل قواته لإحتلال منطقة السين المنزوعة السلاح واقتصر موقف انجلترا من هذا النقض الصريح لمعاهدة فرساى على الإحتجاج والتنديد بالعدوان.

وهكذا سارت السياسة العدواينة من جانب إيطاليا وألمانيا واليابان التى شكلت ما عرف باسم ـ محور (روما ـ برلين ـ طوكيو) فى طريقها إلى أن قادت العالم للحرب العالمية الثانية.

٨ ـ الحرب الأهلية الأسبانية: نشبت هذه الحرب التى استمرت حوالى العامين ونصف فى ٦ يوليو ١٩٣٦ حين ثار الجنرال فرانكو (Franco) وأنصاره الفاشيين ضد الجمهورية،وأعلنت المانيا وحليفتها إيطاليا تأييدهما للثورة وبادرا بإرسال الرجال وعتاد الحرب لمساندة الجنرال فرانكو، وأظهرت الدول الغربية أيضاً ضعفها حين وقفت انجلترا وفرنسا على الحياد، وبقيت تركيا وروسيا السوفيتية وحدها تمدان الجمهورية الأسبانية بالمعونة.

وحين حاولت حكومة الجمهورية الأسبانية إثارة مسألة التدخل الإيطالى الألمانى فى شئون أسبانيا أمام عصبة الأمم منعتها بريطانيا من ذلك فكان هذا تعبيراً عن ضعف العصبة وعجزها.

وهكذا كانت الحرب الأهلية فى أسبانيا اختباراً لمدى فاعلية عصبة الأمم ولقوة الجبهتين المتصارعتين، وكان دخول فرانكو (مدريد) وقضاؤه على النظام الجمهورى نصراً للفاشيين وخذلاناً للدول الغربية وروسيا السوفيتية وشجع هذا المانيا وإيطاليا على إتباع سياسة واحدة - فاتفقت الدولتان على قيام محالفة صريحة ضد الديمقراطية والشيوعية فى العالم، وكان هذا نذيراً ببداية مرحله ثانية من مراحل سياسة النازيين الخارجية.

أهم أحداث الفترة الثانية (١٩٣٧ - ١٩٣٩):

تميزت هذه المرحلة بوقوع عدة حوادث أدت فى النهاية إلى اشتعال نيران الحرب العالمية الثانية من أهمها:

١ - التسابق للتسلح: أعلن هتلر عن عزم المانيا على استرداد مستعمراتها ورد رئيس وزراء انجلترا جوزيف تشامبرلين (J. Chamberlain) فى فبراير ١٩٣٧ برفع ميزانية التسلح فى بريطلنيا إلى ٤٠٠ مليون جنيه استرلينى، كما أعلن بصراحة عدم جدوى العقوبات الإقتصادية التى تفرضها عصبة الأمم.

٢ - غزو النمسا: فى مارس ١٩٣٨ أرسل هتلز قواته فإستولت على النمسا وضمتها لألمانيا، وهكذا ضاع إستقلال دولة عضو فى العصبة دون أن تحرك العصبة ساكناً لنجدتها - واعترفت إيطاليا بضم المانيا للنمسا واختفت النمسا كدولة مستقلة من الوجود ولم تظهر ثانية إلا فى أعقاب الحرب الثانية.

٣ - غزو تشيكوسلوفاكيا: كانت تشيكوسلوفاكيا التى وجدت بعد صلح

فرساى - تمثل خليطاً من عدة عناصر متباينة كان منهم حوالى ٣٫٥ مليون من السوديت الألمان - وكان هؤلاء يطمعون فى الإنضمام لألمانيا فأثاروا القلاقل فى أوائل عام ١٩٣٨ وتحركت القوات الألمانية للحدود لنجدتهم.

وطار تشامبرلين رئيس زراء بريطانياإلى برختشجادن لمقابلة هتلر لتهدئة الموقف - لكن هذا الأخير أوضح له أن ألمانيا مستعدة لغزو تشيكوسلوفاكيا إن لم يمنح السوديت حق تقرير المصير، ولذا نصحت انجلترا وفرنسا تشيكوسلوفاكيا بمنح منطقة السوديت لألمانيا.

مؤتمر ميونخ (Munich):

فى ٣٠ سبتمبر ١٩٣٨ عقد فى ميونخ رباعى حضره تشامبرلين وهتلر، وموسولينى، ولافال - وتم الإتفاق على إعطاء منطقة السوديت لألمانيا، وعبرت القوات الألمانية الحدود لتنفيذ ما تم الإتفاق عليه فى ميونخ، ومع أن هتلر كان قد أكد لتشمبرلين أن السوديت أخر ما يطمع فيه من الأراضى الأوروبية - فإنه ما لبث أن ضم مقاطعتى بوهيميا ومرافيا التشيكيه.

وفى ٢٢ مارس ١٩٣٩ طلبت ألمانيا منطقة ميمل (Memil)من لتوانيا وأستولت عليها.

٤ - إضطهاد اليهود: كان هتلر يعتبر اليهود مسئولين عن هزيمة ألمانيا فى الحرب الأولى، وكان يعتبرهم جنساً متأخراً عن الجنس الألمانى، ولذا اتخذ منهم سياسة معادية وشن عليهم حرب إبادة فى ألمانيا أدت لهجرة عدد كبير منهم للخارج والقضاء على عدد منهم بالداخل وسيكون لهذا انعكاساته على المشكلة الفلسطينية فيما بعد.

٥ - إستيلاء إيطاليا على البانيا: فى ٧ أبريل ١٩٣٩ بدأ الغزو الإيطالى

لألبانيا وتلقب ملك إيطاليا بلقب ملك إيطاليا، والبانيا، وإمبراطور الحبشة، وكان الخوف من أن يتبع ذلك الإستيلاء على اليونان فأصدرت انجلترا وفرنسا فى ١٣ أبريل تصريحاً بأنهما ستقدمان لليونان ورومانيا كل مساعدة ممكنة إذا اعتدى على أى منهما.

ولما أعلن هتلر إنهاء الإتفاق البحرى الذى وقع بين ألمانيا وانجلترا فى عام ١٩٣٥. رد تشمبرلين بتصريح فى مجلس العموم البريطانى فى ٢٧ أبريل أعلن فيه أن بريطانيا ستبدأ فى التجنيد لمواجهة مسئولياتها الدولية.

٦ ـ الإعتداء على بولنده: كان الإعتداء على بولنده هو الشرارة التى أشعلت نار الحرب العالمية الثانية.

وكان موقف الاتحاد السوفيتى مازال غير واضح ـ ففى الوقت الذى كانت تجرى فيه مفاوضات بين انجلترا وروسيا للإتفاق على حل مشترك لوقف عدوان المانيا ـ كان هتلر يسعى من جانبه للوصول إلى ميثاق عدم إعتداء مع الإتحاد السوفيتى، وساعد وصول مولوتوف (Molotov) إلى وزارة الخارجية الروسية على تحقيق ذلك، ففى ٢١ أغسطس ١٩٣٩ وقع بين ألمانيا والإتحاد السوفيتى فى موسكو ميثاق عدم إعتداء.

وقد أمّن هذا ظهر المانيا، وجعل هتلر يوجه ضربته إلى بولنده.

وفى ميثاق عدم الإعتداء الألمانى السوفيتى مادتان هامتان (المادة الثانية، والمادة الرابعة).

المادة الثانية: من الميثاق ـ تقضى بأن الدولتين تعلنان بألا تساعدا بشكل من الأشكال دولة ثالثة يمكن أن تكون فى حرب مع واحدة منهما ـ أى فى حالة قيام ألحرب بين المانيا وبولونيا ـ تعد روسيا بألا تنجد بولونيا حتى بتسليم المواد الأولية أو العتاد.

أما المادة الرابعة: فتقضى بعدم الإشتراك فى تحالف دولى موجه ضد الطرف الآخر.

وهذا يعنى أن الاتحاد السوفيتى يتخلى عن الإشتراك فى أى تحالف تحاول فرنسا وبريطانيا العظمى تنظيمه، وظهر فيما بعد أنه ألحق بهذا الإتفاق العام ملحق سرى أتفقت بموجبه الحكومتان الألمانية والروسية على تقسيم النفوذ فى أوروبا الشرقية (دول البلطيق وبولندة).

من جهة ألمانيا ـ كما ذكرنا ـ إن بواعث هذا الإتفاق وأهميته تتلخص فى أنه يمكنها من مواجهة إنجلترا وفرنسا فى الغرب مطمئنة على الجبهة الشرقية كما أنها يكسبها حليفاً كان يمكن أن يكون فى صف أعدائها ـ لكن التساؤل هو عن السبب الذى دفع روسيا للإتفاق مع ألمانيا فى هذا الوقت بالذات ولعل الأمر يرجع إلى:

أ ـ أطماع روسيا فى أخذ نصيب من بولندا.

ب ـ لم تكن روسيا مستعدة للمشاركة فى ذلك الوقت فى حرب ضد ألمانيا ففضلت التفاهم معها.

جـ ـ رغبة روسيا فى أن تتركز جهود ألمانيا فى حرب فى الغرب ضد فرنسا وانجلترا.

تركزت الأزمة البولندية فى الظاهر حول مدينة دانزيج (Danzig) الحرة والممر البولندى ـ فقد طالبت ألمانيا بضم المدينة بحجة أن أغلبية سكانها من الألمان، كما طالبت بحقها فى الممر البولندى ـ لكن كما هو واضح من تطور العلاقات الأوروبية أن المشكلة كانت أعمق من ذلك وأكثر تعقيداً ـ فقد كانت لألمانيا النازية أطماع أوسع وأهداف أكبر تسعى لتحقيقها.

❁ ❁ ❁

عاشراً: الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)

فى أول سبتمبر ١٩٣٩ هاجمت القوات الألمانية بولنده فلم تجد انجلترا وفرنسا بُداً من إعلان الحرب على ألمانيا وهكذا بدأت الحرب العالمية الثانية التى شملت قارات العالم.

ويمكن تقسيم الأحداث التى وقعت فى هذه الفترة إلى قسمين:

(١) القسم الأول من ١٩٣٩ إلى ١٩٤١:

وفى هذه الفترة نجح الألمان فى غزو بولنده، كما اقتسمت المانيا وروسيا السيادة على دويلات (استونيا، ولتوانيا، وفلنده)، ودخلت الجيوش الألمانية هولندا، وبلجيكا، وانتهت حرب فرنسا بدخول الألمان باريس فى ١٦ يونيو ١٩٤٠، وعقدت الهدنة بين فرنسا وألمانيا وأعلنت إيطاليا فى ١٠ يونيو ١٩٤٠ الحرب على بريطانيا وفرنسا وبدأت معركة بريطانيا التى أصبحت تقاتل بمفردها، وامتد القتال فى نهاية هذه الرحلة لشمال أفريقيا وبلاد البلقان.

(٢) القسم الثانى من ١٩٤١ حتى ١٩٤٥:

تبدأ أحداث هذه المرحلة فى يونيو ١٩٤٢ بشن ألمانيا الحرب على حليفتها السابقة روسيا، ودخول الولايات المتحدة الحرب، وامتدت الحرب إلى الشرق الأقصى بتوتر العلاقات بين اليابان والولايات المتحدة وإعلان الحرب بينهما، وفى منتصف عام ١٩٤٢ بدأ الحلفاء هجومهم فى مختلف الميادين الذى انتهى بسقوط برلين فى أيديهم فى الثانى من مايو ١٩٤٥ وعقد الهدنة فى ٧ مايو وانتهى الأمر بإستسلام اليابان فى ٣٠ أغسطس ١٩٤٥.

ويمكن أن نمر بشىء من التفصيل أكثر على هذه الأحداث التى أجملناها فيما مضى:

١ ـ غزو بولندا:

قامت القوات الألمانية التى تدفقت فى أول سبتمبر ١٩٣٩ ـ على بولندا ـ بحرب خاطفة استخدموا فيها قواتهم البرية والجوية فلم يمض أسبوع واحد على القتال حتى كانوا قد أستحوذا على حوض سيليزيا الصناعى، وحطموا خطوط المقاومة البولندية وأصبحوا على أبواب وارسو (Warsaw) التى سقطت فى أيديهم فى ٢٨ سبتمبر فانتهت كل مقاومة منظمة لبولنده.

أما الروس فقد انتهزوا هذه الفرصة لطعن بولنده من الخلف فعبرت قواتهم حدود بولنده الشرقية ووضعوا أيديهم على الحصة التى أتفق أن تكون من نصيب روسيا فى الإتفاق الألمانى ـ الروسى.

وفى نفس اليوم الذى سقطت فيه وارسو فى يد الألمان وقعت فى موسكو معاهدة المانية روسية حددت مناطق الإحتلال الروسى والألمانى فى تلك البلاد المقهورة.

وفى ٦ أكتوبر بعد أن انتهى الألمان والروس من غزو بولندا تقدم هتلر ومولوتوف يعرضان على إنجلترا وفرنسا فتح باب المفاوضات لعقد صلح طبقاً للإتفاق الروسى الألمانى لكن قوبل هذا العرض بالرفض.

ويؤخذ على الدولتين ـ انجلترا، وفرنسا فى هذه المرحلة عدم قيامهما بهجوم جوى أو برى يخفف عن البولنديين الضغط رغم توسلات بولندا المتكررة.

ولعل عدم استعداد الدولتين الحربى الكافى فى ذلك الوقت كان وراء هذا الموقف السلبى منهما.

٢ ـ النفوذ الروسى والألمانى فى دول البلطيق:

على الرغم من معاهدة التحالف التى أبرمت بين ألمانيا وروسيا فقد

كانت روسيا توجس خيفة من نوايا النازيين الألمان وتدرك أن تحالفهم معها أملته مصلحتهم وأنه لا يستبعد أن ينقلبوا ضدها إذا تغيرت الظروف التى أملت هذا التحالف والإتفاق.

لذلك عمد الروس لتعزيز مراكزهم فى مناطق الحدود وفى المناطق المحيطة ببحر بلطيق فطلبت روسيا من دويلات البلطيق منحها بعض الامتيازات الإقتصادية والحربية فلم يكن فى وسع هذه الدول الإستجابة لمطالب الروس.

فوقعت (استونيا) معاهدة مع روسيا وسمحت لها بإستخدام بعض قواعدها البحرية والجوية، كما قدمت لتفيا، ولتوانيا لروسيا تسهيلات مماثلة.

ولما رفضت فنلنده الخضوع لمطالب الروس بالتنازل لهم عن بعض الجزر والموانى جردت روسيا عليها قواتها الحربية وقاوم الفنلنديون الغزو الروسى ببسالة أثارت إعجاب العالم وإن اضطرت للإستسلام فى مارس سنة ١٩٤٠ بعد أربعة شهور من المقاومة، لكن اعترف الروس فى معاهدة الصلح التى عقدوها مع الفنلنديين بإستقلال فنلنده وإن تنازلت عن بعض الأراضى على تخومها الشرعية.

٣ ـ غزو الدانمرك والنرويج:

خيم الهدوء فترة على ميادين القتال ـ فبينما كان الفرنسيون يبعثون قواتهم خلف خط ماجينو (Maginot Line) الذى يمتد بطول الحدود الفرنسية الألمانية كان الألمان من جانبهم يعدون العدة خلف سيجفريد (Sigfried) الذى حصن على غرار خط ماجينو.

لكن الألمان كسروا هذا الهدوء بهجومهم المفاجىء فى ٩ أبريل سنة ١٩٤٠ على (الدانمرك) التى كانت أبرمت معهم معاهدة عدم اعتداء وفى

نفس اليوم على (النرويج)، ويبدو أن الألمان كانوا يهدفون من ذلك تأمين قاعدة العمل البحرى والجوى فى بحر بلطيق وضمان حصولهم على الحديد الخام اللازم لصناعتهم الحربية من السويد.

ولم تُفلح محاولات إنجلترا وفرنسا لنجدة النرويج فقد نجحت ألمانيا فى سحق كل مقاومة واستولت على نارفك (Narvik)، ولجأ ملك النرويج وبعض وزرائه إلى انجلترا تاركين ألمانيا تسيطر على النرويج لمدة أربعة أعوام كاملة.

٤ ـ غزو لكسمبرج، وهولندا وبلجيكا:

لم ينقض شهر واحد على غزو النرويج حتى ضرب الألمان ضربتهم الكبر فى الغرب، ففى ١٠ مايو ١٩٤٠ بدأوا هجومهم على هولندا وبلجيكا ولكسمبرج.

وفى ١٢ مايو اخترقوا خط الدفاع الرئيسى للجيش الهولندى وأمطروا المدن الهولندية بوابل من قنابل طائرتهم، وسقطت روتردام فى الرابع عشر من هذا الشهر واضطر الهولنديون لألقاء سلاحهم.

وكان الجيشان الإنجليزى والفرنسى قد دخلا بلجيكا لنجدتها، لكن القوات الألمانية حطمت فى ١٤ مايو خط دفاع الحلفاء، وعبرت نهر الميز (Meusch) وفى ٢٧ مايو سلم الجيش البلجيكى.

٥ ـ معركة فرنسا:

فى ١٤ مايو ١٩٤٠ استطاع الألمان اختراق خط دفاع الحلفاء بالقرب من سيدان (Sedan) وبدأت تشق طريقها خلال غابات (الأردن) التى كان يظن أنه من المتعذر على أى جيش اختراقها وفى ١٩ مايو استولى الألمان على (إميان)، واستمروا فى زحفهم قرب الموانى الفرنسية على القنال

الإنجليزى فوصلوا للساحل وهاجموا (كاليه) فى الثالث والعشرين من مايو ـ وأخذت القوات الفرنسية والإنجليزية تتقهقر دون انتظام.

ولم يكن أمام الإنجليز سوى محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه، فبدأت فى ٢٧ مايو من ميناء دنكرك (Dankirk) عملية إجلاء القوات الإنجليزية وقوات الحلفاء ونجحت إنجلترا فى إخلاء ٣٣٤ ألفاً من المقاتلين نُقلوا لبريطانيا تاركين عتادهم كاملاً.

وفى ٨ يونيه قررت الحكومة الفرنسية أمام الزحف الألمانى الإنتقال من (باريس) إلى (تور) ثم إلى (بوردو).

وأعلن موسولينى فى ١٠ من يونيو الحرب على بريطانيا وفرنسا ليضمن لنفسه وبلاده نصيب المنتصرين فى الحرب وكان يطمع فى أخذ (نيس)، و(كورسيكا)، (وتونس) من فرنسا ـ لكنه كان يدرك بأنه لايحظى بشىء من هذا إن لم يُشارك فى الحرب.

وفى ١٦ يونيو ١٩٤٠ ـ سقطت باريس وقدمت الحكومة الفرنسية التى يرأسها بول رينو استقالتها وتشكلت حكومة جديدة بقيادة المارشال بيتان (Petan) ووقعت هذه الحكومة الهدنة مع ألمانيا فى ٢٢ يونيو ١٩٤٠ ومع إيطاليا فى ٢٤ يونيو واتخذت مدينة فيشى (Vichy) مقراً لها.

ويقضى اتفاق الهدنة الألمانى الفرنسى بما يلى:

أ ـ يحتل الألمان الأراضى الفرنسية الواقعة شمال وغرب خط يمتد من (جنيف) إلى (تور) وجنوباً إلى حدود أسبانيا.

ب ـ يحتلون جميع الموانىء الفرنسية على القنال الإنجليزى والمحيط الأطلنطى.

جـ ـ تقوم فرنسا بنزع سلاح قواتها المحاربة ثم تسرحها ـ فيما عدا ما هو ضرورى لحفظ الأمن العام فى البلاد.

د ـ يُبحر الأسطول الفرنسى إلى ثغور فرنسية حُددت حيث يجرد من سلاحه.

هـ ـ تتحمل فرنسا جميع نفقات الإحتلال.

و ـ تطلق فرنسا جميع الأسرى الألمان بينما تستبقى المانيا تحت يدها جميع أسرى الحرب الفرنسيين.

على أن الجنرال ديجول (De Gaulle) لم يلبث أن أعلن من لندن نداءه بالمقاومة، وأنه سيبحث مع انجلترا وحلفائها الخطوات لتنفيذ ذلك.

ولعل عدة أسئلة تفرض نفسها فى هذا الموقف منها:

ـ ما هى أسباب الهزيمة السريعة للجيش الفرنسى؟.

ـ لماذا تخلت فرنسا عن القتال بعد الهزيمة؟ ـ ألم يكن فى الإمكان متابعة القتال بعد ذلك؟

ـ هل كان الواجب يحتم على الحكومة الفرنسية أن تذهب إلى أفريقية الشمالية الخاضعة لفرنسا ومتابعة القتال من هناك؟

من الصعب إعطاء إجابات حاسمة لهذه وغيرها من التساؤلات ـ لكن يمكن أن نشير إلى أن:

من أسباب الهزيمة السريعة:

ـ ما كان يعانيه الجيش الفرنسى من نقص فى الرجال والعتاد.

ـ أخطاء القيادة الفرنسية ـ فقد ثبت أن الهجوم المضاد فى بلجيكا تم بطريقة غير سليمة وأن منطقة (سيدان) تركت دون تعزيز.

أما عن انتهاء المقاومة وعدم الإستمرار فى القتال بعد هزيمة الجيش الفرنسى فترجع إلى:

أ ـ الشك فى إمكان استمرار بريطانيا فى المقاومة بعد الهزائم التى مُنى بها الجيش الإنجليزى ـ الفرنسى والخسائر الفادحة التى أصابته.

ب ـ الخوف من استمرار المانيا فى تعقب الحكومة الفرنسية إلى شمال أفريقيا إذا انتقلت هذه الحكومة إلى هذه البلاد، وكان المعتقد أن الجنرال فرانكو سيسمح فى هذه الحالة بمرور الجيوش الألمانية عبر أسبانيا.

جـ ـ الخوف من أن يفتح هذا من جديد (القضية المراكشية) فى غير مصلحة فرنسا وفى ظروف غير ملائمة لها.

د ـ ومن جهة انتقال بيتان وحكومته لشمال أفريقيا ـ فقد نُصح فعلاً بذلك لكنه رفض قبول هذا العرض بينما قبل توقيع الهدنة وبقاء حكومته الفرنسية فى الأرض الفرنسية.

على أن هذاالوضع ثبت فيما بعد أهميته فى إبقاء قواعد أفريقية الشمالية فى يد الحلفاء وهذه القواعد كان ـ كما سنرى لها الأثر الهام فى سير الحرب فيما بعد.

٦ ـ معركة بريطانيا:

وقفت بريطانيا بمفردها بعد هزيمة حليفتها فرنسا ـ وكانت بريطانيا نفسها قد خسرت العدد الكبير من جنودها وسلاحها، وكان السؤال الذى فرض نفسه فى هذا الموقف هو:

ـ هل سيرسل هتلر قواته الظافرة فى أعقاب البريطانيين فيجهز عليهم قبل أن يستردوا أنفاسهم؟

لقد صرح تشرشل نفسه وغيره من العسكريين البريطانيين فيما بعد بأن هتلر لو أقدم على ذلك ربما كان قد نجح فى قهر بريطانيا، وبالتالى

السيطرة على العالم ـ لكنه أخطأ خطأ فادحاً كلفه كل ما حققه من نصر، فقد شغل نفسه بإكمال فتح فرنسا ودعم فتوحاته ـ فأعطى بذلك بريطانيا فسحه من الوقت استغلتها على أكمل وجه لإعادة تنظيم صفوفها وتدريب قواتها وتعويض ما فقدته.

وقيضت الأقدار لأنجلترا أن يقبض على زمام الحكم فيها فى ذلك الظروف رجل حديدى الإرادة قادها فى طريق النصر غير عابىء بالكوارث، فقد استقالت وزارة تشمبرلين (Chamberlain) فى ١٠ مايو ١٩٤٠ وخلفتها الوزارة الإئتلافية برئاسة ونستن تشرشل (W. Churchill).

وكانت القوات الجوية الألمانية تلقى بقذائفها المهلكة طوال صيف وخريف ١٩٤٠ على المدن الساحلية فى الجنوب الشرقى من إنجلترا وركزوا غاراتهم على القوافل التجارية والمطارات ومصانع الطائرات، كما قاموا بشن غارات عنيفة على لندن ليلاً ونهاراً، واتجهوا إلى باقى المدن الهامة مثل سوثهمبتون، ويليموث وليفربول، وغيرها وتعرضت المدن الصناعية البريطانية (برمنجهام، ومنشستر، وشفليد) للدمار وبلغ عدد الضحايا لهذه الغارات خلال الأشهر الخمسة الأخيرة من عام ١٩٤٠ عدة آلاف ـ لكن لم يضعف عزم البريطانيين، وظل الشعب البريطانى قوى العزيمة واثقاً من النصر، فواصلت بريطانيا الحرب تؤيدها مستعمراتها تأييداً قوياً وتمدها بالرجال والعتاد، ورد البريطانيون على الغارات الألمانية بغارات على المنشآت الصناعية الألمانية فى الزهر والموانى وأحواض السفن الألمانية بل تعرضت برلين نفسها للغارات.

ووجه الألمان ضربات قوية للسفن البريطانية المحملة بالأغذية والمواد الخام اللازمة للمجهود الحربى ولحياة الأهالى، واستغلوا فى ذلك تقدمهم العلمى فاكتشفوا الألغام المغنطة التى كانت تلقيها طائراتهم فى مداخل الموانى البريطانية.

ويبدو أن هتلر بعد أن عجز عن طريق الهجوم الجوى عن تحقيق أهدافه المرجوه من هذه الغارات المكثفة، وحين أيقن الإنجليز لن يستسلموا نتيجة الخسائر الفادحة التى أنزلها بهم الطيران الألمانى كما أن فكرة النزول إلى بريطانيا ومهاجمة البريطانيين فى عقر دارهم أصبحت غير مضمونة وصعبة التنفيذ رسم خططه على وسيلتين هما:

أ ـ حرب الغواصات.

ب ـ الحرب فى البحر المتوسط.

وفيما يتعلق بحرب الغواصات ـ وضعت ألمانيا خطتها بهدف قطع تموين انجلترا من المواد الغذائية والمواد الأولية وخاصة البنزين حتى تلزم انجلترا بالركوع على ركبتيها، وحصصت نتائج هامة فى هذا المجال فتناقض الأسطول الإنجليزى وكانت خسائره فادحة ـ لكن صمود الإنجليز كفل لهم القدرة على تعويض الخسائر ومواجهة هذا الخطر والتقليل من فاعليته.

والسؤال الذى يفرض نفسه هو لماذا لم تلق حرب الغواصات الألمانية عام ١٩٤١ النجاح المنتظر؟.

فى الحقيقة إن الألمان كانوا فى عام ١٩٤١ فى وضع ملائم جداً من جهة حرب الغواصات ـ إذا قورن مثلاًبوضعهم فى الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٧م. فقد كانت بيدهم كل شواطىء النرويج والدانمرك وهولندا وبلجيكا وفرنسا، وفى متناولهم جميع القواعد البحرية التى يريدونها فى موانىء الأطلسى بعكس الوضع فى عام ١٩١٧ حين كانت الغواصات الألمانية مضطرة للحرب لتستطيع الخروج من بحر الشمال.

ولعل السبب الحقيقى هو أن ألمانيا لم يكن لديها فى عام ١٩٤١ إلا عدد محدود من العواصات وحين بدأ الأهتمام بأسطول الغواصات الألمانى

وتضاعف عددها فى الأعوام التالية ـ كان الوضع الحربى قد تغير تماماً فأصبحت بريطانيا فى وضع أفضل، كما أنه تغير كلية بدخول الولايات المتحدة الحرب.

٧ ـ المعارك فى أفريقيا وبلاد البلقان:

أولاً ـ البحر المتوسط وشرق أفريقيا:

كان هتلر يرمى إلى الإستيلاء على المواقع الهامة التى يشغلها الإنجليز فى البحر المتوسط (جبل طارق ـ مالطه ـ الإسكندرية ـ قبرص)، كما أن موسولينى عند إعلانه الحرب على بريطانيا كان يتطلع إلى (القطر المصرى) ويسيل لعابه للإستحواذ على ثروته وإستغلال موارده الطبيعية الغنية.

وبدأ الإيطاليون الحرب فى هذا الميدان فأرسلوا حملة من مستعمرتهم (ليبيا) عبرت فى سبتمبر ١٩٤٠ الحدود المصرية وتقدمت حتى (سيدى برانى) لكن الجنود البريطانيين هاجموا الإيطاليين فى أوائل ديسمبر وأجلوهم عن مصر واستولوا فى ٢٢ يناير ١٩٤١ على طبرق القاعدة الجوية البحرية الإيطالية الرئيسية فى برقه، وتعقبوهم حتى طردوهم ووقع من برقه فى هذه المعارك ـ التى خطط لها الجنرال ويفل (Wavell) القائد الأعلى للقوات البريطانية فى الشرق الأدنى ـ أكثر من ١٠٠و٠٠٠ أسير إيطالى.

وحقق البريطانيين إنتصارات أخرى فى الشرق الأوسط فسقطت فى أيديهم فى يوليه عام ١٩٤١ سوريا ولبنان وكانتا خاضعتين لحكومة فيشى الفرنسية الواقعة تحت سيطرة الألمان.

ولما كان الإيطاليون قد توغلوا من مستعمراتهم فى شرق أفريقيا فى أراضى كينيا والسودان، والصومال البريطانى مهددين بذلك خطوط الملاحة

البحرية في المحيط الهندى والبحر الأحمر والمتوسط ـ فقد قامت القوات البريطانية بهجمات مضادة انتهت بالقضاء على النفوذ الإيطالى فى شرق أفريقيا فأقصى الإيطاليون عن أرتريا، وسقطت (أديس أبابا) فى ٦ أبريل ١٩٤١ وعاد الإمبراطور هيلا سيلاسى إلى عاصمة ملكه بعد أن قضى خمسة أعوام بعيداً عن بلاده ـ ولم ينته شهر نوفمبر عام ١٩٤١ حتى كانت القوات الإيطالية فى هذه البلاد قد استسلمت دون قيد أو شرط.

ثانياً: فى البلقان:

كان الإيطاليون قد شنوا هجوماً على اليونان من ألبانيا التى ضموها إليهم فى عام ١٩٣٩ ـ لكن هذا الهجوم الإيطالى أخفق كما حدثت حركة فى يوغسلافيا ضد حكومتها الموالية لإيطاليا وألمانيا ـ وأرسلت انجلترا بعض قواتها لمساعدة اليونانيين ـ لكن ألمانيا تدخلت فى حرب البلقان فضمت إلى جانبها رومانيا، وبلغاريا، وأرسلت طائراتها إلى بلغراد عاصمة يوغوسلافيا فدمرتها وغزا الجنود الألمان بلاد اليونان وأضطر الجيش اليونانى للتسليم فى ٢١ أبريل ـ وتدفقت القوات الإيطالية على بلاد اليونان فى إثر قوات حليفتها.

ولما كان البريطانيون قد نقلوا إلى كريت ٤٠٠٠٠ جندياً فقد هاجمها الألمان ونجحوا بواسطة جنود المظلات من طرد البريطانيين من الجزيرة.

وهكذا سيطر الألمان على بلاد البلقان بمواردها الطبيعية وموقعها الإستراتيجى الهام وبذا سيطروا على جنوب شرق البحر المتوسط.

على أن الألمان أضطروا لحشر أنفسهم فى البلقان لنجدة إيطاليا بعد أن أصبحت فى وضع سىء. وللحيلولة دون إمتداد انجلترا من هذه البلاد للقارة الأوروبية.

ثالثاً: فى شمال أفريقيا:

كذلك اتجهت ألمانيا مرة ثانية لنجدة حليفتها - إيطاليا - فى شمال أفريقيا - فأرسلت الجنرال روميل (Rommell) على رأس فرقتين، وشن روميل هجوماً ناجحاً على القوات البريطانية فى شمال أفريقيا وأضطرها للتقهقر فى يونيو ١٩٤١ حتى مرسى مطروح - ولاح كأن مصر ستقع قريباً فى قبضة يده - لكن قدر لهذه المنطقة - كما سنرى أن تشهد معارك أخرى غيرت مجرى الحرب تماماً.

ولعل السؤال الملح هو لماذا لم يحاول الألمان الإستيلاء على (جبل طارق) والتحكم فى المضيق فربما أدى هذا العمل إلى تغيير الوضع تماماً فى البحر المتوسط وأفريقيا الشمالية؟

ولعل الجواب على هذا السؤال هو أن الجنرال فرانكو لم يبد إستعداداً فى عام ١٩٤٠ لأن يلعب دوره فى هذه اللعبة خاصة بعد أن ظهر بوضوح أن إنجلترا مصممة على الصمود والمقاومة.

وهناك سؤال آخر مشابه هو لماذا لم يقدم الألمان على الإستيلاء على مالطه؟

لقد عبر موسولينى عن خيبة أمله لذلك بعد الصعوبات التى لاقاها الإيطاليون والألمان لتموين جيوشهم فى الصحراء الغربية فذكر إنه «كان علينا اقتحام الطرادات الإنجليزية الساهرة فى مالطه ليصبح فى الإمكان مرور ناقلات البترول وتموين الفرق المصفحة بالبنزين - وقد أغرقت قوافل برمتها فى هذا المجال».

وهكذا كان الموقف فى ربيع ١٩٤١ كما يلى:

١ - سيطرت المانيا على كل أوروبا تقريباً إلا الإتحاد السوفيتى.



خريطة شكل رقم (١٢)

٢ ـ وضعت يدها على موارد عظيمة فى البلاد المفتوحة ـ وأعلنت عن إرادتها فى إيجاد (نظام جديد) فى أوروبا.

٣ ـ مع هذا لم تستطع غلبة بريطانيا العظمى و إرغامها على طلب الصلح.

٤ ـ خاضت إيطاليا عدة معارك لم تنجح فيها إلا بنجدة حليفتها المانيا مما دعا موسولينى لأن يخشى أن يُصبح تابعاً لألمانيا، فقد كان يشكو من هتلر الذى (يدعوه قرع الجرس وعندما يلتقيان لايدع له مجالاً لقول كلمة).

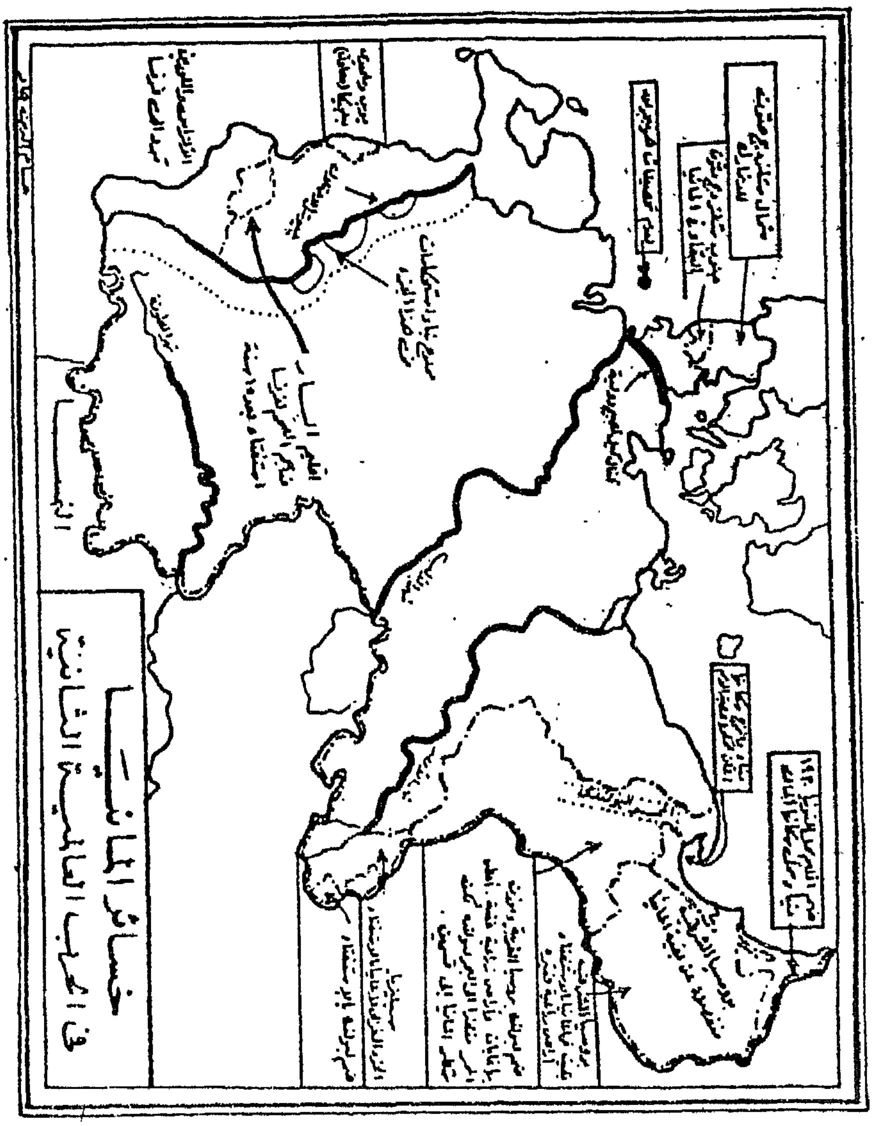
٨ ـ هتلر يعلن الحرب على روسيا:

فى ٢٢ يونيو ١٩٤١ أعلن هتلر الحرب على روسيا وأرسل بفرقه المصفحة وملايين من مقاتليه عبر الحدود الروسية، وقد أصطدم هذا القرار من هتلر باعتراض الزعماء العسكريين فى جيشه الذين كانوا يريدون أن يصرف جميع الجهد لمواجهة انجلترا، وكان من الواضح أن صنع الدبابات والمدفعية اللازمة لحرب روسيا سيعنى الإبطاء فى صنع الغواصات اللازمة لحرب انجلترا ـ كما كان واضحاً أنه حتى إذا تحقق هدفه بسحق روسيا بحرب سريعة قصيرة فإن احتلال أراضيها الواسعة سيكون عبئاً ثقيلاً جداً على ألمانيا.

ما هى إذاً الأسباب التى دعت هتلر إلى القيام بهذه المخاطرة العجيبة؟

يمكن أن نُجمل بعض ما قيل فى تبرير هذا العمل:

١ ـ إن الاتحاد السوفيتى لم يُراع المعاهدة المبرمة بين ألمانيا وروسيا فى عام ١٩٣٩ فقد حارب فنلنده وابتلع بلاد البلطيق واحتل بسارابيا.



خريطة شكل (١٠)

لكن هذه الحجج تبدو ضعيفة فى ضوء المعاهدة السرية الألمانية السوفيتية.

٢ ـ إن الاتحاد السوفيتى مازال يعمل بواسطة (الشيوعية الدولية) ضد النازية فى ألمانيا نفسها.

٣ ـ إن الاتحاد السوفيتى يقوم بتعبئة جيوشه استعداداً للهجوم على ألمانيا.

هذه هى الأسباب التى تتردد لتبرير هذا العمل ـ لكن العوامل الحقيقية تتركز فى أنه فى خريف عام ١٩٤٠ أدرك هتلر أن النزاع بين الجرمانية لايمكن تجنبه ـ فخطوط توسع الإتحاد السوفيتى وألمانيا تتلاقى، فقد قامت روسيا بإحتلال بلاد البلطيق وبسارابيا، بينما دخلت الجيوش الألمانية رومانيا وهكذا يوشك النفوذ الألمانى والنفوذ الروسى أن يلتقيا ويتصارعا.

وكانت ألمانيا قد وجهت نظر روسيا إلى أنه يجب أن تبحث عن مجال توسع لها فى آسيا، وعليها أن تعمل فى هذه الجبهة ـ لكن يبدو أن هتلر أدرك أن التفاهم مع روسيا على هذا النحو أمر مستحيل ـ ولذا قرر أن يسبق فى العمل ولايترك الروس يعدون عدتهم للمواجهة.

وكان يرى أنه يجب إنهاء المشكل الروسى أولاً وحينئذ ستتهاوى انجلترا نفسها لأنها تفقد عند ذلك كل أمل.

هذا وكان هتلر يطمع بلاشك فى أن يستحوذ فى حرب خاطفة على قمح أوكرانيا، وبترول القوقاز والموارد الصناعية فى نهر الفولجا.

وحدث الهجوم الألمانى على روسيا على ثلاثة خطوط كبيرة للقتال:

الهجوم الأول: خلال دول البلطيق إلى لننجراد.

الهجوم الثانى: خلال روسيا البيضاء إلى سمولنسك، وموسكو.

الهجوم الثالث: خلال جنوب بولنده تجاه أوكرانيا.

وقد اكتسح الألمان فى الميدان الشمالى دول البلطيق فى وقت قصير ووصلت قواتهم الزاحفة إلى مشارف لننجراد فحاصروها طوال ستة عشر شهراً تقريباً.

وفى القطاع الأوسط استولوا على سمولسك وتوقفوا لإعداد هجومهم على (موسكو) لكن الروس استماتوا فى الدفاع عن عاصمتهم وأمكنهم وقف القوات الألمانية طوال الشتاء على بعد ٥٠كم من ضواحى موسكو.

وفى الجنوب اكتسحت القوات الألمانية أوكرانيا وشقت طريقها على طول البحر الأسود إلى (أوديسا)، فسقطت (كييف) فى أيديهم، وأوديسا وخاركوف، واخترقوا شبه جزيرة القوم واستحوذوا على جميع انحائه ما عدا ثغر (سيباستبول) الحصين.

وهكذا فقد الروس حقولهم الغنية بالحنطة فى أوكرانيا، والجهات الصناعية فى حوض الدنيبر، ومناجم الفحم وجميع أنحاء شبه جزيرة القرم ما عدا (سيباستبول).

لكن حل الشتاء الروسى القارس البرد والألمان على أبواب موسكو ولننجراد التى استعصى عليهم فتحها فوقفوا حيارى أمام هذا العدو الجبار الذى لاتنفد موارده من الرجال والعتاد رغم ما حاق به من خسائر.

وفى عام ١٩٤٢ ركز الألمان هجومهم فى ٢٨ يونيو فاستولوا على (ستباستبول) وبذلك دخلت فى قبضتهم شبه جزيرة القرم بأكملها ثم زحفت القوات الألمانية فى اتجاه حقول بترول القوقاز ومدينة (ستالنجراد) ذات الأهمية الصناعية الكبرى.

لكن الروس دافعوا عن (ستالنجراد) بضراوة منقطعة النظير وخسر الألمان فى هجومهم على (ستالنجراد) ما يقرب من مليون مقاتل ـ وتحول الأمر إلى إرتداد عاجل ـ فأكره الألمان على الجلاء عن القوقاز، وما جاء منتصف يناير عام ١٩٤٣ حتى كان الروس قد تمكنوا من رفع الحصار عن لننجراد، وتوالت هجمات الروس فتمكن الجنرال تيموشنكو (Timoshenko) من مهاجمة القوات الألمانية التى كانت تحاصر موسكو وأرغمها على الإنسحاب.

وكانت هجمات الروس فى الجبهة الروسية متفقة مع هجمات الحلفاء فى شمال أفريقية، وفى إيطاليا، وأوقف الشتاء الروسى بزمهريره الشديد ـ القتال فى جميع القطاعات، ثم أستؤنفت المعركة فى يوليو سنة ١٩٤٣. وأخذ الروس يتقدمون تقدماً مطرداً فأستردوا مدنهم الواحدة تلو الأخرى وأكرهوا عدوهم على الإرتداد فطرد الألمان من أوكرانيا، وغزوا شبه جزيرة القرم واستعادوها.

ووصل الروس فى الشمال إلى حدود أستونيا، وفى الوسط إلى القرب من حدود بولنده، وفى الجنوب تجاوزوا حدود رومانيا.

وهكذا كانت الحملة الروسية وبالاً على هتلر.

٩ ـ دخول الولايات المتحدة واليابان الحرب:

كانت الولايات المتحدة تحتفظ رسمياً بحيادها، بينما كانت تقدم مساعدات إقتصاديةوحربية هامة للحلفاء، فقد كان الرأى العام الأمريكى لازال غير راغب فى الزج بأمريكا فى شئون أوروبا ومشاكلها.

لكن بعد إنهيار فرنسا فى صيف ١٩٤٠ ووقوف بريطانيا وحدها فى المعركة ــ بذل الرئيس (روزفلت) جهده ليقدم ما يمكن تقديمه من عون لإنجلترا فى حربها البطولية ضد الألمان وحلفائهم.



خريطة شكل رقم (١١)

ففى مارس ١٩٤١ اعتمد الرئيس روزفلت (قانون الإعارة والتأجير) وبمقتضاه وهبت الولايات المتحدة لبريطانيا، والصين، وروسيا، حينما دخلت الحرب فى جانب الحلفاء - مواد غذائية وحربية تقدر بملايين الدولارات فأصبحت الولايات المتحدة بمثابة المصنع الأكبر لقوات الحلفاء.

وفى ١٤ أغسطس ١٩٤١ اجتمع روزفلت وتشرشل بجزيرة نيوفوندلند حيث وضعا سوياً (ميثاق الأطلنطى) (Atlantic Charter) وهو فى مبادئه تأكيد للمبادىء التى نادى بها من قبل الرئيس ولسن.

فهو يؤكد حق جميع الشعوب فى تقرير مصيرها بنفسها، وحقها فى الحكم الذاتى، ويدعو للإمتناع عن استخدام القوة كأداة لتسوية الخلافات الدولية.

على أن السبب المباشر لدعوة الولايات المتحدة للحرب علناً يرجع لتوتر العلاقات بين اليابان والولايات المتحدة.

فقد كانت اليابان تطمع فى تكوين إمبراطورية شاسعة فى الشرق الأقصى على حساب الصين، وفى الهند الصينية الفرنسية مستغلة ضعف حكومة فيشى لكن الولايات المتحدة وجدت فى ذلك خطراً على مصالحها فوقفت فى وجه أطماع اليابان وساعدت الصين فى صمودها ضدها.

وحدث أن الحكومة اليابانية أرسلت وفداً للولايات المتحدة للتفاوض فى وسائل إزالة أسباب الإحتكاك بين الدولتين - لكن بينما المفاوضات جارية بين الطرفين - قذفت اليابان الأسطول الأمريكى فى المحيط الهادى الراسى بالقاعدة الأمريكية البحرية الكبيرة فى بيرل هاربر (Pearl Harber) بالقنابل وأغرقته - فلم يكن أمام الكونجرس الأمريكى إلا إعلان الحرب على اليابان وبادرت المانيا وإيطاليا بإعلان الحرب على الولايات المتحدة تضامناً مع خليفتها اليابان - وهكذا دخلت الولايات المتحدة الحرب ضد المحور بعد هذا العدوان اليابانى.

وكان موقف الحلفاء حين دخلت الولايات المتحدة الحرب غاية فى السوء فقد كانت جيوش هتلر مسيطرة على أوروبا الغربية، ودول البلقان ومتوغلة فى قلب روسيا، وكانت الغواصات الألمانية مسيطرة على المحيط الأطلنطى، وشمال أفريقيا خاضعة لسلطان المحور، وروميل يهدد حدود مصر الغربية.

وأحرزت اليابان بعد ذلك عدة إنتصارات فاستولت قواتها على سيام، وشمال شرق الملايو، وهونج كونج، وسنغافورة، وجزر الهند الشرقية وفتح الطريق أمامهم إلى إستراليا، ودخل اليابانيون عاصمة بورما.

وهكذا استطاع اليابانيون فى أقل من ستة أشهر أن يقضوا على الإمبراطوريات الإستعمارية الخاضعة لبريطانيا، وهولندا، والولايات المتحدة - فى الشرق الأقصى.

وشهد عام ١٩٤٢ معارك بحرية ضارية بين أسطول الدولتين.

وهكذا يمكن أن نجمل موقف الفريقين المتحاربين فى عام ١٩٤٢ فيما يلى:

أ - كانت ألمانيا، وإيطاليا، واليابان وعدد من الدول الصغيرة التى سارت فى فلكها تحارب فى كفة، وبريطانيا ومستعمراتها وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية والصين ومعظم دول أمريكا الجنوبية فى الكفة الأخرى.

ب - وكانت ألمانيا وحلفائها قد استولت على مساحات شاسعة من أراضى أعدائها آهلة بالسكان والموارد الطبيعية.

فقد كانت تضخ لهم مزارع القمح فى أوكرانيا، ورومانيا، والبترول فى رومانيا وجزر الهند الشرقية. ومناجم القصدير ومزارع المطاط فى بلدان الشرق الأقصى.

بينما الحلفاء كانوا يسيطرون على موارد البترول والحديد فى نصف الكرة الغربى.

جـ - كانت ألمانيا تسيطر على شعوب فرنسا، وبولنده واليونان ويوغوسلافيا - التى تكن لها العداء وتتحين الفرص للخلاص منها - ولذلك كثرت الفتن والقلاقل والمؤمرات ضدها فى هذه البلاد بينما حظيت دول الحلفاء بشخصيات فذه كان لها وزنها وتقديرها وكانت تحظى شعوبها مثل ونستن تشرشل، وفرانكلين روزفلت.

د - كانت دول المحور تفتقر للسياسةالموحدة، ولم يكن لها هيئة أركان عليا موحدة، وبينما كانت إيطاليا عبئاً ثقيلاً على حليفتها، أضطرت لنجدتها فى أكثر من ميدان فإن اليابان كانت تقاتل لتحقيق مصالحها الشخصية فى الشرق الأقصى.

١٠ - معركة العلمين:

فى يونيو ١٩٤٢ زار ونستن تشرشل واشنطن، وأتفق مع الرئيس روزفلت فى البيت الأبيض على خطة تقضى بأن تبدأ القوات البريطانية هجومها من مصر على قوات المحور بينما يغزو جيش أمريكى - بريطانى المستعمرات الفرنسية بشمال أفريقيا.

وتنفيذاً لهذا الإتفاق بدأ الجنرال منتجومرى (Montgomery) قائد الجيش الثامن البريطانى هجومه يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢ حيث وقعت معركة (العلمين) الحاسمة فاخترق خطوط دفاع القوات الألمانية التى كان يقودها روميل (Rommeil) واستعاد الجيش الثامن البريطانى (طُبرق والعقيلة) وسقطت فى يده (طرابلس) فى ٢٣ يناير ١٩٤٣.

وفى نفس الوقت كانت القوات الأمريكية والبريطانية التى جاءت من الأطلنطى قد نزلت فى موانى المغرب والجزائر وأخذت تزحف من الغرب.

وهكذا واجه روميل قوات الجيش الثامن البريطانى الزاحفة من الشرق، وقوات الجيش الأول البريطانى تعاونه فرقة أمريكية وكتائب فرنسية من الغرب، وفى ٧ أبريل تم اتصال جيوش الحلفاء من الشرق، والغرب وأطبق الجيشان على جيش روميل الذى أضطر للتسليم فى مايو ١٩٤٣ وتمكن روميل من الفرار جواً مع بعض معاونيه إلى ألمانيا لكنه لقى مصرعه بعد ذلك فى صيف ١٩٤٤م.

١١ ـ سقوط إيطاليا فى يد الحلفاء ونهاية موسولينى:

فى يونيو ١٩٤٣ اتجه الحلفاء لتطهير البحر المتوسط من قوات العدو البحرية ليمكن لهم إستخدامه من جديد فى نقل جنودهم ومهماتهم، فأنزلوا قواتهم فى صقليه واستولوا عليها وكان سقوطها عظيم الأثر من الناحية العسكرية ـ حتى أن مجلس الفاشست الأعلى اضطر موسولينى بعد هذا الحادث للإستقالة فى ٢٥ يوليو وخلفه فى رياسة الحكومة الإيطالية المارشال بادوليو (Badoglio) فأسرع على الفور فى فتح باب المفاوضات مع الحلفاء لعقد الهدنة وقد وقعت الهدنة فى ٣ سبتمبر ومن شروطها:

- إستسلام إيطاليا بدون قيد أو شرط.
- تتوقف القوات الإيطالية البريه عن القتال.
- تسليم الحلفاء جميع الموانى والمطارات الإيطالية.

لكن ألمانيا أسرعت باحتلال (روما) وسيطر الألمان من جديد على جميع مرافق البلاد.

وأضطر الإنجليز والأمريكان لإنزال قواتهم فى جنوب إيطاليا وبدأت زحفها صوب الشمال، وسقطت فى أيديهم المدن الإيطالية الواحدة تلو

الأخرى - وفى ٢٩ أبريل ١٩٤٥ أضطر الألمان لإيقاف القتال فى إيطاليا واستولى الحلفاء على كل شبه الجزيرة.

وكان الألمان قد نجحوا فى إرسال قوة من الجنود الفدائيين لإنقاذ موسولينى من معتقله - لكن بعد أن أنقذه الألمان تمكنت إحدى كتائب المقاومة الإيطالية من القبض عليه فى ٢٨ ابريل ١٩٤٥ وحوكم وأعدم - وهكذا انتهت حياته قبل أن تنتهى الحرب وتنتهى حياة رفيقة فى القتال.

١٢ - الجبهة الغربية:

فى عام ١٩٤٣ حدث أول إجتماع بين الزعماء الثلاثة روزفلت وتشرشل، وستالين فى طهران وتقرر فيه قيامهم بهجوم على أوروبا من ثلاث جهات الغرب والجنوب والشرق - وعين الجنرال ايزنهاور (Eisenhower) قائداً عاماً لقوات الغزو، والجنرال مونتجمرى قائداً للجيوش البريطانية تحت إمرته.

تحرير فرنسا:

بدأ غزو الحلفاء فى ٦ يونيو ١٩٤٤ فى نورماندیا على الساحل الشمالى لفرنسا وتمكن الحلفاء بتفوقهم الجوى من تدمير مواصلات العدو، كما مكنهم تفوقهم البحرى من إرسال الرجال والمؤونة لقواتهم الغازية.

وتقدمت جيوش الحلفاء وأخذت المدن الفرنسية تسقط الواحدة تلو الأخرى فى يد قوات الغزو الأمريكية والإنجليزية، واشترك جنود حركة المقاومة السرية الفرنسية بقيادة الجنرال ديجول فى عمليات تحرير بلادهم، وفى ٢٣ أغسطس تم تحرير باريس ودخلها (الجنرال ديجول).

وفى نفس الوقت كان الحلفاء ينزلون جنودهم على ساحل الريفيرا الفرنسى بين طولون، ونيس، فسقطت فى أيديهم طولون، ومرسيليا، وليون

ولم يمض وقت طويل حتى كانت معظم أراضى فرنسا ـ عدا مقاطعتى الألزاس واللورين قد حُررت.

تحرير بلجيكا وهولندا:

تقدمت القوات الإنجليزية وعبرت السوم، واجتازت حدود بلجيكا وحررت بروكسل فى ٣ سبتمبر ١٩٤٤، ووقع جنوب هولندا فى قبضة البريطانيين، واستحوذ الأمريكيون على (ستراسبورج) وبذلك وصل الحلفاء إلى حدود المانيا الغربية حيث عقدالألمان العزم على الوقوف فى وجه عدوهم وقفتهم الأخيرة.

١٣ ـ تقدم الجيوش الروسية:

وفى الجبهة الشرقية تقدم الروس داخل الأراضى الفنلندية وأضطروا الفنلنديين للتسليم، كما هاجم الروس دويلات البلطيق وبولندا فسطت مدنها فى أيديهم الواحدة تلو الأخرى، ووصلوا إلى نهر الفستولا فصاروا على مدى عشرة أميال من وارسو، ولما ثار أهلها فى وجه المحتلين الألمان قمعوا الثورة بعنف وهدموا مبانيها.

وبدأ الروس هجومهم فى البلقان فأعلنت رومانيا قبولها الهدنة ودخل الروس (بوخارست) وزحفوا على الدانوب حيث وجدوا معاونة صادقة من قوات المقاومة اليوغسلافية بقيادة المارشال تيتو (Tito) ووقعت هنغاريا هدنة مع الروس فى ٢٠ يناير ١٩٤٥.

١٤ ـ جيوش الحلفاء تدخل الأراضى الألمانية:

أكرهت الجيوش الألمانية من الشرق ومن الجنوب ومن الغرب على الإرتداد بسرعة داخل الحدود الألمانية وبذلك دخلت الحرب فى طورها الأخير.

وفى فبراير عام ١٩٤٥ قام الحلفاء بهجوم عام على الجبهة الغربية وبدأ القتال داخل الأراضى الألمانية ذاتها فطهر الحلفاء الشاطىء الغربى لنهر الراين، وفى الجنوب سقطت مدن السار الواحدة تلو الأخرى فى أيدى القوات الأمريكية والفرنسية ـ ولم ينته شهر مارس حتى كان الحلفاء قد قضوا على كل مقاومة ألمانية منظمة غرب الراين.

وفى الشمال عبرت جيوش منتجومرى الرين الأدنى وطوقت منطقة الرهر الغنية بمصانعها ومناجم الفحم والحديد ـ وأخذ الحلفاء يزحفون فى قلب المانيا وتسقط فى أيديهم مدنها التى حولتها قنابلهم إلى أنقاض واحدة تلو الأخرى.

وكان الروس بعد أن سقطت (فيينا) فى أيديهم قد وصلوا إلى مشارف برلين فى ابريل ١٩٤٥ ـ وتقابلت جيوش الحلفاء المطبقة على عاصمة المانيا من الشرق والغرب، وسقطت (برلين) فى الثانى من مايو ١٩٤٥ ـ واستسلمت باقى الجيوش الألمانية المقاتلة.

وكان هتلر قد اثر الانتحار عن الوقوع فى قبضة أعدائه ووجدت جثته فى المخبأ الذى شيده تحت دار المستشارية.

وفى السابع من مايو ١٩٤٥ وقع الجنرال جودل (Jodl) رئيس هيئة أركان الحرب الألمانية وثيقة التسليم من غير قيد أو شرط فى رياسة أركان حرب الجنرال إيزنهاور.

١٥ ـ قتال اليابان:

بعد سقوط حليفاتها وقفت اليابان بمفردها فركزت الولايات المتحدة وبريطانيا جميع مواردهما وقواتهما لقتالها.

وكانت القوات البريطانية قد أوقعت فى أوائل ١٩٤٥ هزيمة عنيفة باليابان فى بورما، كما أن الحلفاء نجحوا فى تحرير العديد من جزر المحيط الهادى، كما أحرز الأمريكيون نصراً على اليابان فى جزر الفلبين ودخولا (مانيلا) العاصمة فى ٤ فبراير ١٩٤٥م.

واقترب القتال تدريجياً من الجزر اليابانية ذاتها فأستولى الأمريكيون على أوكناوا، وجزر غينيا الجديدة، وبريطانيا الجديدة وبورنيو.

وفى ٢٦ يوليو سنة ١٩٤٥ عقدت أمريكا وبريطانيا والصين مؤتمراً فى بنسدام (Potsdam) وتقرر تقديم إنذار نهائى إلى اليابان تُخير فيه بين الإستسلام دون قيد أو شرط أو ينزل بها الحلفاء (الخراب والدمار التام المعجل).

ولما تجاهلت اليابان الإنذار الموجه لها - ألقت طائرة أمريكية على هيروشيما فى ٦ أغسطس ١٩٤٥ القنبلة الذرية الأولى التى أستخدمت فى الحرب فأحدثت تدميراً لم تشهد البشرية مثله.

فقد بلغ عدد القتلى من اليابانيين نتيجة هذه القنبلة وحدها ٨٠ر٠٠٠ والجرحى ١٢٠ر٠٠٠ وبعد ثلاثة أيام ألقيت قنبلة أخرى على ناجازاكى.

وفى ١٠ أغسطس ١٩٤٥ طلبت اليابان الهدنة - وفى ٢ سبتمبر ١٩٤٥ وقع اليابانيون وثيقة التسليم على ظهر باخرة أمريكية فى خليج طوكيو.

وهكذا انتهت الحرب الثانية وكان على الدول المنتصرة أن تواجه مشكلات ما بعد الحرب ومعاهدات الصلح مع الدول المنهزمة.

❊ ❊ ❊

الحادى عشر

المشكلات الدولية عقب الحرب العالمية الثانية

ومحاولات حلها

واجه العالم بعد الحرب العالمية الثانية العديد من المشكلات الخطيرة - بعضها مشكلات سياسية، والبعض الآخر مشكلات إجتماعية وأخرى إقتصادية - وكانت بعض هذه المشكلات قد وضحت أثناء الحرب، وقد عقد الحلفاء أثناء الحرب العديد من المؤتمرات لمناقشة بعض هذه المشكلات.

أولاً: أهم هذه المشكلات التى واجهت العالم بعد الحرب:

١ - الأوضاع فى ألمانيا: ظهرت خلافات بين الدول المنتصرة بخصوص النظام السياسى المقبل فى ألمانيا - نظام الوحدة أو نظام الإتحاد (الفيدالى) - هذا بالإضافة لقضية التعوضيات الألمانية واهتمام الدول المنتصرة باستئصال شأفة التازيين من جميع نواحى الحياة الألمانية.

٢ - منطقة الدانوب: كسب الإتحاد السوفيتى مراكز هامة فى أثناء الحرب فى رومانيا، وبلغاريا، والنمسا - وبالطبع لم يكن مقبولاً أن تتخلى الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى عن هذ هالمناطق الحساسة من أوروبا للنفوذ الروسى.

٣ - البحر المتوسط: كان يهم إنجلترا ألا يتغلغل النفوذ الروسى لهذا البحر - لكن بدأت تظهر حتى فى أقطار هذا البحر أحزاب شيوعية - ففى اليونان مثلاً إحتدم الصراع بين الأحزاب اليسارية المتطرفة، والأحزاب المواليه للغرب ومع أن انجلترا قررت سحب جيوشها من اليونان فى عام ١٩٤٦ - لكن الولايات المتدحة الأمريكية أحلت نفوذها محل نفوذ انجلترا.

٤ ـ القضية اليابانية: زالت الإمبراطورية اليابانية بهزيمة اليابان فى الحرب ووقعت اليابان ذاتها تحت إحتلال الولايات المتحدة الأمريكية ـ وحاولت الولايات المتحدة أن تجعل من اليابان دولة ديمقراطية، وكانت المشكلة إلى أى حد يمكن حدوث هذا التغيير الجذرى فى العقلية اليابانية؟.

٥ ـ القضية الصينية: كانت الصين تعانى من مشكلة ضخمة، مشكلة الخلاف بين حكومة (تشانج ـ كاى شيك) الوطنية التى يساندها الغرب، والحكومة الشيوعية التى يساندها الإتحاد السوفيتى ـ وكان الوضع فى الصين شبيهاً بالوضع الذى أدى للحرب الأهلية فى أسبانيا حيث كانت الدول الكبرى تدعم الحزبين المتناحرين.

هذا كما أن كلاً من الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتى كان له مصالح إقتصادية وسياسية فى الصين.

٦ ـ قضية مستعمرات الدول الغربية: كانت لكل من إنجلترا وفرنسا مستعمراتها فى أفريقيا وآسيا بالذات ـ وبعد الحرب الثانية لم يعد لهما المكانة التى كانت لهما من قبل، كما أن المبادىء التى أعلنت أثناء الحرب وظروف الحرب ذاتها، والأفكار التى تبنتها الشيوعية الدولية، وموقف الولايات المتحدة الأمريكية المناوىء للإستعمار ـ كل هذا شجع أنصار الإستقلال فى هذه المستعمرات وكان على الدول الكبرى أن تواجه هذا الموقف.

٧ ـ تنافس الإتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية: من أهم المشكلات التى أسفرت عنها الحرب العالمية الثانية ظهور الإتحاد السوفييتى، والولايات المتحدة الأمريكية كقوتين متنافستين.

الولايات المتحدة تعتمد على قوتها الإقتصادية وقوتها العسكرية وإمتلاكها للقنبلة الذرية.

والإتحاد السوفيتى يعتمد على ما كسبه من نفوذ أثناء الحرب فى أوروبا والشرق الأقصى ـ ويخشى أن تتشكل فى أوروبا (كتلة غربية) يسيطر فيها نفوذ الولايات المتحدة، ويريد بدوره نشر نفوذه ومبادئه على نطاق عالمى واسع.

٨ ـ المشكلات الإجتماعية والإقتصادية: لقد خلفت الحرب ملايين من البؤساء المحرومين من الطعام والملابس والعقاقير، بالإضافة إلى مشوهى الحرب والعجزة ـ وكان لابد من مواجهة هذه المشكلات المستعصية فى مختلف الدول سواء المنتصرة أو المنهزمة.

ثانياً: مؤتمرات الحلفاء أثناء الحرب:

عُقدت عدة مؤتمرات للدول المتحالفة أثناء الحرب أشرنا لبعضها فيما مضى ومنها:

١ـ المؤتمر الذى عُقد فى يونيو ١٩٤٣ وأسفر عن إنشاء هيئة للإغاثة والتعمير ـ بهدف إسعاف الملايين من البؤساء المحرومين الذى سوف تخلفهم الحرب.

٢ ـ مؤتمر برتين وودز (Burton Woods) بالولايات المتحدة ـ اجتمع فى صيف سنة ١٩٤٤ وقرر إنشاء هيئتين دوليتين لتنظيم النقد والمعاملات المالية الدولية ـ إحداهما مصرف دولى للإنشاء والتعبير، والثانية صندوق دولى للنقد يعمل لإزالة العوائق التى قد توجد لتحويل النقد بين دول العالم.

٣ ـ مؤتمر كازابلانكا (Casablanca Conferenc) ـ عُقد فى يناير ١٩٤٣ بين روزفلت وتشرشل وأيدته ـ روسيا فيما بعد ـ صرحا فيه بأن هدف الحلفاء من مواصلة الحرب ـ هو تسليم المانيا وإيطاليا واليابان تسليماً غير مشروط.

٤ ـ مؤتمر موسكو ـ فى أكتوبر ١٩٤٣ ـ عُقد بهدف وضع المبادىء الأساسية التى تعامل المانيا وفقها بعد إنتهاء الحرب.

ولخصت فى :

أ ـ تدمير المصانع الحربية الألمانية.

ب ـ حل الحزب النازى.

جـ ـ محاكمة مجرمى الحرب.

د ـ إقتلاع الروح العسكرية الألمانية من جذورها.

هـ ـ إنشاء مناطق مراقبة للحلفاء.

و ـ فرض تعويضات كبيرة على ألمانيا.

٥ ـ مؤتمر يالتا (Yalta) عُقد فى فبراير ١٩٤٥ فى يالتا بالقرم بين ٧، ١٢ فبراير ١٩٤٥ وأتفق فيه على تقسيم ألمانيا إلى أربع مناطق تشرف على كل منها الولايات المتحدة وبريطانية وروسيا وفرنسا.

٦ ـ مؤتمر بتسدام (Postdam) ـ اجتمع فى بتسدام فى ١٧ يوليو ١٩٤٥ ترومان، وستالين، وإتلى الذى تولى رئاسة الوزارة البريطانية بعد تشرشل وقد اتخذ هذا المؤتمر قرارات لتنظيم إشراف على إدارة المانيا، والمبادىء السياسية والإقتصادية التى سيسير الحلفاء بمقتضاها مدة إحتلالهم أرضها.

ثالثاً: معاهدات الصلح بين الحلفاء والدول المنهزمة

أ ـ الصلح مع إيطاليا

فى ٨ ديسمبر ١٩٤٣ انهارت الحكومة الفاشية وخرجت إيطاليا من تحالفها مع ألمانيا وأعلنت الحرب عليها وفى ١٠ فبراير ١٩٤٧ وقعت

معاهدة الصلح بين إيطاليا ومندوبى دول الحلفاء، وقد اعتبر الحلفاء إيطاليا دولة محاربة فى صفوفهم، وبموجب هذه المعاهدةتقرر:

أ ـ عودة حدود إيطاليا إلى ما كانت عليه فى أول يناير ١٩٣٨ مع بعض التعديلات الطفيفة لصالح فرنسا ويوغسلافيا.

ب ـ تنازلت إيطاليا لليونان عن جزر الدوديكانيز ليمكن تجريد هذه الجزر من السلاح.

جـ ـ اعترفت إيطاليا باستقلال الحبشة، وألبانيا.

د ـ تنازلت إيطاليا عن مستعمراتها السابقة فى ليبيا واريتريا والصومال.

و ـ تقرر أن تكون (تريستا) منطقة حرة مستقلة تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة.

٢ ـ معاهدات الصلح مع بلغاريا ورومانيا وهنغاريا:

وضع مندوبو دول الحلفاء فى باريس فى ١٠ فبراير ١٩٤٧ (نفس تاريخ توقيع معاهدة الصلح الإيطالية) معاهدات صلح مع كل من بلغاريا ورومانيا وهنغاريا وفى هذه المعاهدات تقرر:

أ ـ عودة حدود هنغاريا إلى ما كانت عليه فى أول يناير ١٩٣٨.

ب ـ تبقى حدود رومانيا وبلغاريا، كما كانت عليه فى أول يناير عام ١٩٤١م.

جـ ـ تكون الملاحة فى نهر الدانوب حرة، ومفتوحة لرعايا وبضائع وسفن جميع الدول.

د ـ تكفل الحريات الأساسية والحقوق الإنسانية للأقليات اليهودية.

هـ ـ فرض على كل من هذه الدول مبالغ مالية تقرر دفعها بوصفها تعويضات، وقد قامت فى كل من هذه الدول (جمهوريات شعبية) لها دساتير مماثلة لدستور الإتحاد السوفيتى.

٣ ـ الوضع مع ألمانيا:

قرر مؤتمر بتسدام فى ١٧ يوليو ١٩٤٥ ـ كما ذكرنا ـ تقسيم ألمانيا إلى منطاق إحتلال أربع، ورغم أنه أنشىء (مجلس إشراف رباعى أعلى) ولكن لم يمكن التوفيق بين سياستى المعسكرين الغربى والشرقى فألغى هذا المجلس.

وقد أقامت الإدارات العسكرية للحلفاء نظاماً للحكم فى الأقاليم الخاضعة لها بألمانيا.

وانتهى الأمر فى عام ١٩٤٩ بإنشاء جمهوريتين المانيتين إحداهما فى الغرب وعاصمتها بون والأخرى فى الشرق ومقرها برلين.

٤ ـ الوضع مع النمسا:

قسم الحلفاء النمسا عقب إحتلالها إلى أربع مناطق إحتلال كل منطقة منها لإحدى دول الحلفاء الأربع ـ روسيا، والولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا ـ وأنشئت لجنة إشراف عليا من ممثلى هذه الدول ـ وفى عام ١٩٤٦ اعترفت دول الحلفاء بإستقلال النمسا وقامت بها حكومة مستقلة.

٥ ـ الوضع فى تشيكوسلوفاكيا، ويوغسلافيا:

فى فبراير ١٩٤٨ أحدث أتباع البلاشفة إنقلاباً حكومياً ترتب عليه إنضمام تشيكوسلوفاكيا إلى الدول التى تسير فى فلك روسيا.

لكن فى يوغسلافيا إنتفض المارشال تيتو (Tito) على نفوذ زعماء الروس وتقرب إلى المعسكر الغربى خاصة بعد أن أغدقت عليه دول الغرب، وخاصة الولايات المتحدة مساعداتها الحربية ومعونتها الإقتصادية.

٦ ـ معاهدة الصلح مع اليابان (معاهدة سان فرانسيسكو):

بعد استسلام اليابان عُهد إلى الجنرال ماك آرثر (Mac Arthur) بإدارة شئونها وقد استحوذ هذا القائد الأمريكى على ثقة العناصر اليابانية الحرة وعلى رأسها الإمبراطور (هيروهيتو)، وأمكنه بذلك أن يحدث دون إضطراب إنقلاباً شاملاً فى نظام المجتمع اليابانى فظهرت الحكومة من العناصر الرجعية وجعل نظام ملكية الأرض وتأجيرها أقرب إلى المبادىء الديمقراطية وأجبر الإمبراطور لأن يعلن علناً استنكاره لإعتقاد عامة شعبه بألوهيته المقدسة.

وفى ٨ سبتمبر ١٩٥٠ وقعت الدول الغربية فى سان فرانسيسكو.

معاهدة صلح من اليابان وبمقتضاها:

انتزعت من اليابان جميع الأراضى التى كانت قد استولت عليها من الصين وجميع فتوحاتها التى استولت عليها منذ الحرب العالمية الأولى.

٧ ـ وفيما يتعلق بكوريا:

قُسمت إلى قمسين أحتلت الولايات المتحدة الجزء الجنوبى ـ بينما احتلت روسيا الجزء الشمالى، وفى ١٩٤٨ جعلت كوريا الجنوبية جمهورية لكن هاجمت قوات كوريا الشمالية، تؤازرها قوات السين وروسيا الشيوعيتين كوريا الجنوبية مما أدى لتدخل قوات الولايات المتحدة لرد العدوان.

❀ ❀ ❀

الثانى عشر
هيئة الأمم المتحدة - أهدافها ومنظامتها

كان من نتائج إخفاق عصبة الأمم فى تحقيق الهدف الرئيسى منها وهو كفالة إستقلال الدول الصغيرة وصون السلام العالمى ومنع أشتباك أمم العالم فى حرب طاحنة للمرة الثانية - أن صمم قادة دول الحلفاء على وضع نظام دولى جديد يكفل درء خطر حرب ثالثة عن الجنس البشرى.

وقد اعترف الكبار الثلاثة (روزفلت - تشرشل - ستالين) أثناء انعقاد مؤتمو موسكو (١٩٤٣) والحرب مازالت دائرة بضرورة وضع تنظيم دولى يكفل السلام ويقوم على مبدأ المساواة وصون السيادة بين جميع الدول المحبة للسلام، على أن تفتح باب العضوية لجميع الأمم صغيرها وكبيرها.

ولهذا الهدف اجتمع ممثلو بريطانيا وروسيا والولايات المتحدة والصين فى الفترة بين أغسطس وأكتوبر ١٩٤٤ - بواشنطن للعمل لوضع المشروعات التمهيدية للمنظمة الدولية المقترحة.

ميثاق الأمم المتحدة:

اجتمع فى سان فرنسيسكو ممثلو ٥١ دولة فى الفترة من أواخر ابريل ١٩٤٥ حتى يونيو من نفس العام وأسفر اجتماعهم فى النهاية عن إغلان ميثاق الأمم المتحدة.

وقد حدد الميثاق هدف هذه المنظمة الدولية - فى إنقاذ الأجيال المتعاقبة من لعنة الحرب. وأن تؤكد من جديد الإيمان بحقوق الإنسان الأساسية وكرامة الفرد، والمساواة فى الحقوق بين الجميع، واحترام المعاهدات الدولية والسعى إلى ازدياد التقدم الإجتماعى، وضمان عدم إستخدام القوات المسلحة إلا فى الصالح العام، واستخدام المنظمة الدولية لزيادة التقدم الإقتصادى والإجتماعى لجميع الشعوب.

منظمات الأمم المتحدة:

لتحقيق الأهداف السالفة أنشئت منظمة متعددة منها:

الجمعية لعامة:

من جميع أعضاء هيئة الأمم المتحدة، فلكل دولة صوت واحد فى الجمعية العامة تبحث الجمعية العامة جميع المسائل التى تدخل فى نطاق ميثاق الهيئة.

مجلس الأمن[1]:

من ١١ عضواً - وقد خصصت منها خمسة مقاعد بصفة دائمة للدول الكبرى (أمريكا، وفرنسا، وبريطانيا وروسيا والصين) والستة الباقية تنتخبهم الجمعية العمومية لمدة عامين.

ومهمة المجلس صون السلم والأمن الدوليين، ورفض المنازعات الدولية، وقد منح حق فى أن توضع تحت تصرفه أية قوات مسلحة يرى ضرورتها لصون السلام - وقراراته تنفذ إذا وافق عليها سبعة من أعضائه على الأقل بشرط أن يكون منهم جميع الدول الدائمين - فقد أعطيت هذه الدول (حق الفيتو) الذى يُبطل أى قرار فى حالة اعتراض أى دولة دائمة عليه.

محكمة العدل الدولية:

للفصل فى المنازعات الدولية التى تنشأ بين الحكومات ذات السيادة.

المجلس الإقتصادى والإجتماعى:

وهو يعمل لتحقيق الرخاء والرفاهية العامة بين جميع الشعوب.

---

(١) زيد عدد أعضائه إلى ١٥ عضواً.

مجلس الوصاية:

حل مكان لجنة الإنتداب الدائمة القديمة التى كانت عصبة الأمم قد أقامتها عقب الحرب العالمية الأولى ومهمته الأشراف على شئون المستعمرات السابقة لدول المحور.

اليونسكو (Unesco):

الهيئة المختصة بالشئون الثقافية.

منظمات أخرى:

كمؤسسة العمل الدولية، ومؤسسة الصحة العالمية، وموسسة الطعام والزراعة (FAO).

سكرتير الهيئة:

يشرف على أعمال الهيئة سكرتيرية عل رأسها السكرتير العام الذى تُعينه الجمعية العمومية بتوصية من مجلس الأمن، هذا وقد قرر أن تكون (نيويورك) المقر الدائم لهيئة الأمم المتحدة.

تقييم لعمل هيئة الأمم المتحدة:

يذكر الأمم المتحدة توفيقها فى حل الكثير من المشكلات التى عُرضت عليها مثل تسوية النزاع بين روسيا وايران، وقضية استقلال اندونيسا، والقضايا المتعلقة بإستقلال المستعمرات التى كانت خاضعة لإيطاليا مثل ليبيا، والصومال وغيرها من القضايا التى عُرضت على الهيئة بعد قيامها.

كذلك يذكر لمنظمات اليونسكو، ومنظمة الصحة العالمية، والعمل الدولى الخدمات التى قامت بها فى مختلف المجالات.

وتمتاز هيئة الأمم عن العصبة بما نصت عليه المادة ٤٣ من ميثاقهـ

الخاصة بإستحداث قوة بوليس دولية لمنع الإعتداء. كذلك المادة الخاصة بالعقوبات الإقتصادية ـ لكن لاشك فى أن إستخدام (حق الفيتو) على نطاق واسع وفى غير موضعه السليم ـ رغم أن واضعى الميثاق قصدوا ألا يستخدم إلافى حالات الطوارىء الهامة ـ وقف حائلاً دون أن تحقق الهيئة فى كثير من الحالات الآمال المعقودة عليها، تجلى هذا فى استعمال روسيا مثلاً ـ حق الفيتو لرفض طلبات العضوية التى قدمتها بعض الدول الحرة.

كما أن فشل المجلس الأمن فى الوصول إلى اتفاق فى مشاكل مثل الحرب الكورية، وفى الوصول إلى اتفاق عام بشأن الإشراف على الطاقة الذرية.

كل هذا خيب إلى حد ما آمال البشر فى أن تكون الهيئة أداة تحقق حلم البشرية فى سلم دائم.

لكن لاشك فى أن الأمال مازالت معلقة بما يمكن أن تحققه هذه الهيئة الدولية فى المستقبل للبشرية من رخاء ومن سلام.

❀ ❀ ❀

الثالث عشر

الحرب الباردة

والصراع بين الكتلتين

رغم إنشاء هيئة الأمم المتحدة - على أمل أن تنجح فيما لم تنجح فيه عصبة الأمم فى إحلال السلام فى العالم ومنع الصراعات - فقد انقسم العالم بعد الحرب العالمية الثانية إلى كتلتين تسعى كل منهما إلى السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من العالم، وأن تعمل على أن تضم إلى صفوفها أكبر عدد من الدول. وأصبح الصراع بين المبادىء التى تؤمن بها كل من القوتين والتى تتحكم فى سياستها واقتصادها.

وقد دفع هذا الصراع إلى سباق بين الكتلتين فى ميدان التسلح - خاصة فيما يتعلق بالأسلحة النووية، والأقمار الصناعية - وهكذا دخلت العلاقات بين الولايات المتحدة (المعسكر الغربى)، والإتحاد السوفيتى USSA (المعسكر الشرقى) - فيما عُرف بالحرب الباردة (Cold War)، وصرف كل من المعسكرين ملايين الدولارات لنشر نفوذه على أكبر عدد من الدول، وامتد هذا الصراع وهذه المحاولات لنشر النفوذ إلى مختلف قارات العالم، وبدأ أشد خطراً من الحروب السابقة التى اكتوى العالم بنارها.

فقد حاول الأتحاد السوفيتى توسيع حدود غرباً بالسيطرة على دول أوروبا الشرقية عن طريق إيجاد حكومات موالية فى هذه الدول تطبق النظام الشيوعى وذلك مقابل تقديم المعونات الإقتصادية وغيرها لتلك الدول.

وشهدت قارة أفريقيا صوراً من هذا الصراع، ففى عام ١٩٥٨ مثلاً أعلن جوليوس نيريرى فى تنزانيا بناء دولة إشتراكية وشهدت أثيوبيا، كما

شهد الصومال صوراً من هذا الصراع، وكذلك انجولا، وانتقلت هذه الأفكار إلى العديد من دول القارة التى كانت تعانى من الفقر والحاجة للمساعدات المالية مما فتح المجال أمام كل معسكر من المعسكرين للتلويح بما يمكن تقديمه من مساعدات للدول التى تحتاج إليها سواء فى أوروبا أو أفريقيا أو غيرهما، وقد ترتب على ذلك ظهور مشروعات للمساعدات كمشروع مارشال وزير خارجية الولايات المتحدة، وقد نظر الإتحاد السوفيتى لهذا المشروع كما صرح مولوتوف وزير خارجية الإتحاد السوفيتى «إنه ليس سوى استثمار للدولار الأمريكى، ومحاولةللتدخل فى أمور الدول المستقلة بإستغلال ظروفها الإقتصادية».

وقد تطورت الحرب الباردة بين الكتلتين إلى درجة أنه كان يخشى أن تؤدى إلى إصطدام دولى جديد، فقد شجعت الولايات المتحدة مثلاً الشيوعيين التشيك للخروج عن نطاق الإتحاد السوفيتى بما قدمته إلى تيتو من مساعدات ـ كذلك أدى ظهور الصين كدولة شيوعية قوية إلى إنتقال الصراع بين الكتلتين إلى الشرقى الأقصى.

وأدت الحرب الباردة إلى ظهور الأحلاف فقد شكلت دول الكتلة الغربية فى عام ١٩٤٩ (حلف الأطلنطى) ووضعت تحت تصرفه ما يبلغ ٢و٢ مليون مقاتل.

ورداً على ذلك وقعت الدول الشيوعية فى عام ١٩٥٥ ميثاقاً عُرف (بحلف وارسو) على غرار حلف الأطلنطى وصلت القوات التى تحت تصرفه ٤ و٣ مليون مقاتل.

وظهرت أحلاف أخرى مماثلة تعمل لحساب هذه الكتلة أو تلك مثل حلف بغداد التى حاولت أن تربط عن طريقه دول المعسكر الغربى ـ الدول العربية بها.

ومن نتائج هذه الحرب الباردة بين المعسكر الشيوعى والمعسكر الرأسمالى - سعت دول أوروبا الغربية لإقامة وحدة إقتصادية وقد ظهرت فكرة هذه السوق فى عام ١٩٥٧ وتطورت فى السنوات التالية حتى تقرر أخيراً أن يتم الإتحاد الكامل بين دول السوق فى عام ١٩٩٢.

ولاشك فى أن هذا التكتل الإقتصادى يهدف إلى تكوين وحدة إقتصادية كاملة تخدم الأغراض الإقتصادية والسياسية للدول الداخلة فى نطاق هذه الوحدة ولعل ذلك نابع من الإيمان بأن التطورات العالمية السريعة تجعل الكيانات الصغيرة المتنافرة أو غير المتسقة مع بعضها البعض لا تستطيع أن يعيش فى عالم اليوم.

على أن الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية لم يلبث أن هدأ منذ أصبح ميخائيل جورباتشوف (Gorbachev, Nichail) فى عام ١٩٨٠ سكرتيراً عاماً للإتحاد السوفيتى فقد وضع سياسة البيروسترويكا (Perestroika) بهدف إصلاح الأوضاع الإقتصادية فى الإتحاد السويفيتى.

وبدأ الإتحاد السوفتى ينفتح على العالم، وفى ١٩٨٧ زار الولايات المتحدة الأمريكية حيث وقع هو والرئيس ريجان (Regan) معاهدة الحد من الأسلحة النووية، وأعلن جورباتشوف سحب قوات الإتحاد السوفيتى من أفغانستان.

وقد زامن هذه الأحداث قيام ثورات فى دول أوروبا الشرقية ضد الكبت والسيطرة الحديدية المفروضة عليها، كما قامت فى ألمانيا حركات تطالب بتوحيد شطرى المانيا وتحطيم سور برلين الذى فرض العزلة بين الألمان الشرقيين، والألمان الغربيين منذ الحرب العالمية الثانية وتم ذلك ذلم فعلاً فى عام ١٩٩٠.

وهكذا انتهت الحرب الباردة التى ظلت سائدة بين المعسكر الشرقى والمعسكر الغربى على مدى نصف قرن من إنتهاء الحرب العالمية الثانية.

وترتب على إنتهاء هذه الحرب بهذه الصورة نتائج متعددة منها:

١ ـ هدأت حدة السباق على التسلح وبدأ تدمير الأسلحة النووية.

٢ ـ شهد الإتحاد السوفيتى صراعاً عنيفاً على السلطة، وقامت محاولة لخلع جورباتشوف عن السلطة بالقوة، وإن كان يلتسين قد نجح فى إنهاء حركة التمرد التى قام بها بعض المتآمرن من السياسيين القدماء ـ لكنه لم ينجح فى المحافظة على كيان الإتحاد السوفيتى فتحول هذا الإتحاد إلى عدة دول مستقلة ترتبط فيما بينها برباط (الكومنولث).

٣ ـ أصبحت روسيا بقيادة يلتسين هى الوريثة للإتحاد السوفيتى وقد وجد يلتسين تأييداً ومساندة من الولايات المتحدة خاصة لعلاج الأزمة الإقتصادية التى تواجهها روسيا.

٤ ـ انتشرت الحروب والمشاحنات فى العديد من الدول التى كانت تسير فى فلك الإتحاد السوفيتى المنحل.

٥ ـ أصبح مصير القوة الحربية والأسلحة النووية وغيرها مما كان فى حوزة الإتحاد السوفيتى ـ يقلق العالم الغربى بل العالم كله خشية أن تتسرب هذه الأسلحة للدول الطامعة فى المزيد من السلاح وتسبب اضطرابات ومشاكل فى جهات أخرى من العالم.

٦ ـ من الصراعات الدامية التى شهدها العالم ـ عقب تفكك الإتحاد السوفيتى ـ الحرب فى البوسنة والهرسك والحرب فى يوغوسلافيا، وقد أصبحت هذه الصراعات عبئاً على الأمم المتحدة ومنظماتها التى أصبح عليها أن تواجه هذه المجازر البشرية وما ترتب عليها من مجاعات.

وفى مواجهة الصراعات بين الكتلتين الشرقية والغربية ـ قبل تفكك الإتحاد السوفيتى ـ ظهرت قوة جديدة متمثلة فى (دول عدم الإنحياز) بدأت

تبرز منذ مؤتمر باندونج (١٩٥٥) فقد شعرت الدول الأفريقية والآسيوية بالذات بالحاجة للتضان فيما بينها لمواجهة القوتين العظميين الهادفتين للسيطرة على الدول النامية ومن ثم نشأت سياسة (الحياد الإيجابى) بمعنى عدم الإنحياز لأى من الكتلتين مع الإشتراك فى حل المشكلات العالمية بما يحقق العدالة ولجميع الشعوب فى أن تعيش فى سلام وفى تقرير مصيرها.

وقد لعبت دول عدم الإنحياز دوراً هاماً فى وسط هذا التيار، وكان لها دور فى تأييد كفاح الشعوب المناضلة من أجل وحدتها واستقلالها وفى محاربة التمييز والتفرقة العنصرية، وأصبح لها وزنها فى الأمم المتحدة وقراراتها - وقد نجحت دول عدم الإنحياز فى تخفيف حدة التوتر الدولى بين الكتلتين المتنافستين، ونادت بنزع السلاح وتحريم الأسلحة النووية وقيام مراقبة دولية عليها.

الرابع عشر
أوروبا بعد الحرب الباردة:

فى ٢٣ مارس ١٩٨٣ أعطى رئيس الولايات المتحدة رونالد ريجان ضربة الإبتداء فى حرب النجوم، وبهذا ألقى ريجان على الاتحاد السوفيتى فقاعة كهربائية تمنعه من إطلاق النار، ولم تعد الحماية تقتصر على مواقع الصواريخ وحدها بل تعدتها الى المدن والناس وبهذا يصبح التعبير الجديد هو الغالب المقلوب إن صدق القول.

لم يتخلص العالم من الحرب بعد كل هذه الصراعات الطويلة والحروب العالمية، فالأسلحة البيولوجية والكيميائية ازدادت تطورا وحشدت الدول الكبرى مبالغ ضخمة من أجل سباق التسليح، وأصبحت تعبئة الموارد والامكانات الفكرية من أجل حرب النجوم تجتذب الأموال المتوافرة، وأضحى واضحاً أن أشكالاً أربعة برزت من أجل تكديس الأموال وهى تجارة السلاح والمضاربة المالية والنفطية وتجارة المخدرات.

تطورت الصناعة فى الولايات المتحدة، وتدفقت الاستثمارات حتى بلغت عام ١٩٨٨ رقما قياسيا قدره تسعين مليارا من الدولارات وتوفرت للصناعة امكانات السرعة فى تطوير الأبحاث، وتحديث الإختراعات، كما أنتقلت الصناعات إلى كاليفورنيا وأريزونا وتكساس وكولورادو، وسيطرت شركة بوينج على سوق الطائرات، وصممت طائرة ب ٥٢، وانتجت الأواكس التى تحمل أجهزة اتصالات ملائمة لحرب النجوم.

لقد سيطرت الشركات متعددة الجنسية على المبادلات النفطية والأغذية مع شركة كوكا كولا وبيبسى كولا، والاتصالات السلكية والحاسبات الالية والمعدات الجديدة على شبكات المطاعم التى تعم أوروبا مثل ماكدونالد، كل هذا أدى إلى الازدهار الاقتصادى الذى اتاح الفرصة

لتمويل الأبحاث، وامتلكت الولايات المتحدة فى فترة الثمانينيات شبكة اتصالات واسعة، وازداد الحكم فى البيت الأبيض إزدهاراً مع تولى ريجان الذى لفت الأنظار اليه بنقل خطاباته الفعالة فى عام ١٩٦٠ أثناء حملة جولدوتر، وبعد انتخابه سعى لتخفيف النفقات الإدارية، وواجه بحزم المظاهرات الطلابية، وساعدته لهجته المتشددة إلى التفاف عدد كبير حوله، و١٩٧٩ أعلن فى فندق هيلتون فى نيويورك عزمة على ترشيح نفسه، وأخذ يضاعف من الاجتماعات، وتحدى خصمه الجمهورى جورج بوش، وفاز فى الانتخابات الأولية، وكان يسحر الجمهور بالحديث عن الإساءة التى حلت ببلاده من جراء مشكلة الرهائن فى إيران، ونجح فى الإنتخابات، وحاول جاهداً إزالة آثار أزمة الرهائن أو سعى لتخفيف الضرائب عن المواطن الأمريكى لكن هذا لم يتناسب مع السياسة المالية يدعمها مستشاروه، ولم ينجح فى إعادة التوازن للميزان التجارى إذ تواصل غزو السيارات اليابانية للبلاد.

وازداد عجز الموازنة حتى بلغ ٢٠٠ مليون دولار، كل هذا يحدث والانتخابات على الأبواب فى عام ١٩٨٤، فضلا عن أن محاربة الشيوعية لم تحقق النتائج المرجوة حيث كان بريجينيف يواصل دسائسه الاستعمارية فى المحيط الهندى وفى أمريكا نفسها، والحكومة الماركسية فى نيكاراجوا تزود ثوار السلفادور بالأسلحة السوفيتية المستوردة من كوبا، وفى أنجولا استولى الكوبيون على السلطة فى الوقت الذى كانت روسيا تقيم قواعدها فى اثيوبيا، ويبعث ريجان برسالتين إلى بريجينيف للاحتجاج، وفى محاولة فتح الحوار رفع الحظر عن الجنوب الذى فرضه كارتر، وكان روسيا باردا. ووجه ريجان عبر القمر الصناعى خطاباً إلى الرأى العام يوضح ضرورة العودة إلى مفاوضات السلام، وأعد برنامجاً للحد من التسليح، لكن الشيوعيين كانوا يمثلون خطرا فى الفلبين بسبب

الرئيس ماركسوس الذى اتهم باغتيال الديمقراطى أكينو، وكلف ريجان مبعوثه للتفاوض حول السلام فى مانيلا بسبب وصول الطرفين هناك إلى حافة الحرب الأهلية وأجبر ماركوس على الرحيل إلى جزر هاواى، لكن حلت محله كورى أكينو الموالية لأمريكا.

لم تستطع الولايات المتحدة فرض السلام فى الشرق الأوسط أثناء الأزمة اللبنانية، وصارت قوات البحرية الأمريكية هدفا للنار فى شوارع بيروت، وأصبح التساؤل هل سيكون ريجان اللبنانى هو كارتر الإيرانى، وهذا ما يدعوا إلى المهانة لأمريكا.

كان على ريجان أن يخوض حربا ملتوية ضد أورتيجا فى نيكاراجوا، وأوصى ريجان للكونجرس أن المساعدة المقدمة لرجال المقاومة ضد الشيوعيين فى السلفادور قد بدأت منذ عهد كارتر، وارتفعت أصوات تندد باسم حقوق الإنسان بسبب فظائع الحرب فى نيكاراجوا، واتهم ريجان ثانية أنه يساند جماعة فاشيه تستخدم الأساليب الإرهابية وكان رده أنها أعراض مرض أصاب البلاد إثر حرب فيتنام.

أمام سياسة الدفاع عن حقوق الانسان، وعدم التدخل فى شئون الدول الداخلية كان على ريجان أن ينتهج سياسة جديدة اسماها «السياسة الدفاعية الجديدة».

السياسة الدفاعية الجديدة:

عرض الرئيس الأمريكى سياسة مبدأ مبادرة الدفاع الأستراتيجى على أنها وسيلة حديثة لمحو التدمير المتبادل المضمون، وهذه السياسة عبارة عن نظام دفاع يحمى المدنيين ويتيح التفاوض مع السوفيت على قواعد أخرى، والحقيقة أن سياسة الدفاع الإستراتيجى تسعى نحو تعزيز سباق التسليح، ووظيفته هى الدفاع بالأفضلية عن المواقع والقواعد

البحرية، والأهداف العسكرية للحفاظ على أمكانية الرد، واحتج الأوروبيون وعلى رأسهم الألمان والفرنسيين على برنامج ينظم محاربة الصواريخ البعيدة المدى، وكانوا يخشون أن يؤدى هذا البرنامج أيضا إلى تعزيز السلاح الكلاسيكى والبيولوجى والكيماوى فى أوروبا.

وقد حققت نظرية ريجان ارتفاعا فى موازنة الدفاع من ١٥٠ إلى ٣٠٠ مليار دولار فى عشر سنوات، وتطورت أسلحة جديدة غالية الثمن، وتطورت أجهزة بحرية فى غاية الحساسية تعمل بواسطة الرادار أو الليزر أو الأشعة فوق البنفسجية، وتسمح بالمراقبة من خلال الأقمار الصناعية والصاروخ الجديد من طراز إم أكس الذى عمل كارتر على تعجيل صنعة، وهذا الصاروخ باهظ التكاليف. كان يحمل عشرة رءوس مستقلة، ويستطيع السير لمسافة ١١٫٠٠٠ كيلومترا دون توقف، ويتجه نحو الهدف لمسافة ١٢٠ مترا وتطورت الأسلحة الذكية التى كانت من تخصص أمريكا وحدها وأما موسكو فكانت تتفوق بنسبة الثلث مما تملكه من الصواريخ العابرة للقارات ولديها ٦٠ غواصة مجهزة بوصاريخ موجهة بينما أمريكا لم تنتج غواصة واحدة. فضلا عن طائرات باكفيار القادرة على القيام. بمهمات استراتيجية بعيدة المدى وبسرعة كبيرة لم يكن الأمريكيون قادرين على مواجهتها. وبنى السوفيت ٦٠٠ موقع عسكرى لحماية الصواريخ متوسطة المدى. وهنا كان لابد من عودة الحرب الباردة.

عام ١٩٨٢ والحرب الباردة:

أكد الرئيس الأمريكى عدم جدوى سياسته حول التسليح ما لم يتم التوصل إلى مفاوضات حول نزع السلاح مع السوفيت وبعد وفاة بريجنيف عام ١٩٨٢ ، وعين صهره بورى جورباتشوف وزيرا للداخلية، لكن الفريق العسكرى الصناعى لازال يحتفظ بكل الصلاحيات.

كان راضحاً أن هذا التسابق فى التسليح قد ترك بصماته على النواحى الاقتصادية وبات واضحاً الإنهيار الاقتصادى لدى الطرفين الكبيرين. وحاول ريجان بيد أن إسقاط طائرة البوينج الكورية بواسطة طائرات الميج الروسية، وكان لابد من توقف التسليح وبداية مرحلة من التفاوض لمباحثات سلام، ووصلت الأمور إلى طريق مسدود عندما طلب السوفيت من الأمريكيين وقف برنامج الدفاع الاستراتيجى. ورفض الأمريكيون هذا العرض وتعقدت الأمور، لكن بدأت انفراجه عندما أعلن نبأ وفاة تشرينيكو فى ١٠ مارس ١٩٨٥ وخلفه جورباتشوف.

جورباتشوف فس السلطة عام ١٩٨٥:

ما أن تولى جورباتشوف السلطة عام ١٩٨٦ حتى واصل سياسة مساعدة ثوار نيكاراجوا، وتقديم دعم للثوار فى جبهات أخرى، لكنه وافق على عقد اجتماع فى جنيف مع ريجان.

وكان الأمريكيون يجهلون الكثير عن الأمور الداخلية الروسية التى بدأ جورباتشوف سياسة إصلاح جديدة شرحها تحت اسم اعادة البناء أو البيريسترويكا ولم تكن حركة جورباتشوف لإعادة البناء حرة الصلاحية مثل سواها، بل إنها تتطلب التعبير الذى تنادى به الجماهير السوفيتية الرافضة للانحلال وتفكك الاتحاد، لقد كان البحث عن الطرق التى تساعد على إزالة العوائق التى تحاصر النظام. وتحول دون إنطلاق مسيرته.

وبدأ خبراء موسكو يتطلعون لوضع أنظمة مضادة للأقمار الصناعية فى محاولة للتصدى لبرنامج الدفاع الإستراتيجى أو لإنتاج صواريخ هجومية أكثر دقة وحاول السوفييت سياستهم الاستعمارية ومطامعهم فى المحيط الهندى، وتتبعوا الحرب الأهلية فى اليمن الشمالية، ويصمد جورباتشوف فى الخليج، وواصل دعمه العسكرى لجيشه التى لم ينجح فى

السيطرة على العصابات الإيرانية وأيدت روسيا استمرار الحرب بين العراق وايران، وكان الموقف الأمريكي ضعيفا في هذه المنطقة بعد أن خسرت ماء الوجه في لبنان.

وعقدت روسيا صفقة صواريخ أرض - أرض مع الكويت وأرض جو بقيمة ٣٢٠ مليون دولار، وفتحت السعودية موانيها للشاحنات السوفيتية وفشل ريجان في التدخل في لبنان وانتهت ولايته عام ١٩٨٨ ولم يستطع حماية اسرائيل من ثورة الحجارة (الانتفاضة) ضد مد استيطان اليهود في الضفة الغربية.

كانت كارثة مفاعل تشيرنوبل في ٢٦ ابريل ١٩٨٦ وإجلاء ١٠٠ر٠٠٠ نسمة عن المنطقة المنكوبة قد دفعت جورباتشوف إلى طرح محاولة لتهدئة الرأى العام العالمي، وكان مستعد لقبول حلول أمريكية، وبشرط الا تغفل حرب النجوم.

لقد كان جورباتشوف مستعدا لتدمير صواريخه المعترضة وعقد اتفاقاً مع واشنطن لفك شبكة الأسلحة النووية المتوسطة المدى في أوروبا، ويتحقق الانفراج العسكرى على كافة الجبهات بعد الإنسحاب السوفيتي من افغانستان وبدأ الكوبيون يغادرون أنجولا، وانخفض عدد الجيوش السوفيتية على الحدود الصينية، وتوقفت شحنات الأسلحة إلى نيكاراجوا، كما انسحب الفيتناميون من كمبوديا.

في نوفمبر ١٩٨٨ انتخب الأمريكيون جورج بوش وحصل على نسبة ٥٤٪ وجاءت حرب الخليج وتورط فيها بوش وظهرت أوروبا كقوة اقتصادية كبرى.

لقد شكلت دول أوروبا قوة اقتصاديةكبرى لدرجة أن الولايات المتحدة التي لعبت دور الوصي عليها وجدت نفسها منزعجة من هذا التقدم

المستمر بعد تحررها من أعبائها الإستعمارية. وبدأ الأوروبيون يشاركون فى أيديولوجية حقوق النسان. والدفاع عن البيئة ونزع السلاح والقوانين الاجتماعية وفى عام ١٩٧٩ أنشىء المجس الأوروبى بأهداف سياسية تختلف عن مجلس الوزراء الذى تنازعته الخلافات فى لجانه المتخصصة، ولكن المجلس الجديد أنشأ نظاماً نقديا أوربيا لضبط السياسات الوطنية ضد منافسة الدولار والنفط وقام المجلس بانتخاب البرلمان الأوروبى بالاقتراع المباشر بحسب النظام الانتخابى لكل دولة عضو فى المجموعة مع حصص من النواب بحسب عدد سكان تلك الدول وهكذا نالت كل من المانيا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا ٨١ مقعداً بينما حصلت هولندا على ١٢٥ مقعد، وبلجيكا ٢٤ مقعد والدنمارك ١٦ مقعد وإيرلندا ١٥ مقعد ولكسمبورج ٦ مقاعد.

ونجح الاتحاد فى إنماء التعاون بين الأعضاء، ونجحت المجموعة الأوروبية فى مارس ١٩٨٩ فى السعى نحو الوحدة النقدية.

الألمانيتان وتوحيدهما:

فى الوقت الذى كان سباق التسلح بين السوفييت والأمريكيين يشتد حدة تظاهر فى عام ١٩٨٤ أكثر من ٥٠٠ر٠٠٠ شخص ضد سباق التسلح كمحاولة لعرقلة المناورات العسكرية لحلف الأطلسى، وادت هذه المظاهرات إلى تدخل الشرطة واستخدام، أسلحة متطورة وأقبلت الأحزاب على شراء أسلحة أمريكية وكانت ألمانيا الفيدرالية قد أصبحت قوة اقتصادية كبرى وأتاحت لميزانها التجارى بلوغ أرقام قياسية فى الوقت الذى كانت البطالة والاضطرابات تنتشر فى طول البلاد وعرضها.

وكان من الطبيعى أن يسعى الشباب فى ألمانيا الشرقية والغربية إلى الألتفاف حول موضوعات تناهض الشيوعية والرأسمالية فى آن واحد

وبدأ التقارب بين فئات الشباب، وازداد سفر الشباب بين الألمانيتين سنويا إلى ٢٠٠٠٠ر٢٠ شخص، وازدادت المظاهرات من أجل السلام، وشجع رجال الدين البروستانت هذه المساعي للوحدة، وبدأ هوينكر يسعى للتفاوض مع كول حول إنشاء منطقة مجردة من السلاح النووي والكيميائي في أوروبا الوسطى وفي يونيه ١٩٨٧ اقترب ٤٠٠٠ شاب من الحائط مجددا على الرغم من الحزام الذي أقامته الشرطة من أجل الاستماع إلى الحفل الذي أقامة المغنى مايكل جاكسون بالقرب من بوابة برانديفبرج ـ لكن تطور الأمور فيما بعد وسقط جدار برلين في مارس ١٩٩٠ وأجريت انتخابات حرة، وسكت جورباتشوف ووقع في ١٦ يوليه ١٩٩٠ معاهدة مع كول تضمنت سحب ٣٨٠٠٠ر٣٨ جندي على الا تنتج المانيا أسلحة بيولوجية أو جرثومية وفي ٣١ أغسطس ١٩٩٠ أجرى توقيع اتفاق الوحدة بين الألمانيتين بمباركة من موسكو وواشنطن، وصارت دولة كبرى تضم ٧٨ مليون نسمة.

وشهد عام ١٩٩٠ خطوة كبرى عندما تقدم الاتحاد السوفيتي بخطوات على طريق التحرر بعد توحيد الألمانيتين، وبدأ جورباتشوف حوارا مع ساخاروف بعد أن قضى على معسكرات الاعتقال، والغى في ١٤ مارس ١٩٩٠ امتيازات الحزب الشيوعي، وأنشأ التعددية السياسية، وأصبح جورباتشوف حسب التعديل الوزاري رئيسا منتخبا لخمس سنوات، واتجه أبناء روسيا وموسكو إلى فض الأعباء الثقيلة التي يضطلعون بها في الاتحاد، وكان الروس يخشون زيادات عدد السكان في الجمهوريات الإسلامية والمعارضة السياسية لبلاد البلطيق التي تنادي بالليبرالية.

ومالت الغالبية في صفوف الروس إلى الإنفصال عن الاتحاد وقام جورباتشوف بفك الإرتباط العسكري السوفيتي الشامل، وأغلق القواعد

الفييتنامية، ورفع الحظر عن هجرة اليهود إلى إسرائيل بعد تجريدهم من الجنسية، وعادت علاقات روسيا مع إسرائيل ومع المملكة العربية السعودية والكويت وايران وهكذا أنهار الاتحاد السوفيتى وتفككت دوله، واتحدت الألمانيتان، وتغير الوضع فى أوروبا التى أخذت تسير فى طريق الوحدة الإقتصادية تمهيدا لوحدة كاملة وانتهت الحرب الباردة ولم تعد هناك عملاق فى فترة التسعينات مثلما كان فى الثمانينات، وأصبحت الولايات المتحدة هى القطب الوحيد، والآمال معقودة على أن تتولى أوروبا مركز القطب الثانى بعد توحيد الألمانيتان وبعد السير نحو الوحدة الكاملة.

وتغير العالم بعد الحرب الباردة، وتغيرت الصورة الدولية لكن المشكلات لاتزال ترتفع هنا وهناك خاصة فى دول العالم الثالث الذى تمزقه الصراعات والحروب الأهلية، والإنقلابات العسكرية.

مراجع فى تاريخ أوروبا

١ ـ حسن الصبحى: التاريخ الأوروبى الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٢.

٢ ـ جلال مظهر: أثر الحرب فى الحضارة الأوروبية، بيروت ١٩٦٧.

٣ ـ عبدالحليم منتصر: أثر العرب والإسلام فى الحضارة الأوروبية ـ المجلة العربية ١٩٧٧.

٤ ـ أحمد على الملا: أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوروبية ودمشق ١٩٨١.

٥ ـ عبدالمجيد نصفى: أوروبا فى بعض الأمنه الحديثة والمعاصرة ببيروت ١٩٧٨.

٦ ـ نور الدين حاطوم: تاريخ عقد النهضة الأوروبية الكويت ١٩٦٨.

٧ ـ عبدالحميد البطريق: تاريخ أوروبا الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، الرياض ١٩٧٨.

٨ ـ ويل ديورانت: قصة الحضارة، المجلد، ٣ الإصلاح الدينى.

٩ ـ يوسف ضومط: تاريخ العالم المعاصر من ١٩٤٥ بيروت ١٩٩٣.

١٠ ـ خليل على مراد واخرون: دراسات فى التاريخ الأوروبى الحديث والمعاصر. بغداد ١٩٨٨.

١١ ـ موسوعة تاريخ أوروبا العالم تأليف جان بيرنجيه، وايف دوران وإخرون بيروت ١٩٩٥ (٤ مجلدات).

١٢ ـ جلال يحيى: التاريخ الأوروبى الحديث والمعاصر الإسكندرية ١٩٨٣.

١٣ ـ عبدالعزيز نوار: التاريخ المعاصر، أوروبا من الحرب البروسية الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية.

١٤ ـ فيشر تاريخ أوروبا فى العصر الحديث.

١٥ ـ جرانت وتميرلى: أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين.

١٦ ـ عبدالحميد البطريق: التيارات السياسية والمعاصرة.

١٧ ـ محمود كمال دسوقى: تاريخ ألمانيا.

١٨ ـ جى ديبورين: الحرب العالمية الثانية من وجهة النظر السوفيتية.

١٩ ـ مذكرات المارشال مونتجمورى، بيروت ١٩٨٥.

٢٠ ـ فاضل حسين: التاريخ الأوروبى الحديث، بغداد ١٩٨٣.

أسئلة

(على تاريخ أوربا المعاصر)

١ ـ قارن بين الظروف التى تمت فيها كل من الوحدة الإيطالية والإتحاد الألمانى.

٢ ـ اشرح الأحداث التى انتهت بتحديد العلاقة بين حكومة إيطاليا الموحدة والبابوية.

٣ ـ تطور مفهوم (المسألة الشرقية) بتطور الأوضاع فى الدولة العثمانية إشرح ذلك ـ ثم بين الأسباب التى أدت لحرب القرم والنتائج التى أسفرت عنها هذه الحروب.

٤ ـ لماذا سبقت انجلترا غيرها من دول أوربا فى النهضة الصناعية؟ أذكر النتائج التى ترتب على هذه النهضة.

٥ ـ قارن بين الظروف التى قامت فيها النهضة الصناعية فى كل من فرنسا والمانيا ـ مع إعطاء أمثلة للصناعات التى تميزت بها كل منها.

٦ ـ تميزت الفترة التى تلت إنسحاب بمسارك من الميدان السياسى بسلسلة من التحالفات الدولية ـ وضح ذلك مبيناً الدوافع التى دفعت لكل منها.

٧ ـ مهدت للحرب العالمية الأولى عدة أزمات ـ إشرح هذه الأزمات وبين كيف أنها أدت لأنزلاق العالم نحو الحرب؟

٨ ـ اختلف المؤرخون والسياسيون فى تحديد الشخصية أو الدولة التى تقع عليها مسئولية نشوب الحرب العالمية الأولى ـ اشرح ذلك ووضح موقف كل دولة تجاه العسكريين المتطرفين؟

٩ ـ تتبع بإيجاز أهم الأهداث الحربية التى جرت على الساحة الأوربية فى الفترة من ١٩١٧ إلى نهاية الحرب العظمى الأولى.

١٠ ـ بُذلت جهود متعددة للصلح منذ اللحظات الأولى لإندلاع الحرب العالمية الأولى ـ إعط صورة عن بعض هذه الجهود وما إنتهت إليه.

١١ ـ ما أهم ما تضمنته معاهدة فرساى (١٩١٩) من شروط وضح أهم المبادىء التى إلتزم بها الحلفاء فى هذه المعاهدة وقارن بينها وبين المبادىء التى إلتزمت بها الدول فى مؤتمر فيينا ١٨١٥.

١٢ ـ إلى أى حد ساعدت الظروف التى خرجت بها ألمانيا من الحرب الأولى ـ هتلر على الوصول للسلطة.

١٣ ـ اعط صورة عن التطورات السياسية فى أوربا فى الفترة السابقة مباشرة لإندلاع الحرب العالمية الثانية.

١٤ ـ ما الأسباب التى أدت لدخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب الثانية وما النتائج التى ترتبت على ذلك؟

١٥ ـ أكتب مذكرات تاريخية عن:

معركة العلمين ونتائجها ـ إعلان هتلر الحرب على روسيا عام ١٩٤١ والنتائج التى ترتبت على ذلك.

١٦ ـ قارن بين عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة فى ضوء دراستك لأهم التنظيمات التابعة لكل منهما.

١٧ ـ عُقدت عدة معاهدات للصلح بين الحلفاء والدول المنهزمة فى الحرب العالمية الثانية ـ اختر اثنين منها ووضح أهم ما تضمنته هذه المعاهدات.

❁ ❁ ❁

مراجع للمزيد من الإطلاع

١ ـ جلال يحيى: التاريخ الأوروبي الحدث والمعاصر (١٩٨٣).

٢ ـ فيشر. هـ أ: تاريخ أوروبا العصر الحديث ١٧٧٩ ـ ١٩٥٠. (تعريب أحمد نجيب هاشم، وديع الضبع) (١٩٥٨).

٣ ـ عمر الديراوي: الحرب العالمية الأولى (بيروت ١٩٨١).

٤ ـ مونتجومري، مارشال: معركة العلمين في الحرب العالمية الثانية. (ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي) (بغداد ١٩٨٧).

٥ ـ Carr. E.H. The International Crisis 1919-1939.

٦ ـ Commager H.S.: The Story of the second world War.

٧ ـ Churchill Winston: The Second World War.

٨ ـ Fyffe, C.A.: History of Modern Europe.

٩ ـ Grant and Temperley: Europe iIn The 19th and 20th Centuries.

١٠ ـ Harris, H. Wilson: The League of Nations (1929).

١١ ـ Haines and Hofman: Origins and Background of the Second World War

١٢ ـ Headlam, J.W.: Bismark and the Foundation of the German Empine (1899).

١٣ ـ Seignobes: History of Contemporany Europe (1909).

❊ ❊ ❊

المحتويات

الجزء الأول

* تحويل مجلس الطبقات إلى جمعية وطنية. السياسية

* الفوضى التى سادت فرنسا فى عامى ١٧٨٩ ـ ١٧٩٠.

* سقوط حصن الباستيل ونتائجه.

* انجازات الجمعية الوطنية التأسيسية.

٢ ـ عهد الملكية المقيدة فى ظل الجمعية التشريعية (١٧٩١ ـ ١٧٩٢):

موقف الملك ـ موقف الجمعية التشريعية من المشاكل الداخلية والخارجية.

٣ ـ عهد الجمهورية الأولى (١٧٩٢ ـ ١٧٩٥):

المؤتمر الوطنى وإعلان الجمهورية الأولى ـ الموقف الحربى ـ فترة نفوذ لجنة الأمن (فترة رئاسة دانتون وفترة رئاسة روبير).

٤ ـ عهد الجمهورية الثانية ـ حكومة الإدارة (١٧٩٥ ـ ١٧٩٩):

دستور ١٧٩٥ ـ أهم الأحداث الداخلية ـ الأحداث الخارجية.

٥ ـ عهد حكم نابليون بونابرت قنصلاً، وامبراطوراً (١٧٩٩ ـ ١٨١٤):

ـ إنقلاب برومير.

ـ عهد القنصلية (١٧٩٩ ـ ١٨٠٤)، سياسة بونابرت الخارجية فى عهد القنصلية، موقفه من (روسيا، تركيا،